الجامعة الإسلامية – غـــزة

عمـــادة الـــدراسات العليـــا

كـــليـــة أصـــول الديـــن

قسم التفسير وعلوم القرآن

منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي الحجر والنحل

إعـــداد الباحثة

أميـــة عبدالله شعبان الغـــرة

إشراف الدكتور

وليـــــد مـــحـــمـــد العـــــامـــودي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه:١١٤]

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى الجبل الشامخ رمز العزة والفخار، الوالد الصابر؛ أبو الشهداء الذي لا يلين ولا ينحني رغم الجراح، حبيب قلبي ومنوتي رضاه؛ أبي الحنون.

إلى دفء الشتاء ونسمة المساء وقمة الصفاء؛ أمي يا من ترجمتي علاقتنا يوم قلت لي أشعر أنك أمي وأنا ابنتك، أقول لك اليوم حقاً أنت ابنتي التي لم ألدها، وأنت أمي ومن أغلى منك يا أمي؟!!، وغاية منيتي حفنة تراب داست عليها قدماك الطاهرتين فأتيمم بها، عسى أن أشتم منها رائحتك الزكية، عندما ينقطع سبيل اللقاء، وآهٍ يا أمي ما أبعد اللقاء.

إلى تاج رأسي وغرة جبيني، إلى الصدر الواسع وملاذ حنيني، ومن صبر علي طوال أيامي وسنيني، زوجي الغالي.

إلى الأكرم منا جميعاً عامة، وإلى إخواني الشهداء خاصة، ناصر ومنصور وأحمد وعبدالله وابن عمي شعبان وابن عمتي فارس.

إخواني الغوالي وإن كانت الأجساد بعيدة، فالأرواح تتلاقى وتتعانق، فأنا أشعر بها داخل روحي ترق بالتهنئة والتحية، أشعر بلمسات روحك يا أمي تحتضنني فلك مني ألف سلام.

إلى قرة عيني وسند ظهري ومن تهون له روحي ويرخص عمري، ومن أدخره ليوم كربي وطعان خلسي، الأخ الغالي أكرم -أبو أحمد-.

إلى من يسعدهم فرحي ويحملوا همي، وأراهم دائما في قلبي، أخواتي حبيباتي، وأخوات زوجي، وإخوان زوجي وزوجاتهم، وأزواج أخواتي وعلى رأسهم الغالي أبو عمرو، وأم زوجي، وزوجة أبي، وزوجات إخواني.

إلى أحبابي وعزوتي أبناء إخواني، وأبناء أخواتي،

إليكم جميعاً أهدي رسالتي.

شكر وتقدير

كثيرة هي كلمات التقدير والعرفان بالجميل التي تتدافع في الصدور، ولكن قليلة التي تولد بين السطور، فها هي كلماتي تتدفق وتزداد في قلبي، ويعجز لساني عن التعبير، حيث لا توجد كلمات ترقى إلى حسن صنيعكم معي، فانطلاقاً من قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان:١٢]، وامتثالاً لسنة نبيه ﷺ: (لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ)(١)، فالشكر الخاص لفضيلة الشيخ الدكتور: **وليد محمد العامودي** الذي بذل قصارى جهده لمساعدتي وإرشادي إلى الصواب وتوضيح الأمور لي وتيسيرها كلما تعسرت، وكرمه معي بإعطائي من علمه ووقته، وأنا لا أستطيع أن أجازيه ولكن أترك ثوابه على الله ﷻ، وأتمنى أن يحفظه في الدنيا ويزيد من فضله وعلمه، وأن يجعله في الفردوس الأعلى في الآخرة، في مرتبة العلماء الذين يخشون الله ﷻ.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي عضوي لجنة المناقشة الذين تكرما بقبول مناقشة الرسالة وهما فضيلة الأستاذ الدكتور: *زكريا إبراهيم الزميلي*، وفضيلة الدكتور: *جمال محمود الهوبي* والذين سيزيدان الرسالة بهاءاً وجمالاً بتوجيهاتهما العظيمة.

وأخيراً أتقدم بجزيل شكري وامتناني إلى كل من ساهم في مساعدتي لإتمام رسالتي من: فضيلة الدكتور: *بشير العثي* الذي تكرم علي بترجمة ملخص الرسالة إلى اللغة الانجليزية، والأستاذة: *زينب عسار* التي قامت مشكورة بتدقيق الرسالة لغوياً، والشكر موصول إلى مدرسة الجليل بجميع عامليها، وعلى رأسها مديرة المدرسة الفاضلة الأستاذة: *فاتنة عكيلة*، ومعلماتها الفضليات، بالإضافة إلى صديقاتي: *جملات أبو ناصر، وإيمان السيد* والشكر موصول إلى الأستاذ: *عصام حرارة وزوجه*، والأستاذ: *رامي الغرة وزوجه* لما قدموه لي من مساعدة لإنجاز هذا العمل على هذا الوجه، راجية من الله ﷻ في عليائه أن يتقبلها مني خالصة لمرضاة وجهه الكريم.

---

(١) صحيح ابن حبان، مخرجا (١٩٩/٨)، كتاب الزكاة، باب ذكر ما يجب على المرء من الشكر لأخيه المسلم عند الإحسان إليه، ح(٣٤٠٧)،[تعليق الألباني] صحيح، "الصحيحة" (٧١٦)، [تعليق شعيب الأرنؤوط]، إسناده صحيح على شرط مسلم.

المقدمة

الحمد لله و الصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي أنزل القرآن وجعله كتاب هداية إلى يوم الدين، فسبحان من أنزل القرآن وبين سبل الوصول إليه، ويسّر السير في طريقه، وجعله معجزة خالدة إلى يوم الدين، وبهذا كان القرآن وما زال الكتاب الذي تُجمَع فيه جميع الأسرار، وعلى العارفين وطلاب العلم أن يغوصوا في أعماق بحاره آخذين بالأسباب، متحلين بالعلم، متجلدين بالصبر؛ متزينين بالأخلاق، لكي يستخرجوا اللآلئ المضيئة التي تنفع الناس على مدى الدهور والأزمنة، ولاسيما منهجيات الإصلاح والتغيير التي يشتمل عليها القرآن الكريم، والتي تفيدنا في حل مشاكل العصر الذي نحياه.

فما أحوجنا اليوم للرجوع إلى كتاب الله باحثين عن العلاج الشافي لكل ما نعانيه من مشاكل.

فالمنهج القرآني ظهر جلياً واضحاً في إصلاح الفرد والمجتمع، في عهد النبي ﷺ وفي عهد الصحابة ﭫ بتغيير العقيدة الفاسدة واستبدالها بالعقيدة الصحيحة، وتعديل السلوك السلبي إلى سلوك إيجابي من خلال منهجيات الإصلاح والتغيير.

وبما أن القرآن الكريم منهج حياة، صالح لكل زمان ومكان، ويتميز بالمرونة والسهولة واليسر، فإننا نجد فيه ضالتنا بالرجوع إليه، ومحاولة تغيير وإصلاح ما خلفه الغزو الفكري من انحراف في أفكارنا ومبادئنا ومعتقداتنا، ولكن بشرط أن نغير نحن ما بأنفسنا.

فما أحوجنا اليوم في هذا العصر الذي نعيش فيه إلى استنباط منهجيات الإصلاح والتغيير على أسس وقيم منبعها الإسلام؛ لنعيد إلى هذه الأمة مجدها التليد البائد.

فقد جاء القرآن الكريم بهدف عظيم وهو (إصلاح الإنسان) حيث قال ﷻ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

فعلينا أن نجتهد قدر الاستطاعة، من أجل إصلاح أنفسنا وإصلاح الناس، وإعادة الثقة إلى أنفسهم، بالتماس الأعذار لهم وإعادتهم إلى حضن الإسلام، حيث قال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:١١٩].

فالمعضلة في سلوك الإنسان وعلاجها في منهج القرآن والسنة النبوية، لأنهما يتسمان بالشمول والتوازن والثبات والموضوعية والتكامل والواقعية، لذلك اخترت هذا الموضوع بعنوان:

منهجيات الإصلاح و التغيير في سورتي الحجر والنحل

وقد اشتملت خطة الدراسة على التالي:

أولاً- أهمية الدراسة:

١. تعلق موضوع الدراسة بأشرف كتاب وهو القرآن الكريم.

٢. تكمن أهمية البحث في الموضوعات الجليلة التي تضمنتها سورتي الحجر والنحل من جانب عقائدي وأخلاقي ودعوي.

٣. الصحوة الإسلامية التي نحياها اليوم ونقف على أعتابها تحتاج إلى أسس وقيم ثابتة منبعها القرآن الكريم والسنة النبوية التي ننطلق من خلالها إلى الإصلاح والتغيير.

٤. ما يحتويه هذا البحث من منهجيات الإصلاح والتغيير التي تنفع الناس في إصلاح شئون حياتهم الأسرية والاجتماعية والدينية.

٥. إيجاد مجموعة من منهجيات الإصلاح والتغيير تساعد في الصعود إلى قمة النصر بإذن الله ﷻ.

٦. يعالج البحث كثير من المشكلات التي تواجه الأمة.

ثانياً – أسباب اختيار البحث:

إن المكتبات العلمية تزخر بالكتب النافعة المفيدة، وما عليك إلا أن تعقد النية، وتدخل في هذه الحدائق الغناء، وتتجول في ربوعها بين العلوم المثمرة، وتقطف ما تريد، فمنها ما هو كالشجر، يزدان بالثمار، ومنها ما هو كالنبات في نفعه، ومنها ما هو كالورود تنتعش وأنت تتنسم عبيرها فيمتلئ عقلك بالعلوم النافعة وتتسع مداركك بها، ويزداد فهمك، وكلما أخذت من هذا العلم ازداد ونمى، فأردت أن أغرس فسيلة في حديقة العلم، عسى أن أنال شرف المساهمة في علم ينفع وينير درب الراغبين في الوصول إلى بر الإسلام، واخترت هذا الموضوع بالذات للأسباب الآتية:

١. اعتناء القرآن الكريم بموضوع الإصلاح والتغيير.
٢. الحاجة الشديدة إلى الإصلاح والتغيير من أجل العودة المسلمين إلى مقام السيادة والريادة.
٣. اتباع منهج الأنبياء والمرسلين في تعديل السلوك السلبي والعودة بالناس إلى منهج الإصلاح والتغيير .
٤. ما تناولته سورتا الحجر والنحل من منهجيات الإصلاح والتغيير العقائدي والدعوي والأخلاقي.
٥. تسليط الضوء على نقاط الضعف والفساد، والتماس العلاج، من خلال منهجيات الإصلاح والتغيير.

ثالثاً: أهداف الدراسة والغاية منها:

إلباس سور القرآن الكريم حلة جديدة من حلل التفسير، ألا وهي حلة التفسير الموضوعي، مرصعة بألماسات من التفسير التحليلي، أو التفسير الإجمالي، كلما احتيج الأمر إلى ذلك، حريصة كل الحرص على تطهير هذه الحلة من الإسرائيليات، معتمدة على الله ﷻ بالمن علي باستنباط منهجيات الإصلاح والتغيير التي استخدمها القرآن الكريم، لهداية الناس إلى عبادة الله ﷻ بهدف:

١- ابتغاء الأجر والثواب من الله ﷻ في الدنيا والآخرة، وذلك من خلال خدمة كتابه العزيز.

٢- إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة علمية جديدة، وهي منهجيات الإصلاح والتغيير بشكل مستقل.

٣- إبراز منهجيات الإصلاح والتغيير التي اشتملت عليها سورتي الحجر والنحل.

٤- بيان أهمية هذه المنهجيات في معالجة المشاكل المستجدة في عصرنا الحاضر.

٥- بث روح الأمل في نفوس الناس والعود بهم إلى كتاب الله كمنهج حياة.

٦- بيان الأثر الإيجابي للتغيير والإصلاح على الفرد والمجتمع.

٧- إبراز الأسس والقيم التي يقوم عليها الإصلاح والتغيير بحلة جديدة يستفيد منها الناس.

رابعاً – الدراسات السابقة:

بعد البحث في الدراسات السابقة تبين أن هذا الموضوع موجود في ثنايا الكتب، بشكل كبير وواسع، إلا أنه موجود بشكل مستقل في المواضيع التالية:

١. منهجيات الإصلاح والتغيير في ضوء سورتي الكهف والفجر للدكتور/ صلاح الدين سلطان.

٢. هذا البحث ضمن سلسلة قامت كلية أصول الدين بتوزيعها على الطلبة من أول المصحف إلى آخره.

٣. منهجيات الإصلاح والتغيير في ضوء سورة عبس للباحثة/ ابتسام سمور.

٤. منهجيات الإصلاح والتغيير في ضوء سورة آل عمران للباحث/ عطا وادي.

٥. **خامساً – منهج البحث:**

منهج البحث قائم على الاستقراء والاستنباط حول سورتي الحجر والنحل خلال الآتي:

١. توثيق الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية، وتمييز الآيات القرآنية بوضعها بين هلالين﴿ ﴾.

٢. استنباط منهجيات مناسبة لكل موضوع من الموضوعات الموجودة في السورتين.

٣. تتبع آيات السورتين والوقوف على المناهج الموجودة فيها، واستنباطها ودراستها دراسة تفسيرية، وذلك بالرجوع إلى المصادر والمراجع التفسيرية المختلفة.

٤. ذكر سبب النزول للآيات، إن وجد ما يترتب على ذلك من دلالة.

٥. الوقوف على الفاصلة، وبيان دلالتها إن كان لها علاقة بالمنهجيات.

٦. الاستدلال بالأحاديث النبوية، والآثار التي تخدم البحث، وعزوها إلى مظانها حسب ضوابط التخريج وأصوله.

٧. ستقتصر الباحثة على كتابة اسم الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة في الحاشية، ويتم التفصيل في الفهرس.

٨. في حالة الاقتباس من نفس الكتاب بعده مباشرة، أكتب المرجع السابق، ورقم الجزء حال وجوده، ورقم الصفحة.

٩. إعداد الفهارس اللازمة في نهاية البحث، وهي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام المترجم لها.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

سادساً – خطة الدراسة:

وقد اشتملت خطة البحث على مقدمة وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس:

المقدمة، وتشتمل على:

١- أهمية الدراسة.

٢- أسباب اختيار الموضوع.

٣- أهداف الدراسة.

٤- الدراسات السابقة.

٥- منهج البحث.

خطة البحث: وتشتمل على تمهيد وفصلين وخاتمة وفهارس.

التمهيد

مفهوم منهجيات الإصلاح والتغيير

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: المنهج لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الإصلاح لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: التغيير لغة واصطلاحاً.

المطلب الرابع: العلاقة بين الإصلاح والتغيير.

الفصل الأول

منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الحجر

ويشتمل على تمهيد، وثلاثة مباحث:

التمهيد: تعريف عام بسورة الحجر، ويشتمل على:

تسمية السورة، ترتيبها، عدد آياتها، مكيتها أو مدنيتها، مناسباتها.

المبحث الأول: منهجيات الإصلاح والتغيير العقائدي في سورة الحجر.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: القرآن معجزة الله العظمى

المطلب الثاني: الدين عند الله الإسلام

المطلب الثالث: الأدلة الكونية على وحدانية الله ﷻ

المطلب الرابع: القدرة المطلقة

المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة الحجر.

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول : ترغيب وترهيب.

المطلب الثاني: أسلوب الحوار.

المطلب الثالث: العناية الربانية للدعاة.

المطلب الرابع: الدعوة منهج الأنبياء.

المطلب الخامس: أسلوب القصص.

المطلب السادس: التدرج في الدعوة.

المبحث الثالث : منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة الحجر.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مبدأ الصفح الجميل .

المطلب الثاني: الحلال يغني عن الحرام .

المطلب الثالث : الجـــــدل .

الفصل الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة النحل

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد: تعريف عام بسورة النحل، ويشتمل على:

تسمية السورة ، ترتيبها، عدد آياتها، مكيتها أو مدنيتها، مناسباتها.

المبحث الأول : منهجيات الإصلاح والتغيير العقائدي في سورة النحل.

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول : البراهين الدالة على وحدانية الله ﷻ .

المطلب الثاني : النعم الدالة على وحدانية الله ﷻ .

المطلب الثالث: استحقاق الهداية والضلال .

المطلب الرابع: الحصانة الربانية بالقرآن وإبطال سلطان الشيطان .

المطلب الخامس: ضرب المثل لإثبات وحدانية الله ﷻ .

المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة النحل.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : الأمر بالمعروف والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي.

المطلب الثاني : الإيفاء بالعهد واليمين المنعقدة.

المطلب الثالث : التنفير من الكذب.

المبحث الثالث : منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة النحل.

ويشتمل على تسعة مطالب:

المطلب الأول : مدح العلم وأهله .

المطلب الثاني : النية محلها القلب .

المطلب الثالث : التوبة.

المطلب الرابع : الجزاء من جنس العمل .

المطلب الخامس : الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

المطلب السادس : الجدل بالتي هي أحسن .

المطلب السابع : العدل في العقاب والعفو عند المقدرة .

المطلب الثامن: الصبر في الدعوة .

المطلب التاسع: معية الله ﷻ للمتقين .

الخاتمة: واشتملت على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة.

الفهارس: واشتملت على:

- **فهرس الآيات القرآنية.**
- **فهرس الأحاديث النبوية.**
- **فهرس الأعلام المترجم لها.**
- **فهرس المصادر والمراجع.**
- **فهرس الموضوعات.**

التمهيد

مفهوم منهجيات الإصلاح والتغيير

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: المنهج لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الإصلاح لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: التغيير لغة واصطلاحاً.

المطلب الرابع: العلاقة بين الإصلاح والتغيير.

التمهيد

مفهوم منهجيات الإصلاح والتغيير

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: المنهج لغة واصطلاحاً

المنهج لغة: نهج: النون والهاء والجيم أصلان متباينان.

الأول: النهج هو الطريق، والمنهج الطريق، ونهج لي الأمر أوضحه، وهو مستقيم المنهاج.

والثاني: هو الانقطاع[١].

والمنهاج: كالمنهج، وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً.

واستنهج الطريق: صار نهجاً.

ونهجت الطريق: أبنته وأوضحته وسلكته؛ وفلان يستنهج سبيل فلان أي يسلك مسلكه، ويقال: اعمل على ما نهجته لك، يعني ما أوضحته لك.

والنهج: الطريق الواضح المستقيم، ونهج الأمر وأنهج، لغتان[٢].

فقد قال ﷻ: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ [المائدة:٤٨]، أي: لكل قوم منكم جعلنا طريقاً إلى الحق يؤمُّه، وسبيلاً واضحاً يعمل به، وشريعة يدعو الناس إليها[٣]، وفي حديث العباس ﷺ قال:

(لم يمت رسول الله ﷺ حتى ترككم على طريق ناهجة)[٤].

والنَّهَج: بالفتح مصدر، يقال طريقٌ وطرق نهجةٌ وناهجةٌ، أي واضحةٌ والمنهج جمع مناهج[٥].

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (٣٦١/٥)بتصرف.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب (٣٨٣/٢).

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان(٣٨٤/١٠)، الرازي، مفاتيح الغيب (٣٧٢/١٢).

(٤) ابن الجوزي، غريب الحديث (٤٤٤/٢)، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث (١٣٤/٥).

(٥) انظر: البستاني، الوافي (ص:٦٥٥)، الأزدي، جمهرة اللغة (٤٩٨/١)، محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية (ص:٦٨١).

المنهج اصطلاحاً: عند أهل اللغة: "المنهج يعني الخطة المرسومة، والنظام الموضوع والمحدد للسير عليه واتباعه لتحقيق هدفٍ معين، والوصول إلى غايةٍ محددة"(١).

وعند علماء التفسير والمحدثين: هو الطريق الواضح البيِّن.

والمنهاج أصله الطريقُ البيِّن الواضح، وهو طريق نَهْجٌ، وَمنهجٌ بيِّنٌ، ثم يستعمل في كل شيء كان بيناً واضحاً سهلاً(٢).

وهو "الوجه الواضح الذي جرى عليه الإستعمال"(٣).

وترى الباحثة أن المنهج اصطلاحاً: هو الطريق الواضح المستقيم، المستمد من كتاب الله ﷻ وسنة النبي ﷺ، فيسلكه المسلم، مقتدياً بالأنبياء والصالحين والدعاة إلى الله ﷿، لتحقيق أهدافه بنجاح، داعياً غيره لسلوكه.

وقال حذيفة ﷺ(٤): قال رسول الله ﷺ: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج نبوة) ثم سكت(٥).

---

(١) أحمد غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي (٤٢٢/١).

(٢) انظر: البستاني، الوافي (ص:٦٥٥)، الأزدي، جمهرة اللغة (٤٩٨/١)، محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية (ص:٦٨١).

(٣) أبو البقاء، الكليات (ص:٩١٣).

(٤) هو بن اليمان، واسمه: حسيل ويقال حسل، أبو عبد الله العبسي، من كبار الصحابة، وصاحب سر رسول الله ﷺ، أسلم هو وأبوه شهد الخندق وما بعدها، كما شهد فتوح العراق، وله بها آثار شهيرة، استعمله عمر على المدائن، روى عن النبي ﷺ الكثير، وعن عمر، وروى عنه جابر وغيره، مات سنة (٣٦)، انظر: الدولابي، الكنى والأسماء (٢٣٧/١)، ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب (٢٢٠/٢)، جمال الدين أبو الفرج، صفة الصفوة (٢٣٣/١).

(٥) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد (٣٥٥/٣٠) ح (١٨٤٠٦)، الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٤/١).

المطلب الثاني: الإصلاح لغةً واصطلاحاً

الصلاح في اللغة: "الصاد واللام والحاء أصلٌ واحدٌ، يدل على خلاف الفساد"[١].

"وهو اسمٌ من المصالحة، وهي المسالمة بعد المنازعة"[٢].

والصَّلاحُ نقيض الفساد، والإِصلاح نقيض الإِفساد، والاسْتِصْلاح نقيض الاستفساد.

وأَصْلَح الشيءَ بعد فساده أَقامه، والصالح في نفسه، والمصلح في أعماله وأموره.

وأَصْلَحَ الدابة أَحسن إِليها فَصَلَحَتْ[٣].

و"الصلح مصدر صالحٌ يصالح صلحاً، ويشتق منه أيضاً: أصلح يصلح إصلاحاً"[٤].

وقال الزجاج:[٥] "الصالح الذي يؤدي إلى الله ﷻ ما افترض عليه ويؤدي إلى الناس حقوقهم"[٦].

والإصلاح اصطلاحاً: التغيير إلى استقامة الحال على ما تدعو إليه الحكمة.

ولا فرق عند الفقهاء بين المعنى المعنوي والمادي، سواء قلت أصلحت عمامتي، أو أصلحت بين المتخاصمين، لأن كلاهما إصلاح[٧].

وقيل: "الإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله، بإزاء ما طرأ عليه من فساد"[٨].

وقيل: "إن في الصلح تأخير الآجال وتحقيق الآمال وتثمير الأموال" [٩].

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (٣/٣٠٣).

(٢) الجرجاني، التعريفات (١/١٣٤).

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب (٢/٥١٧) بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم (٣/١٥٢) الأزهري، تهذيب اللغة (٤/١٤٢).

(٤) محمد العثيمين، الشرح الممتع (٩/٢٢٦).

(٥) هو إِبراهيم بن السّري سهل أبو إسحاق: (٢٤١-٣١١هـ)، ولد ومات في بغداد، كان من أكابر أهل العربية، وكان حسن العقيدة، جميل الطريقة، عالم بالنحو واللغة، علمه المبرد، من مؤلفاته (معاني القرآن) و(الاشتقاق)، ويلاحظ أن في خزانة الرباط يوجد له مخطوطة، انظر: الزركلي، الأعلام (١/٤٠)، الحموي، معجم الأدباء (١/٤٧)، بن حجر العسقلاني، نزهة الألباب (١/٣٣٩)، الأنباري، نزهة الألباء (ص:١٨٣).

(٦) بن سيده المرسي،المحكم (٣/١٥٢).

(٧) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٥/٦٢).

(٨) ابن باديس، مجالس التذكير (ص: ٧٣).

(٩) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز (١/٨٩).

وقيل: هو سلوك طريق الهدى، واستقامة الحال، على ما يدعو إليه العقل والشرع، والصالح هو المستقيم الحال في نفسه حيث قال ﷻ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ﴾[هود:٨٨].

وقيل: هو القائم بما عليه من حقوق الله، وحقوق العباد، والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين، ومتمنى الأنبياء والمرسلين، وحث الشرع على الإصلاح بين الناس(١)،حيث قال ﷻ: ﴿وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٤].

وقيل: الإصلاح: نقيض الإفساد، مأخوذ من الصّلح: وهو عقد يرفع النّزاع، ويقطع الخصومة، ويتوصل به إلى التوفيق والمصالحة بين المختلفين(٢)،حيث قال ﷻ: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩].

وقيل: الإصلاح: هو ما ينبغي فِعله مما فعلهُ منفعةٌ، وتركهُ مضرَّة يسبب الإفساد(٣).

وترى الباحثة أن الإصلاح اصطلاحاً: هو سلوك طريق الخير، بما يرضي الله ﷻ، من أجل إصلاح النفس وإصلاح غيرها، والإصلاح بين الناس، ورد الحقوق إلى أصحابها، ومحاربة الفساد بإتباع شرع الله .

المطلب الثالث: التغيير لغة واصطلاحاً

التغيير لغة: غير: الغين والياء والراء كل حرف فيها أصلٌ صحيح.

لها معنيان: يدل الأول: على صلاحٍ وإصلاحٍ ومنفعةٍ.

والثاني: يدل على اختلاف شيئين.

والتغيير هو التبديل، تقول: غيرت الشيء فتغير، أي: بدلته فتبدل.

---

(١) انظر: أبي البقاء، الكليات (ص/٥٦٠، ٥٦١)، البستاني، الوافي (ص: ٢٤٨)، محمد العثيمين، الشرح الممتع (٢٢٦/٩).

(٢) انظر: الجرجاني، التعريفات (ص:١٣٤)، الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٢٣/٢٧)، سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي (٢١٥/١)، عدد من المختصين، نضرة النعيم (٣٦٤/٢).

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان (٧٥/١).

فالأول: الغيْرَة، وهي الميَرة بها صلاح العيال، وغارهم الله ﷻ بالغيث يغيرهم ويَغورهم، أي صلح شأنهم ونفعهم به، ويقال: ما يغيرك كذا، أي ما ينفعك.

والغَيْرة: غيرةُ الرجل علي أهله تقول غيرت علي أهلي غيرة، وهذا معناه صلاحاً ومنفعةً[١].

ويقال: ترك القوم يغيرون، أي يصلحون الرحال، والاسم من التغيير.

وغير فلان عن بعيره: إذا حط عنه رحله وأصلح من شأنه.

وتغير فلان عن حاله، فهو متغير.

ومن يكفر بالله يلق الغير: أي تغير الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد[٢].

وتغيير الشيء عن حاله: غيره وحوله وبدله؛ كأنه جعله شيء جديد غير ما كان عليه سابقاً.

وفي التنزيل قال ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣]، ومعناه حتى يبدلوا ما أمرهم الله به[٣].

"ومعناه الاصطلاحي عند الفقهاء لا يخرج عن معناه اللغوي" [٤].

التغيير اصطلاحاً: "هو إحداثُ شيءٍ لم يكن قبله، وهو انتقال الشيء من حالةٍ إلى حالةٍ أخرى"[٥].

فقال أبو سعيد الخدري ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[٦].

---

(١) انظر: بن فارس، معجم مقاييس اللغة (٤٠٣/٤، ٤٠٤)، زين الدين الرازي، مختار الصحاح (٢٣٢/١).

(٢) انظر:الهروي، تهذيب اللغة (١٦٧/٨)، ابن منظور، لسان العرب (٤٠/٥)، الزَّبيدي، تاج العروس (٢٨٦/١٣، ٢٩٠).

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب (٤٠/٥)، الفيروز آبادي، القاموس المحيط (ص:٥٨٣).

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية (٧٠/١٣).

(٥) الجرجاني، التعريفات (٦٣/١).

(٦) صحيح مسلم (٦٩/١)، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان،ح (٤٩).

وترى الباحثة أن التغيير اصطلاحاً: هو إصلاح حال القوم؛ بتغييرهم من حالةٍ سيئة إلى حالةٍ حسنة، وتغيير العقيدة الفاسدة إلى العقيدة الصحيحة، وتغيير الفحشاء والمنكر وإبدالهما بالمعروف.

والتغيير قد يكون سلبياً من الأحسن إلى الأسوأ، وقد يكون إيجابياً بالتغيير من الأسوأ إلى الأحسن، والذي نحن بصدده التغيير الإيجابي.

وترى الباحثة أن معنى منهجيات الإصلاح والتغيير: (الطريق المستقيم) أي: سلوك الطريق الواضح البيِّن المستقيم، بهدف تغيير العقيدة الفاسدة، وإصلاحها بالعقيدة الصحيحة، وتغيير الحال من حالةٍ سيئة، إلى حالةٍ حسنة، وتغيير الفحشاء والمنكر، وإبدالهما بالمعروف، وتبديل السلوك السلبي بالسلوك الإيجابي، وإصلاح الشيء بإرجاعه إلى حالة اعتداله، بسبب ما طرأ عليه من فساد.

المطلب الرابع: العلاقة بين الإصلاح والتغيير

اتضح للباحثة بعد الوقوف على معنى الإصلاح والتغيير أن هناك ترادف بين الإصلاح والتغيير، بحيث كلاهما يسعى إلى الإصلاح، إن كان التغيير من الأسوأ إلى الأحسن، فالإصلاح ضد الإفساد وتغيير له، والتغيير الإيجابي إصلاح لأنه تغيير من الأسوأ إلى الأحسن، ومن الممكن أن يكون التغيير من الأحسن إلى الأسوأ، وهذا ما تقوم المنهجيات في علاجه، وتحذر منه حيث قال ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣]، وقد يكون التغيير من الأسوأ إلى الأحسن، وقد يكون التغيير من الحسن إلى الأحسن منه، وهذا التغيير الذي نحن بصدده، فقد قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]، فالذي يريد إصلاح نفسه عليه أن يقوم بتغيير حاله وأحواله، وأن يهجر المعاصي والذنوب، ويصلح حياته بتغيير واستبدال الأشياء السلبية المنكرة، بأشياء إيجابية صالحة، فيتكون لديه انضباط ذاتي، ويحدث التغيير بإصلاح الفساد، وتغيير الحال من الفساد إلى حالةٍ جديدة من الصلاح، ويحدث الإصلاح بتغيير الفساد، وإزالة

أثره، وإصلاحه بكل أنواع الصلاح، والصلاح يعقب الفساد، وقد يكون دون سابقة فساد، والإصلاح يكون بالتغيير إلى الأفضل على الإطلاق، فلا إصلاح دون تغيير، فالتغيير للأحسن والإصلاح قرناء لا ينفك أحدهما عن الآخر، فما يزالان متحدان متلازمان.

الإصلاح والتغيير في منهج القرآن: هو تغيير بعض سنن الله ﷻ، في الآفاق وفي الأنفس، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصِّلت:٥٣]، والتي قوامها تغيير ما في النفس، أي التغيير الداخلي لنفس الإنسان، وهو ما يتم عادة بتغيير الفكر الذي يتم معه تغيير السلوك، وتقاس به أحوال الأقوام والأمم، بين الضعف والقوة، وبين السقوط والنهوض، وهذا ما قرره القرآن في قوله ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣]، وهذا حسب الالتزام بمنهج الله ﷻ أو البعد عنه(١).

ونحن بصدد التغيير الإيجابي، وهو ما يسمى بالانضباط الذاتي، والالتزام الإيماني الداخلي؛ الالتزام بمنهج الله؛ الذي يغير به الله ﷻ إلى الأحسن، فالإسلام يربي الإنسان الصالح، بينما الغرب يربي المواطن الصالح، والفرق بينهما أن الإنسان الصالح يكون صالحاً أينما حل، بينما المواطن الصالح يكون صالحاً في وطنه، فاسداً في أوطان الآخرين.

أبرز منهجيات الإصلاح والتغيير العامة في القرآن الكريم الآتي:

أولاً: إصلاح عقائد الناس، وتغيير المفاهيم غير الصحيحة عن الذات الإلهية والرسل واليوم الآخر، قال ﷻ: ﴿أَلَا للهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزُّمر:٣]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١]، ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٣٣]، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس:٤٥].

---

(١) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية (ص:١٥٥) بتصرف.

ثانياً: إصلاح العقول بتحريرها من الخرافات، والأوهام، والأساطير، وهدايتها إلى المنهج العلمي القويم؛ القائم على ترك الظن واتباع الدليل والبرهان، قال ﷻ: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النَّجم:٢٨].

ثالثاً: إصلاح النفوس وتربيتها على الفضائل، والأخلاق الحميدة، وتطهيرها من العيوب والرذائل، قال ﷻ: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١].

رابعاً: بناء الأمة الإسلامية المتميزة في حياتها السياسية؛ القائمة على العدل والشورى، والاجتماعية القائمة على الفضيلة والتواصل والتكافل، والاقتصادية القائمة على حسن الاستثمار وعدالة التوزيع[١]، قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشُّورى:٣٨].

---

(١) انظر: حمزة ذيب وآخرون، التربية الإسلامية للصف الثاني الثانوي، (ص:٣).

الفصل الأول

منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الحجر

ويشتمل على تمهيد، وثلاثة مباحث :

التمهيد: تعريف عام بسورة الحجر.

المبحث الأول : منهجيات الإصلاح والتغيير العقائدي في سورة الحجر.

المبحث الثاني : منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة الحجر.

المبحث الثالث : منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة الحجر.

الفصل الأول

منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الحجر

التمهيد: تعريف عام بسورة الحجر، ويشتمل على:

تسمية السورة، ترتيبها، عدد آياتها، مكيتها أو مدنيتها، مناسباتها.

أولاً: تسمية السورة: سميت بسورة الحجر لذكر قصة أصحاب الحجر فيها، والحجر: موضع قوم ثمود[١]، الذي يقع في واد بين المدينة والشام حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر:٨٠]، فأصحاب الحجر هم قوم ثمود[٢].

ثانياً: ترتيبها حسب المصحف: رتبت سورة الحجر في المصحف بعد سورة إبراهيم، وقبل سورة النحل، رقمها(١٥)، وهذا الترتيب توقيفي[٣].

ثالثاً: ترتيبها حسب النزول: نزلت سورة الحجر بعد سورة يوسف، ونزلت سورة يوسف بعد الإسراء وقبيل الهجرة، فيكون نزول سورة الحجر في ذلك التاريخ أيضاً، فهي نزلت بعد سورة يوسف، في الفترة الحرجة، ما بين عام الحزن وعام الهجرة.. تلك الفترة التي ظهرت طبيعتها وملابساتها ومعالمها من قبل في سورة يونس وفي سورة هود وفي سورة يوسف[٤].

رابعاً: عدد آياتها: "تسع وتسعون آية، ستمائة وثمان وخمسون كلمة، ألفان وثمان مائة وثلاثة وثمانون حرفا"[٥].

---

(١) صحيح البخاري (١٤٨/٤) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وإلى ثمود أخاهم صالحا} [الأعراف: ٧٣].

(٢) انظر: الحجازي، التفسير الواضح (٢٧١/٢).

(٣) انظر: السمرقندي، بحر العلوم (٢٥٠/٢)، النيسابوري، غرائب القرآن (٢٠٧/٤).

(٤) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (٢١٢١/٤)، جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (٢٧٣/٤).

(٥) مراح لبيد، لكشف معنى القرآن المجيد (٥٧٦/١).

خامساً: مكيتها أو مدنيتها: نزلت سورة الحجر بمكة، إلا أن العلماء لم يتفقوا على مكيتها بالكامل، فقد استثنى بعضهم حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧]، ويقول السيوطي: وينبغي استثناء قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر:٢٤]، لما أخرج الترمذي وغيره في سبب نزولها أنها نزلت في صفوف الصلاة، وعلى هذا فقول أبي حيان ومثله في تفسير الخازن أنها مكية بلا خلاف، سببه قلة التتبع للروايات[١]، أما رأي القرطبي، وما أخرجه النحاس[٢] في ناسخه، وابن مردويه[٣] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة الحجر بمكة، فهي مكية بالاتفاق[٤].

سادساً: مناسباتها لما قبلها: هناك تناسبٌ بين هذه السورة وسورة إبراهيم في البدء والختام والمضمون، **أما البداية:** فكلتا السورتين افتتحتا بوصف الكتاب المبين، وأما المضمون: ففي كليهما وصف السموات والأرض، وإيراد جزء من قصة إبراهيم عليه السلام، وبعض قصص الرسل السابقين، تسلية لرسول الله ﷺ، وتسرية لهمومه، لما تعرض له من أذى قومه، بتذكيره بما تعرض له الأنبياء من قبله، ونصرة الله ﷻ لهم، مع نقاش الكفار، وبيان أن العاقبة للمتقين.

وفي نهاية سورة إبراهيم عليه السلام وصف ﷻ أحوال الكفار يوم القيامة بقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم:٤٨-٥٠]، ثم قال ﷻ في سورة الحجر:

---

(١) انظر: السيوطي، الإتقان (٣٩/١)، تفسير الألوسي، روح المعاني (٢٤٩/٧).

(٢) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس، أبو جعفر، المرادي، المصري، المعروف بأبي جعفر النحاس، مفسر، فقيه، نحوي، لغوي، أديب، وسمع الكثير وحدث، من تصانيفه: (تفسير القرآن)، (ناسخ القرآن ومنسوخه)، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (٢٥١/١١)، الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٤٢/٧).

(٣) هو أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني الحافظ العلامة صاحب التفسير والتاريخ، وله المستخرج على صحيح البخاري، ولد سنة (٣٢٣هـ)، ومات سنة(٤١٠هـ)، انظر: أبو الفلاح، شذرات الذهب (٥٣٦/١١)، الزركلي، الأعلام (٢٦١/١).

(٤) انظر: الشوكاني، فتح القدير (١٤٥/٣)، السيوطي، الدر المنثور (٦١/٥).

﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢]، فأخبر أن المجرمين المذكورين إذا طال مكثهم في النار، ورأوا عصاة المؤمنين والموحدين قد أخرجوا منها، تمنوا أن لو كانوا في الدنيا مسلمين، وذلك وجه حسن في الربط[١]، هذا مع اختتام آخر لسورة إبراهيم عليه السلام بوصف الكتاب في قوله تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم:٥٢]، وهذا الختام يحدث عن القرآن الكريم بأنه بيانٌ موضح للناس شريعة الله عز وجل، وإثبات وحدانية الله عز وجل، وبلاغ يبلغ بهم طريق الحق والإيمان، فكان افتتاح سورة الحجر حديثاً آخراً عن القرآن الكريم، بأنه كتاب وقرآن مبين وواضح، وكان البداية مؤكدة لهذه الخاتمة[٢].

ولما تقدم من وعيد الكفار ما تضمنته الآي المختتم بها سورة إبراهيم عليه السلام من لدن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم:٤٢]، إلى خاتمتها [الآيات: ٣٢-٤٢]، أعقب ذلك بقوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢]، أي عند مشاهدة تلك الأهوال الجلائل يوم القيامة يتمنى أولئك الكفرة الفجرة لو كانوا مسلمين، ثم قال تعالى : ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣] تأكيداً لذلك الوعيد.

ثم أعقب تعالى هذا بيان ما جعله سنةً في عباده من ارتباط الثواب والعقاب معجلةً ومؤجلةً بأوقات وأحيان لا انفكاك لهما عنها، ولا تقدم ولا تأخر، إذ استعجال العقاب في الغالب إنما يكون ممن يخاف الفوت، ولكن العالم بهم تعالى، والقادر عليهم، وهم جميعاً في قبضته لا يفوته أحد منهم، ولا يعجزه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر:٤]، وكان هذا يزيده إيضاحاً قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم:٤٢]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذَابُ﴾ [إبراهيم:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾[إبراهيم:٤٨].

---

(١) انظر: السيوطي، أسرار ترتيب القرآن (ص:٩٩)، انظر: الزحيلي، التفسير المنير (١٤/٥).

(٢) انظر: الألوسي، روح المعاني (٧/٢٤٩)، تفسير المراغي (١٤/٣)، عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (٧/٢٠٩، ٢١٠)، الزحيلي، التفسير المنير (١٤/٦).

وأما افتتاح السورة بقوله ﷻ: ﴿الر تِلْكَ آَيَاتُ الكِتَابِ وَقُرْآَنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر:١]، فأحاله على أمرين واضحين أحدهما: ما نبه به ﷻ من الدلائل والآيات الواضحة المشاهدة بالعين، والمحسوسة والملموسة، وهذا في الحياة الدنيا.

والثاني: ما بينه القرآن المجيد وأوضحه وانطوى عليه من الأدلة الغيبية، والوعد والوعيد وتصديق بعض ذلك بعضاً، فالعجب من التوقف والتكذيب، ثم أعقب هذا بقوله ﷻ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢]، وهذا في الحياة الآخرة(١).

سابعاً: الخاتمة: فإن آخر سورة الحجر شديد الالتئام بأول سورة النحل، حيث إن آخر سورة الحجر قال ﷻ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]، ومعناها حتى يأتيك الموت، وأول النحل ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ﴾ [النحل:١]، فالمناسبة ظاهرة بين السورتين، لاحظ كيف عبر ﷻ في الحجر بالمضارع ﴿يَأْتِيَكَ﴾، وفي النحل عبر ﷻ بالماضي ﴿أَتَى﴾، فالله ﷻ يخبر عما وعد به أنه سوف يأتيك، ووعد الله ﷻ حق، فجاء ما وعد به ﷻ وتحقق وهذا ما عبر عنه في سورة النحل(٢).

ثامناً: العلاقة بين بداية سورة الحجر وخاتمتها:

ترى الباحثة أن سورة الحجر بدأت بوصف القرآن الكريم حيث قال ﷻ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴾[الحجر: ١]، وبينت موقف الكفار منه ومن الذي أنزل عليه، كيف كذبوه وسخروا منه حيث قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] ، وكيف كانت طلباتهم التي طلبوها من الرسول ﷺ تعجيزية، وبينت إصرارهم على الكفر حيث قال ﷻ: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الحجر: ٧]، واختتمت بدعوة النبي ﷺ على الاستمرار بالدعوة بالإنذار والتوضيح، والجهر بالدعوة، والإعراض عن المشركين، وبينت كيف كفاه الله ﷻ كيد المكذبين الذين كذبوه واتهموه بالجنون، وتعهد بحفظه وحفظ رسالته، وأمره أن يتسلح بعدة الداعية من التسبيح والسجود طول الحياة إلى الممات حيث قال ﷻ:

---

(١) انظر: أحمد بن إبراهيم، البرهان فى تناسب سور القرآن (١/٢٤٠، ٢٤١).

(٢) انظر: السيوطي، تناسق الدرر(ص: ٩٧، ٩٨).

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٩].

تاسعاً: موضوعات سورة الحجر:

سورة الحجر: كبقية السور المكية تدور حول نقاش المشركين في معتقداتهم وأفكارهم الفاسدة، وما يتبع ذلك من إثبات البعث، وبيان مظاهر قدرة الله ﷻ، وتذكير الإنسان بنشأته الأولى، وعلاقته بالملائكة والجن، وفيها ذكر قصص بعض الأنبياء، وختمت السورة بالحديث مع الرسول ﷺ (١).

وترى الباحثة: أن سورة الحجر من السور المكية التي عالجت العقيدة الفاسدة، فابتدأت بإعلان المنهج القويم، الذي تستقيم به الحياة، من خلال الكتب السماوية، ذات التشريعات الإلهية، فابتدأت بذكر القرآن الكريم حيث قال ﷻ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر:١]، وهو كتاب من عند الله ﷻ، للناس جميعاً، وهو معجزة الله العظمى، والدليل الأكبر على صدق رسول ﷺ، فيه سعادة الدارين، يشتمل على العقيدة والتشريع، ولكن قريش كفروا وكذبوا وأنكروا الأدلة الواضحة وضوح الشمس على صدق ما جاء به رسول الله ﷺ حيث قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦]، ولكن الله ﷻ أمر سيدنا محمد ﷺ أن يستمر في دعوته، ولا يأبه لهؤلاء الكافرين حيث قال ﷻ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤]، فهذه السورة مكية جاءت لتغيير عقيدة الكفر والضلال، لتحل مكانها عقيدة التوحيد، فانحراف العقيدة يحتاج إلى تغيير وإصلاح من خلال المنهجيات الآتية :

١. إثبات أن القرآن من عند الله ﷻ، بالأدلة والبراهين.
٢. إثبات صحة عقيدة التوحيد.
٣. إثبات نبوة محمد ﷺ.

(١) انظر: الحجازي، التفسير الواضح (٢/٢٧١).

٤. إثبات بطلان عقيدتهم.

٥. العمل على تغيير العقيدة الفاسدة وإصلاحها.

٦. الثبات على طريق الدعوة طول الحياة إلى الممات.

وقد بدأت سورة الحجر من حيث نهاية الدنيا، وبداية الآخرة، فصورت بدايتها مشاهد من أحوال الكافرين يوم القيامة حيث قال ﷻ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢]، فيتمنوا لو كانوا من المسلمين يوم الحسرة والندامة حيث قال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٢٧]، وهذا الندم الفظيع بسبب الإفراط في المعاصي في الحياة الدنيا حيث قال ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام:٣١]، فمن كان حاله التكذيب لا يعرف الندم إلا إذا رأى العذاب في أم عينيه في اليوم الآخر حيث قال ﷻ: ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس:٩٧].

أما في الحياة الدنيا فهو غارق في الشهوات والملذات حيث قال ﷻ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣].

وهذا التهديد والوعيد والزجر، لمن كذب بلقاء الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس:٤٥]، فيتضح أن الله ﷻ اهتم بالتذكير في اليوم الآخر؛ أحد أركان الإيمان الستة، الذي كذب به المشركون، فقد ذكره ﷻ في بداية السورة حيث قال ﷻ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢]، وفي وسط السورة حيث قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر:٢٥]، وفي نهاية السورة حيث قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٤٣]، وهذا كله في اليوم الآخر، وكما كان لعذاب الآخرة نصيب من التخويف والتهديد، كان لعذاب الدنيا أيضاً نصيب، حيث ذكرهم بمصير الأمم المكذبة، والمستهزئة بالكتب والرسل حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾

[الحجر:٤]، وأيضاً ذكرهم بقصص الأمم الغابرة في العذاب، قصة قوم لوط ﷺ، وقصة أصحاب الأيكة، وقصة أصحاب الحجر.

وأيضاً بين ﷻ أن العاقبة الحسنى للمؤمنين حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥–٤٨]، ولكي تستمر الرسالة أمر الله ﷻ سيدنا محمد ﷺ بالاستمرار بالدعوة إلى الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤]، وتكفل بحفظه من الأعداء المستهزئين، كما تكفل بحفظ رسالته حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:٩٥]، وهذا الحفظ يشمل الدعاة من بعده، فترفع يا محمد ﷺ عما يقولون، وأعرض عنهم، فإن الله ﷻ سيدافع عنك، ضد هؤلاء المشركين حيث قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦]، وهنا يظهر التهديد والوعيد مع من رفضوا الإصلاح والتغيير، وبين له عدة الداعية التي تعينه على إكمال مشوار الدعوة حيث قال ﷻ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٨ - ٩٩]، فهؤلاء ديدنهم الكفر، وتسلح أنت أيها الداعي إلى الله ﷻ بالتسبيح والسجود، من بداية الدعوة إلى الممات فهذه هي الغاية التي بُعثت من أجلها.

المبحث الأول

منهجيات الإصلاح والتغيير العقائدي في سورة الحجر

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: القرآن معجزة الله العظمى

المطلب الثاني: الدين عند الله الإسلام

المطلب الثالث: الأدلة الكونية على وحدانية الله ﷻ

المطلب الرابع: القدرة المطلقة

المبحث الأول

منهجيات الإصلاح والتغيير العقائدي في سورة الحجر

من أهم منهجيات الإصلاح والتغيير العقائدي وأبرزها في سورة الحجر تمثلت في أن القرآن الكريم هو المعجزة الإلهية العظمى، التي تم بها التحدي، وتحقق بها عجز الخلق عن الإتيان بشيء منها؛ لأن المعجزة ضرورية لإثبات صدق الرسل والرسالات، ثم عرضت السورة أدلة العقيدة وبراهينها، بصورة مفحمة واضحة، لا ينكرها إلا معاند جاحد لها عن عمد، ثم أوضحت السورة قدرة الله المطلقة، والتي من خلالها يتضح أن لهذا الكون خالقاً؛ يستحق وحده العبادة، ولا يستحق أحد سواه شيئاً منها، وتوعد بقدرته المطلقة أولئك الكفرة الفجرة المعاندين، الذين أنكروا وحدانية الله ﷻ، وكذبوا رسله، وجحدوا الرسالات، فأنزل بهم ألوان العذاب، وذكر لذلك أمثلة من قصص الأمم الماضية، ستتناول الباحثة بالذكر، ولذلك قسمت المبحث إلى ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: القرآن الكريم معجزة الله العظمى

١. وصف القرآن الكريم:

حيث قال ﷻ: ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴾ [الحجر: ١].

٢. موقف الكفار من القرآن:

حيث قال ﷻ: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦].

٣. تكفل الله ﷻ بحفظ القرآن:

حيث قال ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

٤. تفضل الله ﷻ على محمد ﷺ بالفاتحة والقرآن:

حيث قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧].

٥. موقف اليهود والنصارى من القرآن:

حيث قال ﷻ: ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ [الحجر: ٩١].

إن الله ﷻ أرسل للناس آيات عظمى، لكي يخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الأصنام إلى عبادة رب الأنام، بتغيير ما ترسب في نفوسهم؛ من موروثات الكفر والضلال، سواء كانت من الآباء والأجداد، أو من العادات والتقاليد، وإصلاحها بإتباع منهج قويم؛ منهج الإصلاح والتغيير، الذي اشتمل عليه القرآن الكريم، تلك المعجزة الخالدة التي تحدى بها أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان، أن يأتوا بمثله ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨]، كما ذكر الله ﷻ في محكم التنزيل الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصِّلت:٤٢]، أنه منزل من عند الله ﷻ وهو أساس رسالة التوحيد، والمصدر الأول للتشريع، وحجة الله ﷻ على خلقه، وحجة النبي ﷺ في رسالته، وسجل الشريعة المحكم في بيانه، والمرجع عند الاختلاف، والحكم العدل عند الافتراق، والطريق المستقيم المرشد عن الاعوجاج، تبدأ مشاكل العالم في البعد عنه، وتنتهي بالتمسك فيه، فمن تمسك به فاز، ومن تركه هلك، ومن سلكه وصل إلى طريق النجاة، ومن لجأ إليه اهتدى بنوره المبين الذي أشرقت له الظلمات، وبه يتحقق صلاح جميع المخلوقات[1]، حيث قال ﷻ: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾[الزمر: ٢٣].

١- **وصف القرآن الكريم:** قد ابتدأ ﷻ سورة الحجر بوصف القرآن وتعظيمه بقوله ﷻ: ﴿الر تِلْكَ آَيَاتُ الكِتَابِ وَقُرْآَنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر:١].

القرآنَ في الاصطلاح: كلام الله المُعجِز، المُنزّل على قلب النبيِّ ﷺ، بواسطة الوحي جبريل ؛، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، والمتحدى بأقصر سورة منه، والمتعبَّد بتلاوته، من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس[2].

قوله ﷻ: ﴿وَقُرْآَنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر:١]، نكر القرآن للتفخيم، ووصفه بالمبين، لأنه يبين لمن تأمله وتدبره رشده وهداه، ولأنه أظهر الحق من الباطل، ونصر الحق، وأزهق الباطل، فهو كتاب

---

(١) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين (٢٧/١)، أبو زهرة، المعجزة الكبرى (١١/١)، فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن (٥٨/١).

(٢) انظر: الزرقاني، مناهل العرفان (٢١/١)، خالد بن عبد الرحمن، معلم التجويد (٢٠/١).

هداية وتشريع؛ فيه الآيات الدالة على أحسن المعاني وأفضل المطالب، بأحسن الألفاظ وأتمها، وأدلها على المقصود، يبين لمن تأمله وتدبَّره الطريق الواضح، للحقائق العقائدية، والتشريعات السماوية، وهذا مما يوجب على الخلق الانقياد إليه، والتسليم لحكمه، وتلقيه بالقبول، والفرح والسرور، وعليه فهو منهج حياة واضح، به تتحقق هداية الناس إلى ذكر الله ﷻ وعبادته، لأنه يؤثر في نفوسهم، وأرواحهم وجلودهم، فتخشع وتنصاع لذكر الله ﷻ[١].

وقيل: "الكتاب: اسم لجنس الكتب المتقدمة من التوراة والإنجيل، ثم قرنهما بالكتاب المبين، وقيل: الكتاب هو القرآن، جمع له بين الاسمين"[٢].

فمقصود هذه الآية الاعتقاد بأن القرآن بلاغ جامع للأمور الموصلة إلى الله ﷻ، مغنياً عن جميع الأسباب.

ويأتي بعد ذلك دعوة من الله ﷻ لسيدنا محمد ﷺ بترك كل من كذب به، وعدم الاهتمام بهم، حيث قال ﷻ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣]، لأن الله ﷻ ناصرك بغيرهم، فلا ينبغي الالتفات إلى شيء سواه ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحجر:٨٨]، ولا تتمنى ما متعناهم به من زينة الحياة الدنيا، ولا تستغرب ذلك، فهو ابتلاء وإلى زوال، ينتهي بانتهاء حياتهم، لإقامة الحجة عليهم، أما أنت يا نبي الله فاستمر في دعوتك طول حياتك إلى الممات، فهذه رسالتك في الحياة التي خلقت من أجلها[٣]، حيث قال ﷻ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩].

٢- تكفل الله ﷻ بحفظ القرآن الكريم:

حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، فهو الكتاب الوحيد على وجه الأرض الذي تكفل الله ﷻ بحفظه من التحريف والضياع، وهو المعجزة العظمى الدالة على وحدانية الله ﷻ.

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (٥٩/١٧)، السيوطي، الإتقان (١٨١/١)، الزمخشري، الكشاف (٥٦٩/٢)، السعدي، تيسير الكريم (٤٢٩/١).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١/١٠).

(٣) انظر: البقاعي، نظم الدرر (٣/١١).

وهذا رد من الله ﷻ على الذين قالوا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦]، وهذا الرد إن دل على شيء؛ إنما يدل على المكانة الرفيعة للقرآن، لأن شرف الكلام من شرف قائله، كيف لا وهو كلام الله ﷻ، وحفظ الذكر هذا الأمد الطويل، من التحريف والتبديل والضياع؛ يدل على أنه كلام الله ﷻ، ولا ريب أنه "دين الحق الذي بعث به رسوله ﷺ، ظاهر على كل تقدير، فإن الله ﷻ وعد بإظهاره على الدين كله، ظهور علم وبيان، وظهور سيف وسنان، فقال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣]، فيظهره بالدلائل، والآيات العلمية التي تبين أنه حق، ويظهره أيضاً بنصره، وتأييده على مخالفيه"[1]، فهو بالتالي أعظم دليل على صدق رسول الله ﷺ، وقد بقي هذا القرآن محفوظًا من التحريف والتبديل، وسيبقى كذلك إلى يوم الدين، معلناً أن محمداً ﷺ رسول الله إلى الناس كافة حيث قال ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وأن رسالته منهج حياة للناس جميعاً حيث قال ﷻ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

٣- تفضل الله ﷻ على محمد ﷺ بالفاتحة والقرآن:

حيث قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر:٨٧]، إنها سورة الفاتحة، وسميت مثاني من التثنية، لأنها نزلت مرتين: مرة بمكة، ومرة بالمدينة، ولأنها تتكرر في كل صلاة، أو لأن بعضها يضاف إلى الحق، وبعضها يضاف إلى الخلق[2]، وامتنَّ الله على رسوله ﷺ بهذه السورة كما امتنَّ عليه بجميع القرآن حين قال: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧]، أي: العظيم القدر والشأن، عن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: [أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ][3]، ولعظمة قدر الفاتحة التي هي سورة من سور القرآن الكريم خصها ﷻ بالذكر، كما خص القرآن الكريم، فلا تصح الصلاة إلا بها.

---

(١) ابن تيمية، شرح العقيدة الواسطية (١/١٠) بتصرف.

(٢) انظر: القشيري، لطائف الإشارات (٢/٢٧٩، ٢٨٠) ، الواحدي، الوجيز (١/٥٩٧).

(٣) صحيح البخاري (٦/٨١)، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ:
{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ المَثَانِي وَالقُرْآنَ العَظِيمَ} ح (٤٧٠٤).

٤- **موقف الكفار من القرآن:**

حيث قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦]، انحرف كثير من أبناء آدم عليه السلام، وأضلهم الشيطان وأغواهم وكان موقفهم من القرآن الكريم موقف عداءٍ واستهزاءٍ به وبالذي أنزل عليه، وهؤلاء هم كفار قريش؛ وهم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان، يعلمون جيداً أن هذا الذكر فوق مستوى البشر، وهم الذين عجزوا عن الإتيان بأقصر سورة من مثله ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:٢٣]، وطلبوا غيره من المعجزات، من باب التحدي والعناد فقالوا: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[الحجر:٧]، وهذا طلب يدل على حالة الإفراط في الكفر التي يعيشونها، كما يدل على عظيم الظلم والجهل؛ ظلم: لأنهم اشترطوا على الله ﷻ معجزاتٍ هم في غنى عنها، ولو فكروا بعقولهم المغيبة، لكفاهم القرآن الكريم معجزة، ولوجدوا الكون من حولهم، مليئاً بالمعجزات الدالة على صدق ما جاء به سيدنا محمد ﷺ، وجهل: لأنهم لا يعرفون ما يضرهم مما ينفعهم فيطلبون العذاب بألسنتهم ويستعجلونه [١].

٥- **موقف أهل الكتاب (اليهود والنصارى) من القرآن:**

حيث قال ﷻ: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩٠،٩١]، هم أهل الكتاب من جعلوا القرآن أجزاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر: ٩٠]، أي: اليهود والنصارى (آمنوا ببعض وكفروا ببعض)، وقيل: هو من الاقتسام لا من القسم، أي قسموا القرآن إلى حق وباطل، وعنه قال: في معنى ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾[الحجر: ٩١]، قال: "هم أَهل الكتابِ جزَّءُوهُ أَجْزاءً، فَآمنوا بِبعضهِ وكفروا بِبعضه"[٢]، ولو نظرنا إلى حال هؤلاء وهؤلاء، لوجدنا أنهم خسروا الدنيا والآخرة، بكفرهم بهذا الدين.

---

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم (٤٢٩/١).

(٢) صحيح البخاري (٨١/٦، ٨٢)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {الذين جعلوا القرآن عضين} [الحجر: ٩١]،ح (٤٧٠٥، ٤٧٠٦)، [تعليق مصطفى البغا].

وبناءً على ما تقدم ترى الباحثة: أن الكتب السماوية السابقة، بما فيها القرآن الكريم جميعها من مشكاة واحدة، يهدف إلى إصلاح البشرية، وتغيير ما فيهم من كفر وعناد، وأن الله ﷻ قبل أن يكلف عباده بعبادته، وضح لهم منهج العبادة، من خلال الكتب السماوية، والرسل الكرام على مر الزمان، وإن هذه الآية ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر:١]، بينت أن منهج القرآن واضح، وبه قامت الحجة على العالمين، فهو أهل للتغيير والإصلاح؛ لأحوال الناس، في جميع مجالات حياتهم، وعلى جميع الناس اتباع هذا المنهج العظيم، واتخاذه شريعة متبعة إلى يوم الدين، فهو خاتم الكتب، وناسخ لها وشامل لنواحي الدين والدنيا، وأرسل للناس كافة.

فلا عجب أن يكون القرآن الكريم هو منهج الإصلاح والتغيير؛ لجميع ما يعترض الحياة الإنسانية في مسيرتها؛ من مشاكل روحية وعقلية واجتماعية واقتصادية وسياسية، فهو تنزيل من حكيم عليم، يعلم احتياجات البشرية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ويعلم ما يصلح لها في كل زمان ومكان، فاحتوى القرآن الكريم منهج الإصلاح والتغيير، وجعله باقياً إلى يوم الدين(١)، ويستطيع المسلمون اليوم بهذا المنهج إصلاح العالم مما اعتراه من فساد كما أصلح العرب عند نزوله.

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: إنزال منهج معجز واضح؛ بين للناس كافة طرق الوصول إلى الله ﷻ، يتكفل بإصلاح جميع جوانب الحياة، لكل البشر بشكل تعجز عن مثله جميع القوانين الأرضية حيث قال ﷻ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر:١].

ثانياً: بيان أن الغاية من إرسال الرسل وتنزيل الكتب؛ إصلاح الناس وهدايتهم، وتغيير ما فسد من عقائدهم حيث قال ﷻ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾[الحجر: ١]، وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: ١٠].

---

(١) انظر: فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن (١٧/١).

ثالثاً: حفظ القرآن من الضياع، والخلط والتحريف، إلى يوم الدين، حيث قال ﷻ: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر:٩].

رابعاً: بيان موقف كفار قريش من القرآن الكريم وكشف حقيقتهم حيث قال ﷻ: ﴿**وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**﴾ [الحجر:٦].

خامساً: تسجيل موقف اليهود والنصارى اتجاه القرآن الكريم، وفضح نواياهم الخبيثة حيث قال ﷻ: ﴿**الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ**﴾ [الحجر:٩١].

سادساً: إصلاح العالم اليوم بالقرآن الكريم، وتغيير ما اعتراه من فساد، كما أصلح العرب عند نزوله.

المطلب الثاني: الدين عند الله ﷻ الإسلام

حيث قال ﷻ: ﴿**رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾ [الحجر:٢].

إن الله ﷻ شرع للناس جميعاً دين الإسلام، وأكد ﷻ على اتباعه في جميع الديانات، حيث نادى به جميع الأنبياء حيث قال ﷻ: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصِّلت:٣٣]، فهو قائم على وحدانية الله ﷻ، ولكن الذين لوثوا فطرتهم بالشرك أنكروا وحدانية الله ﷻ، وكفروا به، وهؤلاء لا يدركون سوء صنيعهم إلا بعد فوات الأوان، يوم يرون العذاب الأليم بأم أعينهم، فتدخل في قلوبهم الحسرة والندم، على ما فرطوا به، فهم أُناس ختم الله ﷻ على قلوبهم بسبب كفرهم ومعاصيهم، فما نفع معهم تغيير، ولا أفادهم إصلاح.

أ- **معنى الكفر:**

* **الكفر لغة:** (كفر) الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية [١].

---

(١) بن فارس، مقاييس اللغة (١٩١/٥).

* **الكفر اصطلاحاً**: الجحود والنكران، والكفر نقيض الإيمان حيث قال ﷻ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢]، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾[القصص:٤٨]، أي جاحدون، لأن الكافر يستر قلبه ويغطيه بكفره ويجحد وحدانية الله ﷻ، والشريعة والنّبوّة، وينكر ما جاء به سيدنا محمد ﷺ، وهو أعظم الكُفْرِ، وينكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة[١].

* **وسماهم كافرين**: لأن هؤلاء القوم أشركوا بالله السميع العليم، وعبدوا من دونه أصناماً؛ لا تضر ولا تنفع حيث قال ﷻ: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة:٧٦]، فجحدوا وحدانية الله ﷻ، وأنكروا كل الشواهد على ذلك، وقد حذر الله ﷻ من الشرك حيث قال: ﴿إِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[النساء: ١١٦]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: (قال اللَّه ﷻ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه، وأنا منه بريء)[٢]، أي هو الوحيد الذي لا يحتاج إلى شريك، وغني بنفسه عمن سواه، ولكن هؤلاء تركوا عبادة الله الخالق؛ الذي خلقهم وأشركوا به، وهو الذي خلق لهم الكون الذي تصلح فيه الحياة حيث قال ﷻ: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر:١٩]، لكي يتسنى لهم عبادته فهي الغاية الأسمى التي خلقوا من أجلها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، ولكنهم تَعَالَوْا وعبدوا من دونه من حيث قال ﷻ: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل:٢٠]، وعبدوا من دونه من لا يملك لهم رزقاً، وكفروا بالله الرَّزَّاق حيث قال ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل:٧٣]، فهؤلاء سوف يندمون على رفض الإسلام؛ لأنهم رفضوه وناصبوه العداء حيث قال ﷻ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢]، وسوف يتمنى الذين جحدوا وحدانية الله، وعصوا رسوله، لو كانوا مسلمين،كما يتمنون لو أن لهم خزائن الأرض

([١]) انظر: ابن منظور، لسان العرب (١٤٤/٥)، الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (٧١٤/١).

([٢]) صحيح مسلم، (٢٢٨٩/٤)، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله،ح(٢٩٨٥).

فيبذلونها فداءً لأنفسهم من العذاب العظيم الذي طالما أنكروه حيث قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾[يونس: ٥٤]، فأخفى رؤساء الكفر عن الذين أضلوهم الندامة والحسرة، وستروها عنهم، هذا قول عامة المفسرين وأهل التأويل، وقال غيرهم: الإسرار من الأضداد، يقال: أسررت الشيء أخفيته، وأسررته أعلنته، ومن الإعلان قوله ﷻ: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ [يونس:٥٤]، أي: أظهروها، لأن ذلك اليوم تذهل فيه العقول، وتشخص الأبصار، لا يوم تصبر ولا تصنع[١].

وترى الباحثة: أن الإسرار بمعنى الإظهار؛ لأن المقام هنا يقتضى الخوف والفزع والاضطراب؛ الذي يجعل الإنسان يخرج عن طوره، فلا مجال لضبط النفس وإخفاء ما تُكِنه، فالموقف جلل، تذهل فيه العقول، وتشخص الأبصار.

وقال ﷻ: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ [يونس: ٥٤]، أي: بين الرؤساء، حيث قال ﷻ: ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس:٥٤]، لأنهم يجازون بشركهم حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[النحل:١١٨]، وأيضاً يتمنون لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأرْض فيصبحون تراباً، كما يفعل ذلك بالبهائم[٢]، لأنهم لم ينتصحوا عندما أنذرهم عذاب هذا اليوم حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النَّبأ:٤٠]، فهذا يوم عسير، آت لا محالة قريباً غير بعيد حيث قال ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٤٢]، ويتمنوا لو كانوا مسلمين حيث قال ﷻ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢].

هذه شواهد من القرآن الكريم تدل على مدى الحسرة والندامة التي تجتاح نفوس هؤلاء الكفرة الفجرة، حيث لا تضاهيها حسرة في الدنيا والآخرة، كما تدل على العقيدة الفاسدة التي حملتها صدور هؤلاء القوم، فما نفعهم إصرار النبي ﷺ على إصلاحهم، أو تغيير ما تكنه أنفسهم من حقد له، ولدعوته، ولو أمعنا النظر في العصر الذي نحياه، لوجدنا أن الزمن يعيد

---

(١) انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (٣/٢٥)، الواحدي، الوسيط (٢/٥٥٠).

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان (٨/٣٧١، ٣٧٢).

نفسه، فلكل عصر مؤمنيه وكافريه، وأعداء الدين في هذا العصر يحاربون الإسلام، ويعادون المسلمين، حقداً وكراهيةً لسيدنا محمد ﷺ، فهم يحاولون الانتقام من هذا الدين، بكافة الوسائل، وشتى الطرق، ولكنهم إذا أصروا على كفرهم سوف يندمون ندم من كان قبلهم ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢].

ب- **معنى الإسلام:**

* **الإسلام لغة:** (سلم) السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية(١).

والسلم والسلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة(٢) قال ﷻ: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصَّفات:٨٤].

* **الإسلام اصطلاحاً:** الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول ﷺ والاستسلام لله ﷻ بالتوحيد، والمتابعة، والتخلص من الشرك، متضمناً الدين كله من العقائد والأعمال والأحكام(٣)، والإسلام نقيض الكفر﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢].

والإسلام هو دين الأنبياء والرسل جميعاً قال ﷻ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].

وهو الدين الوحيد المقبول عند الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران ١٩].

ولا يقبل الله ﷻ ديناً غيره حيث قال ﷻ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران ٨٥].

---

(١) بن فارس، مقاييس اللغة (٩٠/٣).

(٢) الاصفهاني، المفردات (ص: ٤٢١)

(٣) انظر: الجرجاني، التعريفات (ص: ٢٣)، أبي عمرو الداني، الرسالة الوافية (ص: ١٧٨)، ابن باديس، العقائد الإسلامية (٤٢/١)، حافظ بن أحمد، أعلام السنة المنشورة (٨/١).

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)[1]، وأمر الرسول ﷺ أن يقاتل الناس حتى يتبعوا هذا الدين، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)[2]، أي أمر الرسول ﷺ أن يقاتل الناس حتى يدخلوا في هذا الدين، ويعترفوا بكلمة التوحيد، فيسلموا أو يخضعوا لحكم الإسلام إن كانوا أهل كتاب يهوداً أو نصارى، فبذلك يحفظون دماءهم، فإذا فعلوا ما يستوجب عقوبة مالية أو بدنية في الإسلام، فإنهم يؤاخذون بذلك قصاصاً، وحسابهم على الله ﷻ فيما يتعلق بسرائرهم وما يضمرون[3].

وعلى ما تقدم ترى الباحثة: أن الدين الإسلامي هو دين العالَمَيْن؛ الجن والإنس، وهو دين عالمي للبشرية جمعاء، فيه تتحقق السعادة الأبدية؛ سعادة الدارين في الدنيا والآخرة، سعادة الفوز بالجنة والنجاة من النار، ولا أمل في سعادة من أعرض عنه وكفر حيث قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه:١٢٤]، فما أحوج المسلمين اليوم للرجوع إلى دين الله ﷻ، ونشره بين ربوع المعمورة، حتى يصل كل إنسان، فيؤدوا الأمانة التي في أعناقهم، ويقيموا الحجة على غيرهم، فالضنك الذي يحيط بهم اليوم في معيشتهم؛ إنما هو نتاج البعد عن دين الله ﷻ.

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: التحذير من الكفر، وبيان حال الراغبين عن الإسلام حيث قال ﷻ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢].

ثانياً: وجوب اتخاذ الإسلام دينا، وتحريم القبول بغيره حيث قال ﷻ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢]

ثالثاً: حفظ المنهج والتشريع الإسلامي، بحفظ القرآن الكريم، لأنه المعجزة الخالدة، للناس أجمعين حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

رابعاً: الدين الإسلامي دين الأنبياء جميعاً إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

([1]) صحيح البخاري (١١/١)، باب قول النبي ﷺ: (بني الإسلام على خمس)ح(٨).

([2]) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة (١٤/١)،ح(٢٥).

([3]) انظر: تعليق مصطفى البغا، صحيح البخاري (١٤/١).

المطلب الثالث: الأدلة الكونية على وحدانية الله ﷻ

حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ * وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر: ١٠-٢٥].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ [الحجر:٨٥].

وترى الباحثة: أن منهج القرآن الكريم هو منهج الإصلاح والتغيير للناس كافة، ولقد احتوت سورة الحجر على هذا المنهج ضمن أدلة وبراهين عديدة، تؤكد وحدانية الله ﷻ وتوضحها، لكي يتحقق المقصد من إرسال الرسل، وتنزيل الكتب، حيث قال ﷻ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر:١]، فهذه آيات الكتب السابقة، وآيات القرآن المبين، جاءت لتوضح للناس أن الله ﷻ وحدهُ المستحق للعبادة، والمتفرد بالألوهية، فمن كان منكم ذا فطرة نقية؛ سوف ينتفع بهذا الكتاب، ويصدق به، وبالذي أنزل عليه، ومن لوث فطرته بالشرك لأسباب معينة، وكان لديه استعداد نفسي لاتباع الحق إذا ما ظهر له؛ سوف ينقاد للتغيير والإصلاح وينتفع به، أما هؤلاء الذين أصروا على الشرك، وشوهوا فطرتهم به؛ أمثال كفار قريش، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وغيرهم على مدى العصور والأزمنة، لا يصلح معهم تغيير، ولا ينفعهم إصلاح، فهؤلاء أصحاب النفوس المريضة العنيدة المتكبرة، دائماً يطلبون الدليل المادي، ليس بهدف الوصول إلى الحقيقة؛ إنما بهدف التضييق والتعقيد، فالكون مليء بالبراهين والأدلة الكونية على وحدانية الخالق، سواء كان ذلك في نزول القرآن الكريم باللغة التي يفهمون، أو في خلق السماوات والأرض، أو في خلق الإنسان، ومشاهد الرياح اللواقح، والحياة والموت، والحشر والنشر، وهي عديدة لا تحصى، أو في أخذ العبرة والعظة من الأمم السابقة، فهذه الأشياء كفيلة لتغيير العقيدة الباطلة؛ عقيدة الشرك والضلال،

وإصلاحها بعقيدة التوحيد حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧].

ومن منهج القرآن الكريم مخاطبة العقل لإثبات قضية الألوهية، بدعوته للتفكر والتدبر في مخلوقات الله ﷻ، الدالة على وحدانيته، فهذا الكون المخلوق، بهذه الدقة المتناهية في الصنعة، يدل على أن الخالق واحد أحد، متفرد في الخلق، وإن في الدلائل السماوية والأرضية، رد على منكري النبوة، فبعد أن ذكر الله ﷻ كفر الكافرين، وذكر شديد جحودهم، وعجز أصنامهم، وأنهم مهما أُوتوا من الآيات لم ينفعهم ذلك شيئاً، حتى بلغ من أمرهم أن ينكروا المشاهدات، ويدعوا الخداع حين رؤية المبصرات؛ ذكر كمال قدرته في خلق الكون، وقد ثبت أنَّ القول بالنبوةِ فرعٌ من القول بالتوحيد، لأن رسالة النبي ﷺ جاءت بالتوحيد فأتبعه ﷻ بدلائل لتثبت صدق ما جاء به رسول الله ﷺ، وهذه الأدلة: منها سماويَّة، ومنها أرضية[1]، ستذكرها الباحثة حسب ورودها في الآيات:

أولاً: هو خالق السماء، حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر:١٦]، ففي السماء: البروج، والكواكب الساطعة، وهذا هو الدليل الأول على إثبات الوحدانية لله ﷻ، لتغيير وإصلاح العقيدة الفاسدة، واستبدالها بالعقيدة الصحيحة.

ثانياً: خالق الأرض حيث قال ﷻ: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر:١٩]، ففي الأرض الممدودة: الجبال الراسيات، والنباتات المقدرة بمقادير معلومة موزونة بميزان الحكمة والعلم، ومقدرة بمقدار معين تقتضيه المصلحة المشتملة على معايش الإنسان والحيوان، المختلفة الأجزاء في الوضع، المختلفة خلقة وطبيعة، ليدل على كمال قدرته، وتناهي حكمته، وتفرده بالألوهية، والامتنان على العباد بما أنعم عليهم، ليوحدوه ويعبدوه، وفيه ضرب من الاستدلال على مكابرتهم، فإنهم لو أرادوا الحق لكان لهم في دلالة

---

(1) انظر: أبو حفص النعماني، اللباب في علوم الكتاب (٤٣٨/١١)، القرطبي، الجامع (٩/١٠)، تفسير المراغي، (١٢/١٤).

خلق السماوات والأرض غنى عن تطلب خوارق العادات[1]، وهذا هو الدليل الثاني على إثبات الوحدانية لله ﷻ، لتغيير وإصلاح العقيدة الفاسدة، واستبدالها بالعقيدة الصحيحة.

ثالثاً: كافل الرزق للناس أجمعين حيث قال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ [الحجر:٢٠]، أي إن أنواع معايشكم من غذاء وماء، ولباس ودواء، هي رزق من عند الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾[الحجر:٢٠]، من العيال والمماليك والخدم والدواب، فكل أولئك رزقهم على خالقهم لا عليكم، فلكم منها المنفعة، ورزقها على الله ﷻ [2]، وهذا هو الدليل الثالث على إثبات الوحدانية لله ﷻ لتغيير العقيدة الفاسدة، وإصلاحها واستبدالها بالعقيدة الصحيحة.

رابعاً: المالك لخزائن الرزق حيث قال ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر:٢١]، إن الله ﷻ خلق كل شيء بمقدار معلوم مما ينتفع به العباد، وتتحقق فيه مصلحتهم، من أجل إصلاح عقيدتهم، ليتسنى لهم عبادة الله على الوجه الذي يرضيه، وأصل هذه الأشياء موجود في خزائن عنده ﷻ، ثم ينزل منه بقدر معلوم حسب حاجة العباد، مما يصلح أحوالهم[3]، وهذا هو الدليل الرابع على إثبات الوحدانية لله ﷻ لتغيير وإصلاح العقيدة الفاسدة واستبدالها بالعقيدة الصحيحة.

خامساً: مرسل الرياح لواقح حيث قال ﷻ: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[الحجر:٢٢]، فيبعث الله ﷻ الرياح لَواقِحَ حوامل، ملقحة لتلقح السحاب، فتحمل الماء، وتمجه في السحاب، والله ﷻ هو محركها، فهي حوامل بالسحاب؛ لأنها تحمله في جوفها، ولأن الرياح تلقح النبات والأشجار؛ فتنقل من ذكرها لأنثاها حيث قال ﷻ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤][4]، وهذا هو الدليل الخامس على إثبات الوحدانية لله ﷻ، لتغيير العقيدة الفاسدة، وإصلاحها واستبدالها بالعقيدة الصحيحة.

---

(1) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (٢٢/١٤)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٧/١٤).

(2) انظر: تفسير المراغي (١٥/١٤).

(3) انظر: الزمخشري، الكشاف (٥٧٤/٢)، الرازي، مفاتيح الغيب(١٣٣/١٩)، النسفي، مدارك التنزيل (١٨٧/٢)، عبد القادر العاني، بيان المعاني (٢٨٨/٣).

(4) انظر: الأبياري، الموسوعة القرآنية (١٧٩/١٠)، محمد الخطيب، أوضح التفاسير (٣١٣/١).

سادساً: المحيي والمميت، فقد ثبت بالدلائل العقلية، والمشاهد الكونية، أن الله ﷻ هو وحده القادر على خلق الحياة والموت؛ وهذا دليلٌ قاطعٌ على وجود الإله المتفرد بالوحدانية، حيث قال ﷻ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر:٢٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ [الحجر:٢٣]، يفيد الحصر؛ أي لا قدرة على الإحياء ولا على الإماتة إلا لله ﷻ، فهو القادر على بعثهم أحياء مرة أخرى للحساب، فيجمعهم الله ﷻ يوم القيامة وكلهم ميت، ثم يحشرهم ربهم، هذا من هاهنا، وهذا من هاهنا حيث قال ﷻ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق:٤]، لأن الله ﷻ حكيم في إحياء خلقه إذا أحياهم، وفي إماتتهم إذا أماتهم، عليم بعددهم وأعمالهم، وبالحيّ منهم والميت، وقوله ﷻ: ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر:٢٣]، معناه: أنه إذا مات جميع الخلائق، فحينئذ يزول ملك كل واحد منهم عند موته، ويكون الله ﷻ هو الباقي الحق المالك لكل المملوكات وحده، وكان هذا شبيهاً بالإرث وكان وارثاً من هذا الوجه، ونظيرُ ذلك قولُه ﷻ: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦]، والمُلْكُ له أزليٌّ وأبديٌّ(١)، وهذا هو الدليل السادس على إثبات الوحدانية لله ﷻ لتغيير العقيدة الفاسدة، وإصلاحها واستبدالها بالعقيدة الصحيحة.

سابعاً: العالم بأدق الأمور حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر:٢١]، فهو لديه العلم المطلق، بأرزاق العباد، ولديه العلم المطلق بالمستقدمين من آدم ﷺ ومن بعده، والمستأخرين وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر:٢٤]، من كان من ذريته لم يخلق بعد وهو مخلوق ، كل هذا في علم الغيب عند الله ﷻ (٢).

وهذا هو الدليل السابع على إثبات الوحدانية لله ﷻ لتغيير وإصلاح العقيدة الفاسدة، واستبدالها بالعقيدة الصحيحة.

ثامناً: جامع الناس ليوم لا ريب فيه، اليوم الآخر، قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر:٢٥]، وهذا من أعظم الأدلة على وحدانية الله ﷻ، الإيمان باليوم الآخر، فبشر

---

(١) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (١٣٤/١٩، ١٣٦)، أبو يحيى الأنصاري، فتح الرحمن (٢٩٧/١).

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان(٩٥/١٧)، تفسير عبد الرزاق (٢٥٦/٢).

وأنذر به يا أكمل الرسل إنَّ ربك هو المطلع بسرائر الماضي والحال والمستقبل والأزمنة والسماوات مطويات والأرض بيمينه حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمر:٦٧]، وهو يحشرهم في المحشر يوم القيامة للحساب والجزاء، حسب حكمته المتقنة، وكيف لا؟ إِنَّهُ في ذاته وأوصافه وأفعاله حَكِيمٌ متقن الفعل، متين الصنع والعمل، عَلِيمٌ لا يعزب عن حيطة حضرة علمه شيء، يجمعهم يوم القيامة جميعاً على ما علم منهم، وذلك تنبيه على أنَّ إثبات الوحدانية لله ﷻ، والنبوة، واليوم الآخر، والحشر، والنشر، والبعث، من أركان العقيدة، والإيمان بها أمرٌ واجبٌ لأنَّ الحكمة تقتضي وجوب الحشر(١)، وهذا هو الدليل الثامن على إثبات الوحدانية لله ﷻ لتغيير وإصلاح العقيدة الفاسدة واستبدالها بالعقيدة الصحيحة.

تاسعاً: خالق السماء والأرض بالحق، فلم تخلق سدى، وأن الساعة هي الفيصل حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ [الحجر:٨٥].

وهذه الأدلة كفيلة لإصلاح وتغيير المسلمين في العصر الحديث، ومن ثم تمكينهم في الأرض لنشر الإسلام في أنحاء المعمورة.

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: إثبات الوحدانية لله ﷻ، من خلال القدرة على الخلق، والإبداع المتقن في هذا الكون، حيث أن المتفرد بالعبودية يتصف بالقدرة ، فهو المبدع الذي أبدع في خلق السماء حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّماءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر:١٦]، وأبدع في خلق الأرض فقال ﷻ: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر:١٩] .

ثانياً: ضرب أروع الأمثلة من المعجزات، دعوة للتفكر والتدبر، بالآيات التي تدل على وحدانية الله ﷻ، مثل السماء، الأرض، الرزق بأنواعه، الرياح، الإحياء والإماتة، العلم المطلق، البعث والحشر.

---

(١) انظر: أبو حفص النعماني، اللباب في علوم الكتاب (٤٥٠/١١)، الشيخ علوان، الفواتح الإلهية (٤١٣/١)، السيوطي، الدر المنثور (٧٦/٥).

ثالثاً: القدرة على الحفظ فمن حفظ السماء، وطهرها من الشياطين حيث قال ﷻ: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر:١٧]، قادر أن يحفظ الأرض من المجرمين، ويطهرها من الكافرين ولو بعد حين، وقال ﷻ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر:١٣].

رابعاً: إثبات عجز المخلوقين عن توفير رزقهم ناهيك عن رزق غيرهم دليل افتقارهم، وإثبات الوحدانية للرزّاق ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [الحجر:٢٠].

خامساً: إثبات الصفات العليا لله ﷻ، مثل الحكمة والعلم، يدل على كمال الوحدانية لله ﷻ، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر:٢٥].

سادساً: إرساء المنهج العلمي الدقيق القائم على الاستدلال الصحيح حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر:٢١]، حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر:٢٤]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر:٢٥].

سابعاً: التأكيد على أن الغاية من خلق السماوات والأرض توحيد الله ﷻ، ولم تخلق سدى، وأن الساعة هي الفيصل، حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ [الحجر:٨٥].

ثامناً: الأدلة الكونية حجة قائمة على جميع البشر للدلالة على وحدانية الله ﷻ.

المطلب الرابع: القدرة المطلقة

١. القدرة على خلق الكون:

قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ...إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجر:١٠-٢٥].

٢. القدرة على خلق الإنسان والجان:

قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[الحجر: ٢٦، ٢٧].

٣. **القدرة على خلق الإنسان من العدم:**

قال ﷻ: ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[الحجر: ٥٣].

٤. **القدرة على إهلاك الظالمين:**

قال ﷻ: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر:٤].

وقال ﷻ: ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٥٨، ٥٩].

وقال ﷻ: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ [الحجر: ٧٣، ٧٤].

وقال ﷻ: ﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[الحجر: ٧٨، ٧٩].

٥. **القدرة على حماية أوليائه:**

قال ﷻ: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:٩٥].

هناك علاقة وثيقة بين المطالب السابقة، وهذا المطلب، حيث إن المطالب جميعاً تهدف إلى إثبات وحدانية الله ﷻ، وبالتالي إثبات القدرة المطلقة له، مع أن ذلك ثابت بالفطرة حيث قال ﷻ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم:٣٠] .

"فإنه مستقر في الذهن أن القدرة المطلقة التي لا يغلبها أي شيء، هي لله وحده، وهكذا بقية الصفات"[١].

فالمؤمن يرى في العالم الطبيعي من حوله، وفي القوانين التي تحكم أجزاءه، آية عظيمة من آيات الله ﷻ، ودلالة بالغة على قدرة الله المطلقة، وإن حدثت معجزة مخالفة للسنن أمام المؤمن، فإن ذلك لا يثير عجبه أو دهشته، بقدر ما يثير فيه دلالته على الشعور بعظمة الله ﷻ، ويرى فيه دلالة على القدرة المطلقة لله ﷻ، كما يرى في الأمور التي تحدث حسب سنن الله الجارية في الطبيعة، دلالة على قدرة الله المطلقة وإرادته[٢].

---

(١) الحوالي، شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٩٧).

(٢) انظر: مفهوم القدر والحرية عند أوائل الصوفية (١/ ١٧٧).

١. **القدرة على خلق الكون:** المعجزات الكونية دليل على القدرة المطلقة لله ﷻ، وحينما حدد كفار قريش المعجزات التي يريدونها لم يعطهم ﷻ إياها، رحمة بهم، لأنهم إن كذبوا بها سيحق عليهم العذاب، لذلك لفت أنظارهم إلى المعجزات الكونية الجارية التي تدل على وحدانية الله ﷻ، وبالتالي تدل على القدرة المطلقة لله ﷻ، مثل السماء المزينة بالكواكب حيث قال ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ**﴾ [الحجر:١٦]، ألا تدل على القدرة المطلقة لله ﷻ، والأرض الممدودة، الراسية بالجبال، المزينة بالنبات، من جميع الأشكال والألوان، وفيها من كل شيء موزون، بدقّة تناسب الجو والبيئة، وتضمن العناصر اللازمة لاستمرار الحياة [١]، حيث قال ﷻ: ﴿**وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ**﴾ [الحجر:١٩]، ألا تدل على القدرة المطلقة لله ﷻ، وتسخير الرياح وتسيرها وهي حبلى بالماء، وإنزال المطر الذي تستقيم به الحياة، ألا تدل على القدرة المطلقة لله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾ [الحجر:٢٢]، والماء المخزون بالعيون والآبار ألا يدل على القدرة المطلقة لله ﷻ، ولو غار هذا الماء من يأتيكم بماءٍ معين حيث قال ﷻ: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ**﴾ [الملك:٣٠]، من يفعل ذلك سوى من لديه القدرة المطلقة، ولو كذبوا كل الأدلة السابقة وأنكروها، فكيف يُنكرون الموت والحياة من حولهم حيث قال ﷻ: ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ**﴾ [الحجر:٢٣]، هذه الحياة المتغيرة الأطوار ألا تدل على أنها إلى فناء فمن الذي سيرثها سوى الله ﷻ يوم ينادي ﷻ: ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ [غافر:١٦]، ألا يدل ذلك على القدرة المطلقة لله ﷻ، فكما دل خلق الكون من العدم على القدرة المطلقة لله ﷻ، دل فناؤه على القدرة المطلقة لله ﷻ، وكذلك العلم المطلق حيث قال ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْنَا المستقدمين مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ**﴾ [الحجر:٢٤]، وتفرده ﷻ به دون غيره ألا يدل ذلك على القدرة المطلقة لله ﷻ، والبعث والحشر حيث قال ﷻ: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ [الحجر:٢٥]، ألا يدل على القدرة المطلقة لله ﷻ، إن هذه الآية حسمت الأمر، ووضعت حداً لهذه الحياة بما

([١]) انظر: الشعراوي، الخواطر (٧٦٧٠/١٢).

فيها من مؤمنين وكافرين، وبينت أن مصيرهم إلى الله ﷻ؛ يبعثهم ويحشرهم يوم القيامة ثم يحاسبهم على ما فعلوا بالعدل، فهو حكيم مُحْكِم للأشياء، متقن لها عليم لطيف، لا ينازع في التدبير، ولا يخالف في التقدير (١).

إن هذه الفاصلة جاءت في موضعها، لتدل على أن القدرة المطلقة لله ﷻ، فإثبات القدرة المطلقة لله ﷻ إثبات لوجوده ووحدانيته.

٢. **القدرة على خلق الإنسان والجان:** وكما دل خلق الكون بما فيه على القدرة المطلقة لله ﷻ، دل كذلك خلق الإنسان والجان، على القدرة المطلقة لله ﷻ، حيث قال ﷻ: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ** ﴾ [الحجر: ٢٦، ٢٧]، فهو قادر على خلق ما شاء متى شاء كيفما شاء، من أي شيء شاء.

٣. **القدرة على خلق الإنسان من العدم:** ومما يدل على القدرة المطلقة لله ﷻ خلق الإنسان مع انعدام القدرة البشرية حيث قال ﷻ: ﴿ **قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ** ﴾ [الحجر: ٥٣]، فإن الله ﷻ رزق إبراهيم عليه السلام إسحق عليه السلام على الكبر حيث قال ﷻ: ﴿ **قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ** ﴾[الحجر: ٥٤]، فاستغرابه عليه السلام كان تعجباً من كبره، وكبر امرأته، ولم يكن قنوطاً من رحمة الله ﷻ، إنه عليه السلام استعظم نعمة الله عليه، فاستفهم هذا الاستفهام التعجبي المبني على السنن التي أجراها الله ﷻ بين عباده، لا أنه استبعد ذلك على قدرة الله ﷻ، فهو أجل من ذلك قدرا، ويؤيد هذا جوابه عليه السلام ﴿ **قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ** ﴾ [الحجر:٥٦] (٢)، فهل يعي كفار قريش ذلك.

٤. **القدرة على إهلاك الظالمين: وترى الباحثة:** أن من كمال قدرته ﷻ تقدير مصير الظالمين بالهلاك، وإنزال العقاب بالكافرين حيث قال ﷻ: ﴿ **وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ** ﴾ [الحجر:٤]، بعد أن وصف الله ﷻ طبيعة حياتهم البهيمية حيث قال ﷻ: ﴿ **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الحجر:٣]، فلفت أنظارهم إلى النهاية الحتمية لهذه

---

(١) انظر: سعد بن عبد الرحمن، مفهوم الأسماء والصفات (٦١/٤٦)، الماتريدي، التوحيد (٢٣/١) .

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان (١٢٣/١٧)، وانظر تفسير المراغي (٣٣/١٤).

الحياة، وإلى أخذ العبرة والعظة من مصير القرى الغابرة بالهلاك، فقال ﷻ: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]، والهلاك دل على أنهم استحقوا العذاب حيث قال ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[آل عمران:١٨٢]، وهذا ما حدث مع قوم لوط ؑ، وقوم أصحاب الأيكة، وأصحاب الحجر حيث قال ﷻ: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الحجر: ٥٨- ٥٩]، وقال ﷻ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٣-٧٤]، فالعذاب الذي أنزله ﷻ بهذه الأقوام ما زال باقياً، ناهيك عن عذاب قوم لوط؛ الذي تتخلع لهوله نياط القلوب، وتذهل عن تصوره العقول، وإن جعل الله ﷻ آثاره باقيةً لتعتبر قريش بالعذاب بسبب كفرها، ويعتبر غيرها، ممن يمارس هذه الفعلة الشنيعة، وانتكست فطرته، فهو أدعى له أن يأخذ العبرة والعظة، فما زالت آثارهم باقية، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وأصحاب الأيكة وهو الشجر الملتف المجتمع ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٨، ٧٩]، كانوا بالله كافرين، فاستحقوا العذاب، فهؤلاء قابلوا النعم بالجحود والنكران، لمن تفضل عليهم بها، فانتقم الله القادر منهم، وجعل طريقهم واضح يقصده المسافرون لأخذ العبرة والعظة ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر:٢].

كما أن أصحاب الحجر حق عليهم العذاب، عندما كذبوا الرسل، وكفروا بالله ﷻ، فما منعتهم الحصون من قدرة الله المطلقة حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر:٨٠]، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٨٣].

ويعتقد السلف أن الله ﷻ له القدرة والسيادة المطلقة على الوجود، ولكنه ﷻ منزه عن الظلم، فقد حرم الظلم على نفسه مع قدرته ﷻ على كل شيء، فقال ﷻ: ﴿وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران:٥٧]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء:٤٠]، وقال: ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الشعراء:٢٠٩]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصّلت:٤٦] (١)، وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ

(١) انظر: أبو الحسين الشافعي، الانتصار في الرد على المعتزلة (٥٥/١).

ﷺ قَالَ: قَالَ النبي ﷺ: (يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ؟)، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟)، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ)(١).

وهذه الشواهد من القرآن والسنة تدل على أن صاحب القدرة المطلقة عدل، لا يظلم أحداً، وأنه أرسل الرسل مؤيدين بمنهج واضح من الله ﷻ، لتغيير العقيدة الفاسدة، واستبدالها بالعقيدة الصحيحة، عقيدة التوحيد، أما هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بالشرك، أين عقولهم من أخذ العبرة والعظة من الذين سبقوهم؟ ولو نظر هؤلاء نظرة المتفكر المتدبر؛ لعلموا أنهم يسكنون مساكن أهل القرى الذين سبقوهم حيث قال ﷻ: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم:٤٥]، وأن آثار الهالكين ما زالت باقية شاهدة على قوتهم التي كانوا عليها، وعلى إعمارهم لهذه الأرض، كما قال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الرُّوم:٩]، ولكن الله ﷻ بقدرته المطلقة دمرهم، عندما كذبوا الرسل، وأنكروا المعجزات، فحق عليهم الدمار بسبب ظلمهم لأنفسهم لأن الله ﷻ لا يظلم أحداً، فعندما لا يجدي الإصلاح والتغيير معهم نفعاً، ينتقم منهم ﷻ بالعذاب الذي يستحقون.

٥. **القدرة على حماية أوليائه:** القدرة على الدفاع عن أوليائه دليل القدرة المطلقة لله ﷻ ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]، لا تخف شيئاً سوى الله ﷻ، فإن الله ﷻ كافيك مَنْ آذاك كما كفاك المستهزئين، وكانوا خمسةً من رؤساء أهل مكة، وهم الوليد بن المغيرة وهو رأسهم، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة، والأسود بن عبد يغوث،

---

(١) صحيح البخاري (٩/١١٤)، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ح (٧٣٧٣)، صحيح مسلم (١/ ٥٨)، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، ح (٣٠).

والحارث بن الطلاطلة، أهلكهم الله جميعاً، في يوم بدر، لاستهزائهم برسول الله ﷺ(1)، فمن كانت لديه القدرة المطلقة، هو وحده المستحق للعبادة والمتفرد بالألوهية.

وقد تبين للباحثة: أن الله ﷻ أرسل الرسل وأيدهم بالكتب، من أجل الإصلاح والتغيير لحال عباده، وأن الله ﷻ أمهلهم، وأعطاهم الفرص الكافية والعديدة من أجل الرجوع إلى الفطرة السليمة، فطرة الإسلام، وأن الله ﷻ عذب الذين لم يستجيبوا للتغيير والإصلاح، وجعل من قصصهم عبرة، والذين أهلكهم الله ﷻ اشتركوا في فساد العقيدة، وهؤلاء الذين قال فيهم الشيطان كما أخبر عنه ﷻ: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الحجر:٣٩]، وحال هؤلاء يؤكد أنهم انسلخوا من طبيعة أبيهم، وسكن الشيطان قلوبهم، فتمثلوا به، وكُثُرٌ هم شياطين الإنس، الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الحجر:٤٣].

أما عباد الله المخلصين، أصحاب العقيدة السليمة، الذين ينفعهم الإصلاح والتغيير، كلما اعترض الشيطان طريقهم ليفسدها ويدمرها، يتحقق حفظ الله لهم، كما حفظ لهم دينهم حيث قال ﷻ: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر:٩]، وكما حفظ لهم طريق الوصول إلى الصراط المستقيم حيث قال ﷻ: ﴿**قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ**﴾ [الحجر:٤١]، ولم يجعل للشيطان عليهم سلطاناً أو سبيلاً حيث قال ﷻ: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾ [الحجر:٤٢].

فهذا هو القسم الصالح من أبناء آدم عليه السلام، يأخذ وسام العبودية لله ﷻ، ويندرج تحت تصنيف (عبادي)، الذين هم في حماية الله وحفظه، يرعاهم بعينه التي لا تنام، ويحيطهم بالحجب من كل شيطان، ويدخلهم في الآخرة جنة الرحمن حيث قال ﷻ: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ**﴾ [الحجر:٤٥-٤٦].

أما الكافرون، فيأخذون تصنيف الغاوين، الذين أفسدوا دينهم، واتبعوا شهواتهم، فأسرهم الشيطان بها، وحقت عليهم جهنم حيث قال ﷻ: ﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ**﴾ [الحجر:٤٣-٤٤].

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان (١٧/١٥٣)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٠/٦٢).

ومن خلال ما سبق تبين للباحثة أن سورة الحجر عرضت نموذجاً من أبناء آدم ﷺ، وهم كفار قريش، كفروا بالله ﷻ، وأصروا على الكفر، رغم منهجيات الإصلاح والتغيير التي اشتملت عليها الآيات السابقة، فما نفع معهم تغيير، ولا أفادهم إصلاح.

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: بيان أن مصير الظالمين الهلاك، والانتقام منهم بالعذاب؛ الذي يستحقون ولو بعد حين فإن الله يمهل ولا يهمل ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ [الحجر:٥].

ثانياً: إعطاء المهلة الكافية للتفكر، والفرص العديدة للتدبر، وتأخير العقاب حيث قال ﷻ: ﴿ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ ﴾ [الحجر:٨] .

ثالثاً: قطع الحجج على الكافرين وكشف حقيقتهم وبيان عجز آلهتهم بمعجزات أقوى من التي طلبوها، دليل القدرة المطلقة لله ﷻ.

رابعاً: الدقة المتناهية في تسوية الأُمور حيث قال ﷻ: ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ [الحجر:١٩]، وقال ﷻ: ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر:٢١] .

خامساً: التركيز على قضية الإحياء والإماتة التي يستحيل نكرانها ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ [الحجر:٢٣].

سادساً: إثبات القدرة المطلقة للخالق الذي خلق السماء، الأرض، الرزق بأنواعه، الرياح، والقادر على الإحياء والإماتة، والبعث والحشر.

سابعاً: التدرج في استخدام الأدلة؛ المشاهَدَة مثل: السماء، والأرض، والرزق بأنواعه، والرياح، والغيبية مثل: البعث والحشر.

ثامناً: إثبات أن الله ﷻ لديه القدرة المطلقة وهو وحده المستحق للعبادة والمتفرد بالألوهية.

تاسعاً: بيان أن المنهج الرباني قائم على أساس العلم المطلق المتناهي في الدقة حيث قال ﷻ: ﴿ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾[الحجر:٤]، وقال ﷻ: ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾[الحجر: ٢١]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ [الحجر: ٢٤]، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجر: ٢٥].

المبحث الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة الحجر

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول : ترغيب وترهيب.

المطلب الثاني: أسلوب الحوار.

المطلب الثالث: العناية الربانية للدعاة.

المطلب الرابع: الدعوة منهج الأنبياء.

المطلب الخامس: أسلوب القصص.

المطلب السادس: التدرج في الدعوة.

المبحث الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة الحجر

المطلب الأول: الترغيب والترهيب حيث قال ﷻ: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾[الحجر: ٤٩، ٥٠].

إن من أهم منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي التي اعتمدها القرآن الكريم في الدعوة إلى الله ﷻ في سورة الحجر تمثلت في أسلوب الترغيب والترهيب، من أجل هداية الناس إلى طريق الحق والصلاح، فالإنسان مفطور بطبعه على حب الثناء والترغيب، ويكون الترهيب رادعاً له، لما له من الأثر البالغ في نفوس الناس، والإنسان معرض إلى ارتكاب المعاصي، وبالتالي يحتاج إلى التوبة، فيجد أن الله ﷻ غفورٌ رحيمٌ كلما عاد إلى طريق الصواب حيث قال ﷻ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[الحجر:٤٩]، وهذا من باب الترغيب، وإذا أصر على ارتكاب المعاصي، دونما توبةٍ أو رجوع، سيجد أن الله شديد العقاب حيث قال ﷻ: ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾[الحجر: ٥٠]، وهذا من باب الترهيب.

والترغيب والترهيب قرناء لا يفترقان، ليفهم الإنسان المؤمن العاقل ضرورة الموازنة والتفكير الجدي، والعمل الحاسم، بتوجيه نفسه وغيره نحو الخير، وتجنيبها الشّر والمنكر، وسرعان ما تظهر نتيجة الموازنة والمقارنة سواء في الدنيا أم في الآخرة، ففي الدنيا يظفر فاعل الخير بالسعادة وتحقيق السمعة الطيبة، ويسقط الشرير من أعين الناس، ويحذرونه وينأون عنه، وفي الآخرة يحظى المؤمن الصالح بالخلود في جنّات النعيم، والنجاة والفلاح وقت الحساب بين يدي الله ﷻ، ويتلقى الكافر والفاسق والعاصي في الآخرة صفعةً موجعةً مؤلمةً، ويتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً[1]، أمثال كفار قريش الذين رفضوا الإصلاح والتغيير بكل معانيه، ويتضح أن القرآن الكريم استخدم مع أولئك التهديد والوعيد

([1]) انظر: الزحيلي، الوسيط (٣٢١/١)، (٥٠٣/١).

دون الترغيب في أغلب الأحيان، لأن تلك الأنفس أدمنت الكفر، ورفضت الإصلاح والتغيير؛ واستبدال العقيدة الفاسدة بالعقيدة الصحيحة.

منهج القرآن الكريم في الإصلاح والتغيير: يعتمد منهج القرآن الكريم في الإصلاح والتغيير على إنزال تشريعٍ سماويٍ لكل أمّة يطالبها فيه أن تؤمن بالله الواحد الأحد، ولا تشرك به شيئاً، وتفعل الخير، وتتجنب الشّر، وتعمل المعروف، وتحذر من المنكر، وهذا ما نجده واضحاً في مطلع سورة الحجر في قوله ﷻ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر:١]، فيتضح أنه ليس في ميزان الشّرع والعقل عقاب أحد بسبب الفواحش قبل بيان التّكليف، أو إنزال العذاب قبل الإنذار، لأن المكلف بشيءٍ يحتاج إلى فترة يتمكن بها من تنفيذ الخطاب التكليفي، وفي تلك الفترة يظهر كونه طائعاً أو عاصياً، فتأتي بعد ذلك النهاية الحتمية للعصاة ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٤٣]، والنهاية المؤكدة للمتقين ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر:٤٥][١].

١. **حسرةٌ وندم:** حيث قال ﷻ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢]،

وترى الباحثة: أن هناك أُناسٌ ختم الله ﷻ على قلوبهم بسبب كفرهم ومعاصيهم؛ فما نفعهم إصلاحٌ، ولا أفادهم تغييرٌ، وسوف يأتي عليهم يوماً يندمون فيه على كفرهم بربهم، وفي هذا المقام يذكرهم رب العزة بما سيؤول إليه حالهم، من العذاب والغضب، فيندمون على ما فرطوا في جنب الله ﷻ، حيث لا يفيدهم الندم، وهذا قمةٌ في التهديد والوعيد.

٢. **تهديدٌ ووعيد:** حيث قال ﷻ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣]، فهذه الآية تنطق بالتهديد لهؤلاء الذين قضوا حياتهم في كبرٍ عن دين الله ﷻ، فمن تكبر عن دين الله ﷻ، وأعرض عنه، فنحن بالتالي نتكبر عليهم ونتركهم كالبهائم، لا وزن لهم ولا قيمة، فدعهم أيها النبي في غفلاتهم يأكلون كما تأكل الأنعام، ويتمتعون بلذات الدنيا وشهواتها، وتلهيهم الآمال عن الآجال، فيقول الرجل منهم غداً سأنال ثروةً عظيمةً، وأحظى بما أشتهي، ويعلو ذكري، ويكثر ولدي، وأبنى القصور، وأكثر الدور، وأقهر الأعداء، وأفاخر

(١) انظر: الزحيلي، الوسيط (١٢١٠/٢).

الأنداد، إلى نحو ذلك مما يغرق فيه من بحار الأماني والآمال وطلب المحال حتى تنقضي حياتهم وهم غارقون في وحل المعاصي، لا يردهم عما هم عليه إلا العذاب الأليم(١).

٣. **طول الأمل والحرص على الدنيا:** حيث قال ﷻ: ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الحجر:٣]، إن الله ﷻ يحذر عباده من هذه الآفة المهلكة، ألا وهي طول الأمل والحرص على الدنيا، ﴿**وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ**﴾ وطول الأمل داء عضال، ومرض مزمن، ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه، وصعب علاجه، وهؤلاء لا أمل من إصلاحهم، إذ مثل هذا يقال عند اليأس والقنوط من صلاح المرءِ(٢)، وقصر الأمل يبعث على العمل والصلاح، ويحيل على المبادرة، ويحث على المسابقة(٣)، ويتضح أن الآيات ملفحة بالتهديد والترهيب دون الترغيب مع هؤلاء، فالله ﷻ هو الذي يعلم حقيقة كفرهم وإصرارهم عليه، فأخبر نبي الرحمة ﷺ أن هؤلاء أغلق الأمل القاتل قلوبهم عن الهداية، فهم لا يسمعون، ولا يستجيبون، حيث قال عنهم ﷻ ﴿**ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر**﴾[التكاثر: ١-٢]، أي: أدرككم الموت(٤)، ﴿**فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ سوء صنيعهم إذا هم عاينوا العذاب الذي أعده الله ﷻ لهم، وسوء عاقبتهم، وفي هذا وعيدٌ بعد تهديد، وإلزامٌ لهم بالحجة ومبالغةٍ في الإنذار(٥)، والغرض منه إقناط الرسول ﷺ من إصلاحهم، وإعلامه بأنهم من أهل الخذلان، وإن نصحهم اشتغال بما لا طائل تحته.

٤. **عاقبة الأمم السابقة:** حيث قال ﷻ: ﴿**وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ**﴾ [الحجر: ٤، ٥]، وهذا أيضاً تهديد بعد تهديد، فذكرهم بأحوال الأمم الغابرة، وكيف قضوا نَحْبَهُمْ، أهلكهم الله ﷻ بكفرهم، وجعل هلاكهم في وقت معلوم، أفلا يأخذ كفار قريشٍ العبرة والعظة؟!.

---

(١) انظر: تفسير المراغي (٥/١٤).

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٢/١٤، ١٣).

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣/١٠)، البيضاوي، أنوار التنزيل (٢٠٦/٣).

(٤) انظر: البغوي، شرح السنة (٢٨٢/١٤).

(٥) انظر: تفسير المراغي (٥/١٤).

٥. **حقيقة أمرهم:** وقد كشف ﷻ حقيقة أمرهم حيث قال ﷻ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٠ – ١٥]، ولو أن الله ﷻ فتح لهم طريقاً إلى السماء يصعدون على درجٍ فيذهبون ويروحون، ويرون الملائكة بأم أعينهم، لقالوا إن محمداً قام بسحرنا، فهذه طبيعتهم مجبولةٌ على التكذيب، والإعراض، فهم لا يسألون عن الحقيقة من أجل الوصول إليها، وإنما من أجل إثبات عجز النبي ﷺ و تكذيبه، مع أن صدقه واضحٌ وضوح الشمس في وسط النهار(١).

٦. **الترغيب عن طريق التفكر في الكون:** وبعد ذلك عرض لهم الأدلة الكونية على وحدانية الله ﷻ، وكان هذا من باب الترغيب حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ *إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ * وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر: ١٠ –٢٥].

فالذين يستكبرون عن عبادة الله ﷻ سيدخلون جهنّم أذلاء صاغرين، وبعد أن هددهم ﷻ بمصير السابقين، رغبهم ببعض آيات الله الكونية التي يمرون عليها غافلين، فلفت أنظارهم إلى خلق السماء وزينتها، وخلق الأرض ومددها، والرزق بأنواعٍ لا تحصى، وتسخير الرياح المحملة بالمطر، وهو الذي يحيي ويميت، ثم البعث والحشر، وهذا من باب الترغيب، أي أن الله ﷻ الذي منَّ عليكم بهذا الكون العظيم، وحده المستحق للعبادة والمتفرد بالوحدانية.

ثم أنذرهم عذاب يوم القيامة، فختم هذه الآيات بالتهديد الذي تضمنته الخاتمة لهذا المقطع حيث قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر:٢٥]، فهددهم بالحشر والرجوع

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (٧٤/١٧).

إلى الحساب على كل ما فعلوه، إن هم أصروا على الكفر، وبعد ذلك ذكر الله ﷻ قصة خلق آدم عليه السلام.

٧. **الهدف من خلق الإنسان:** إن الله ﷻ خلق الإنسان في الأرض ليكون خليفةً فيها؛ فيقوم بعمارتها وإصلاحها على أساسٍ واحد، وهو عبادة الله ﷻ كما قال ﷻ: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦]، فخلق له الكون الذي تستقيم به الحياة، كما بينت الآيات سالفة الذكر، وبعد ذلك خلق الإنسان حيث قال ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**﴾ [الحجر:٢٦]، وهذا الإنسان هو آدم عليه السلام لأنه أصل هذا النوع، ومعنى (صلصال من حمإٍ مسنون): التراب اليابس وقيل المنتن، وهو: الطين، والمسنون: الأملس[١].

وترى الباحثة: أن التذكير بخلق الإنسان كان من باب الترغيب، فعليك أيها الإنسان أن تعرف حجمك، وتعبد خالقك ولا تتكبر عن عبادته، ولا تشرك به شيئاً.

٨. **أساس خلق الجان:** ثم بين ﷻ خلق الجان ﴿**وَالجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ**﴾ [الحجر:٢٧]، ونار السموم، فيها معنيان، أنه خلق من أحسن الأشياء، أو من الحارة التي تقتل من شدة لهيبها[٢]، وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ)[٣]، وذكر خلق الإنسان والجان يدل على كمال القدرة الإلهية[٤]، والجنّ خلق قبل آدم عليه السلام، فأفسد وسفك الدماء حيث قال ﷻ: ﴿**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**﴾ [البقرة:٣٠]، فلا تفعل أيها الإنسان كما فعل الجان، فإنك لا تعجز الله ﷻ كما لا يعجزه الجان حيث قال ﷻ: ﴿**وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا**﴾ [الجنّ:١٢]، وهذا من باب الترهيب، ثم بين ﷻ كيف أعطى الطين قيمة حيث قال ﷻ: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ [الحجر:٢٩]، ونفخ

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (٩٩/١٧)، الشوكاني، فتح القدير (١٥٥/٣، ١٥٦)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٣٣/٤)، السيوطي، الدر المنثور (٧٦/٥).

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان (٩٩/١٧)، السيوطي، الدر المنثور (٧٨/٥).

(٣) صحيح مسلم (٢٢٩٤/٤)، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، ح (٢٩٩٦).

(٤) الشوكاني، فتح القدير (١٥٦/٣) بتصرف.

الروح فيه يكون بإجراء الريح في تجاويف جسمٍ آخر، وهي جسمٌ لطيفٌ كالهواء، فإذا سويته أي: صوّرته فعدّلت صورته حيث قال ﷻ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر:٢٩]، فصار بشراً حياً حيث قال ﷻ: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:٢٩]، سجود تحيةٍ وكرامةٍ، لا سجود عبادةٍ لأن سجود العبادة لا يكون إلا لله ﷻ[1]، وأعطى هذا الإنسان كرامةً ومكانةً خاصةً حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠]، وبعد ذلك تكفر بالله حيث قال ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار:٧]، لماذا أيها الإنسان؟!!.

وأمر إبليس اللعين بالسجود لآدم عليه السلام، ولكنه رفض وتكبر، وأبى أن يكون مع الساجدين في سجودهم لآدم عليه السلام حين سجدوا، فلم يسجد له معهم تكبراً وحسداً وبغياً، فكيف تلهثون وراءه وهو عدوكم وعدو أبيكم؟.

وقد يظهر الترغيب والترهيب من خلال عرض قصة خلق الإنسان والجان، ثم حقيقة الملائكة، والشيطان، فتتضح الصورة أمام بني الإنسان، فيقفون على حقائق جمة، منها أصلهم، والغاية التي خلقوا من أجلها، ومن هو عدوهم، الذي يجب الحذر منه؟، والحكمة من خلق هذا الكون، وحقيقة الحياة الدنيا، ثم الموت والحياة، وما وراء الحياة الآخرة من ثواب وعقاب، فذكرهم بأنفسهم وقد صورهم، ووجههم إلى أنّ الله الواحد هو الذي أنشأهم من طين لازب، ثم لفت الحقّ ﷻ أنظارهم إلى حقيقة الشيطان، وبين مدى عدائه لبني الإنسان، فحذرهم منه، بالترغيب تارةً أنه لا سلطان له على عباده، ونسبة العباد الصالحين إلى الله ﷻ، وهذا الشرف العظيم، وبالترهيب تارةً أخرى في مشهدٍ عنيفٍ مهيبٍ، يبين مصير أولياء الشيطان، وأن موعدهم في النار أجمعين جزاء كفرهم، ثم الترغيب تارةً أخرى بذكر الجنة وأنها موعد المتقين، وهذه الأساليب المتعددة من أجل الإصلاح والتغيير، فهل من معتبر أيها الإنسان؟!.

([1]) انظر: الطبري، جامع البيان (١٠١/١٧)، الشوكاني، فتح القدير (١٥٦/٣)، السمرقندي، بحر العلوم، (٢٥٥/٢).

٩. **الترهيب بالنار:** ومن أغلظ أنواع الترهيب: التهديد بالنار حيث قال ﷻ: ﴿ **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ**﴾ [الحجر:٤٣، ٤٤]، فهذا مصير من اتبع الشيطان، نار جهنم لها سبعة منازل، كل باب من هذه الأبواب لصنفٍ من الكفار، يعذب به على قدر ذنبه، أسفلها هاويةً، وهي لآل فرعون، ولأصحاب المائدة الذين كفروا بعيسى، وللمنافقين، والزنادقة، والثانية: لظى، وهي منزلة المجوس والثنوية؛ الذين قالوا بإلهين، والثالثة: سقر وهي منزلة المشركين، وعبدة الأوثان، والرابعة: الجحيم، وهي منزلة اليهود الذين كذبوا الرسل، وقتلوا أنبياء الله ﷻ بغير حق، والخامسة: الحطمة وهي منزلة النصارى الذين كذبوا محمداً ﷺ، وقالوا قولاً عظيماً، والسادسة: السعير، وهي منزلة الصابئين، ومن أعرض عن دين الإسلام، وخرج منه، والسابعة: جهنم وهي أعلى المنازل، وعليها ممر الخلق كلهم، وهي منزل أهل الكبائر من المسلمين [١].

فسبحان العادل الذي أنزل عقابه بأبناء آدم عليه السلام الذين أفسدوا في الأرض حيث قال ﷻ: ﴿ **الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [البقرة:٢٧]، فرهبهم وخوفهم بالنار.

١٠. **الترغيب بالجنة:** حيث قال ﷻ: ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾[الحجر:٤٥،٤٨].

إن من أعلى مراتب الترغيب، الترغيب بالجنة، وكما جاء في السنة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (قَالَ اللَّهُ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)[٢]، فبعد أن خوف الله ﷻ عباده بالنار، رغبهم بالجنة، لأن الله ﷻ لم يخلق عباده ليعذبهم، إنما خلقهم ليعبدوه، فخلق الجنة للمتقين، الذين اتقوه فأطاعوه وخافوه، فعبدوه،

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (١٠٧/١٧)، السمرقندي، بحر العلوم (٢٥٦/٢، ٢٥٧)، الثعلبي، الكشف والبيان (٣٤٢/٥) ناصر بن علي، مباحث العقيدة (ص: ٦٢١).

(٢) صحيح البخاري (١١٨/٤)، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح(٣٢٤٤).

وتجنبوا المعاصي من الشرك والفواحش، ولم ينجرفوا وراء الشيطان اللعين، ووعدهم بأنه سيدخلهم في بساتين وعيون ظاهرة، مسلمين، سالمين من العذاب، وناجين من عقاب الله، لا يسلبوا نعمة أنعمها عليهم، أو كرامة أكرمهم بها، آمنين من الموت والخوف، ففي الجنة خلود بلا موت، وينزع ما في صدورهم من الشحناء والعداوة والحقد والحسد، الذي كان بينهم في الدنيا، ويكونوا في الآخرة إخوانا على سرر متزاورين متحدثين، يقابل بعضهم بعضاً، بسلامة آمنين من الموت والخروج والآفات[1].

١١. **الترغيب والترهيب بأسماء الله وصفاته ﷻ:** حيث قال ﷻ: ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ**﴾ [الحجر: ٤٩- ٥٠]، فمن أسماء الله الحسنى الغفور والرحيم، ومن صفاته أنه يعذب العاصين، ومن تمام عدله أنه يعاقبهم حيث قال ﷻ: ﴿**غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ**﴾ [غافر:٣]، ولما أتم الله ﷻ ذكر الوعد والوعيد وما أعده لأهل النار، أعقب ذلك بذكر ما أعده لأهل الجنة ليظهر التباين بين الجزاءين[2]، ثم أتبعه بقوله ﷻ: ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الحجر:٤٩]، تقريراً لما ذكر سابقاً وتمكيناً له في النفوس، أي: أني أنا الذي أستر على ذنوبهم إذا تابوا منها وأنابوا، بترك فضيحتهم بها وعقوبتهم عليها، الرحيم بهم أن أعذّبهم بعد توبتهم منها، وهذا قمة في الترغيب، وأخبرهم أيضاً: أن عذابه لمن أصرّ على المعاصي وأقام عليها، ولم يتب منها، هو العذاب الموجع الذي لا يشبهه عذاب، وهذا تحذير من الله ﷻ لخلقه، وأمر منه لهم بالإنابة والتوبة وهذا قمة في الترهيب[3].

١٢. **الترغيب والترهيب بقصص الأمم السابقة:** يتضمن هذا الدرس نماذج من رحمة الله وعذابه، ممثلة في قصة إبراهيم عليه السلام وبشارته على الكبر بغلام عليم، ولوط عليه السلام ونجاته وأهله، إلا امرأته من القوم الظالمين، وأصحاب الأيكة وأصحاب الحجر وما حل بهم من

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان (١٠٧/١٧)، البغوي، معالم التنزيل (٣٨٣/٤)، السمعاني، تفسير القرآن (١٤١/٣).

(2) انظر: الزمخشري، الكشاف (٥٨٠/٢)، ابن عطية، المحرر الوجيز (٣٦٣/٣).

(3) انظر: الطبري، جامع البيان (١١١/١٧).

عذاب أليم، هذه القصص سيقت بعد قوله ﷻ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩، ٥٠]، فيجيء بعضه مصداقاً لنبأ الرحمة من باب الترغيب، ويجيء بعضه مصداقاً لنبأ العذاب من باب الترهيب، وعطف (ونبئهم) على (نبئ عبادي)، ليأخذوا العبرة والعظة من العذاب الذي حل بقوم لوط عليه السلام، بسبب سخط الله ﷻ وانتقامه من المجرمين، فيتأكدون أن عذابه موجع وهو العذاب الأليم[1]، وهو كذلك يرتبط بأول السورة، فيصدق ما جاء فيها من نذير حيث قال ﷻ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ *وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَها كِتابٌ مَعْلُومٌ *ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَما يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [الحجر:٣-٥]، فهذه نماذج من القرى المهلكة بعد النذر، حل بها جزاؤها بعد انقضاء الأجل[2].

١٣. **الترهيب بالساعة:** حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ [الحجر:٨٥]، اشتملت الآية على الترغيب والترهيب معاً، فيأخذ الإنسان في جولةٍ فكريةٍ، فهي دعوةٌ من الله ﷻ إلى التفكر والتدبر في الهدف من خلق السماوات والأرض وما بينهما، وبلمح البصر ينقل الفكر إلى قيام الساعة حيث قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ فهو مزيج من الترغيب والترهيب، فتفكر وتدبر أيها الإنسان في خلق السماوات والأرض، واعلم علم اليقين أن الله ﷻ خلقكم من أجل عبادته، ولم يخلقكم سدى، فهذا الكون لم يخلق نفسه، ولا بد من خالقٍ حتماً له، لأنه يستحيل أن يخلق نفسه، فمن الذي خلقه على هذا النظام البديع؟ وأكمله هذا الكمال الحسن؟ ومنحه هذه الدقة المتناهية، وجعله آية للناظرين إلا الله الواحد القهار، خالق الأكوان[3].

وترى الباحثة: أن الجو العام للآية هنا ملفح بالتهديد والوعيد لمن تجاهل عظمة هذه المخلوقات التي تدل على وجود خالقٍ لها أعظم منها، وبالتالي تجاهل عبادة الله ﷻ، فإن الله ﷻ سيحاسبه على كفره، ولم يتركه دون حساب، وكفار قريش أنكروا البعث والحساب حيث قال ﷻ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٨]، فذكرهم في أكثر

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف (٥٨٠/٢).
(٢) انظر: سيد قطب، ظلال القرآن (٢١٤٦/٤).
(٣) انظر: محمد السحيم، الإسلام أصوله ومبادئه (٥/٢).

من موضع من السورة الكريمة بالساعة والبعث والحساب، إلى أن هددهم حيث قال ﷻ: ﴿فسوف يعلمون﴾ [الحجر:٣]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾[الحجر:٢٥]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ [الحجر:٨٥]، وهذا كله يوم القيامة.

١٤. **الترغيب بالصفح:** حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥].

وبعد أن أكد الله ﷻ أنه خلق السماوات والأرض، وكل ما بينهما بالحق، أكد على حتمية الحساب يوم تقوم الساعة، ثم ختم الأية بقوله ﷻ : ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ﴾ وهو من أعلى مراتب الترغيب، ومعناه الرضا بلا عتاب وبلا حقد ولا توبيخ بعد الصفح، وهو الإعراض الجميل(١)، ويتضح للباحثة أن علاقة الفاصلة بالآية، إقامة الحجة على الناس جميعاً بعد إعطائهم جميع الفرص للتوبة والرجوع إلى الله ﷻ خالق الإنسان والكون وخالق ما بين السماء والأرض، فهو بالتالي خالق كل شيء، وإن أبوا فلا تبقى لهم حجة، ولا يقبل منهم عذر بعد ذلك، أما أنت فاصفح عنهم واترك أمرهم على الله ﷻ، لعلهم بهذه المعاملة الراقية يرجعون إلى طريق الصواب ويهتدون.

١٥. **الترهيب بالنذير:** حيث قال ﷻ: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ المُبِينُ * كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى المُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٨٨-٩١]، وقل للمشركين إني أَنَا النذير الموضح لكم ما جئتكم به من الإنذار والوعد والوعيد، أحذركم عذاباً مثل العذاب الذي أنزلناه على المقتسمين الذين قسموا القرآن قسمين فصدقوا بعضه وكذبوا بعضه (٢).

١٦. **الترهيب بالحساب:** حيث قال ﷻ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢،٩٣]، قسم عظيم بالرب العظيم أن الله ﷻ سوف يحاسب كل من قدح في القرآن وعابه وحرفه وبدله، أو كذب رسول الله ﷺ، وفي هذا أعظم ترهيب وزجر لهم من الاستمرار في ارتكاب الفواحش والشرك، لأن الله ﷻ سيحاسبهم على أعمالهم يوم الحساب.

---

(١) انظر: التُستري، تفسير التستري (٨٩/١).

(٢) انظر: أبو محمد مكي، الهداية الى بلوغ النهاية (٣٩٢٨/٦).

١٧. **تهديد المستهزئين:** حيث قال ﷻ: ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾[الحجر: ٩٥،٩٦]، الله ﷻ عاصمك من الذين يؤذونك يا رسول الله، فإنهم أيضاً يؤذون الله ويجعلون معه إلهاً آخر وهو ربهم وخالقهم ومدبرهم فسوف يعلَمون جزاء أفعالهم إذا ما جاء يوم القيامة، فهؤلاء هم الذين أمر الله ﷻ بتركهم في أول الآيات بسبب كفرهم حيث قال ﷻ: ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الحجر:٣]، فنحن قادرون على استئصالهم بالعذاب، والتعجيل لهم بما يستحقون، ولكن الله يمهلهم ولا يهملهم(١)، ففي هاتين الآيتين تثبيت للنبي ﷺ، وبث القوة والجرأة في نفسه، مع بشرى من الله ﷻ بأنه كافيه وحاميه وعاصمه من المستهزئين بصورة عامة، وهي قوية رائعة تشد من أزر النبي ﷺ إزاء موقف الكفار وعنادهم، وجاءت خاتمة قوية للسورة التي احتوت فصولاً في مواقف الكفار وأقوالهم وإنذارهم وطابع الختام بارز بالتهديد والوعيد، ولقد تحققت بشرى الله ﷻ لرسوله ﷺ بأنه قد كفاه المستهزئين وعصمه منهم(٢).

فعلى الداعية إلى الله ﷻ أن يدعو بالحكمة، ويبدأ بها، ويعنى بها، فيعلم جيداً المواطن التي تحتاج الدعوة فيها إلى الترغيب، والمواطن التي تحتاج إلى الترهيب، فإذا كان المدعو عنده بعض الجفا والاعتراض، يجب أن يدعوه بالموعظة الحسنة، من خلال الآيات والأحاديث التي فيها الوعظ والترغيب، وإن كان عنده شبهة جادله بالتي هي أحسن، ولا يغلظ عليه، بل يصبر عليه ولا يعجل ولا يعنف، بل يجتهد في كشف الشبهة، وإيضاح الأدلة بالأسلوب الحسن، هكذا ينبغي لك أيها الداعية أن تتحمل وتصبر ولا تشدد؛ لأن هذا أقرب إلى الانتفاع بالحق وقبوله وتأثر المدعو، وتقبله المجادلة والمناقشة الحسنة، وتحقيق الإصلاح والتغيير المنشود(٣).

---

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم (٤٣٥/١).

(٢) انظر: دروزة محمد عزت، التفسير الحديث (٦١/٤).

(٣) انظر: بن باز، الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة (٢٧/١).

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: تنوع الأسلوب القرآني من أجل الإصلاح والتغيير، باستخدام كافة الأساليب المتاحة، من الترغيب والترهيب، سواء كانت دنيوية، أو غيبية.

ثانياً: النهي عن طول الأمل، والحرص على الدنيا، لأنه من الموبقات المهلكات، وعدم البكاء على ما فات، لأنها إلى زوال حيث قال ﷻ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣].

ثالثاً: التذكير بأن الأجل محدود؛ لأخذ العبرة والعظة وعدم الاغترار بطول العمر حيث قال ﷻ: ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾[الحجر: ٥].

رابعاً: استخدام أسلوب اللين بعد الشدة، والترغيب بعد الترهيب، لاستثارة العاطفة وتحقيق المراد، فبعد أن هددهم ﷻ بمصير الأمم السابقة، رغبهم ولفت أنظارهم إلى خلق السماء وزينتها، وخلق الأرض ومددها، والرزق بأنواع لا تحصى، وتسخير الرياح المحملة بالمطر، والإحياء والإماتة، ثم البعث والحشر، بقدرة الحكيم العليم.

خامساً: الترهيب بذكر النار وعذابها، والترغيب بذكر الجنة ونعيمها.

سادساً: الترغيب والترهيب بذكر قصص الأمم الغابرة، لأخذ العبرة والعظة.

سابعاً: إقامة الحجة على الناس، وإعطائهم الفرص العديدة للتوبة والرجوع.

المطلب الثاني: أسلوب الحوار

١. **سوء الأدب في الحوار:**

قال ﷻ: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦].

٢. **حوار الله ﷻ مع الملائكة:**

قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨، ٢٩].

٣. حوار لوط عليه السلام مع الملائكة:

قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ ... حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر:٦١-٦٥].

الحوار في اللغة: "يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة"[(١)].

الحوار في الاصطلاح: تحاوروا وتراجعوا الكلام بالمنطق فيما بينهم، وهو المراودة في الكلام: أي الأخذ والعطاء فيه، وهذا قريب من معنى المناظرة التي يراد بها النّظر بالبصيرة من الجانبين المتحاورين في النّسبة بين الشّيئين إظهاراً للصّواب، وكلاهما أي (الحوار والمناظرة) جدالٌ بالّتي هي أحسن[(٢)].

والحوار أكثر ما يكون بين شركاء في الحديث ومادته "القول" وهو طريقة قديمة حديثة قد اتخذها القرآن وسيلة للقصص وعرض الأخبار فهو أدعى للفهم وأقوى في التأثير ولله بالغ الحكمة[(٣)].

وترى الباحثة أن الحوار هو: الأخذ والعطاء في الكلام، بأرقى أسلوب من القول، من أجل الوصول إلى الرأي الصائب، بعيداً عن التعصب للرأي، وهذا هو الحوار الإيجابي، أما الحوار السلبي فيعتمد على التهكم، والسخرية، وسوء الأدب، لكي يحرج الطرف الآخر، ويخرجه عن الصواب.

والقرآن الكريم منذ بعثة سيدنا محمد ﷺ كان له السبق في اتخاذ الحوار أسلوباً للدعوة والإقناع، ومنهاجاً للإصلاح والتغيير، ليلامس قلوب الناس، ويؤثر في مشاعرهم، فيتحقق المراد من دعوتهم إلى طريق الحق والفضيلة، والإقرار بالوحدانية، فمن أراد أن يتعلم فن الحوار في جميع مجالات الحياة سواء كانت دعوية، أو سياسية، أو اجتماعية، فعليه أن يتفقه في آيات القرآن الكريم، ليصبح في أعلى درجات الذوق، وأسمى آيات الرقي في التعامل مع الآخرين.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (٢١٨/٤).

(٢) انظر: بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (٥٠٢/٣)، الفيروز أبادي، القاموس المحيط (ص: ٣٨١) عدد من المختصين، نضرة النعيم (١٥١/٢)، زين الدين المناوي، التوقيف (٣١٦/١).

(٣) انظر: محمود صافي، الجدول (٣٨٧/٨).

وفي بداية سورة الحجر يبين الله ﷻ لسيدنا محمد ﷺ، كيفية التعامل مع المشركين حيث قال ﷻ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣]، أي اتركهم، ولا تحاورهم، فهؤلاء مصيرهم الهلاك كما الأمم السابقة حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر:٤]، لأنهم أصروا على العناد ورفضوا الإيمان حيث قال ﷻ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ [الحجر:١٣]، كما رفضوا الحوار البناء، وهذا هو الأسلوب الأنسب في التعامل مع الذين يصرون على الباطل جحوداً واستكباراً، ولا يتركون للحوار الإيجابي مجالاً، كما هو حالهم في التعامل مع سيدنا محمد ﷺ، فكان حوارهم مع الرسول ﷺ استهزاءً وسُخريةً، وهذا ما سنلاحظه في الآتي:

١. **سوء الأدب في الحوار:**

قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦].

وهنا يظهر جلياً سوء الأدب في الحوار مع رسول الله ﷺ، لدرجة اتهامه بالجنون، وجاء الرد على هذه الآية في سورة أخرى في قوله ﷻ: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم:٢][1]، وهذا دفاعٌ من الله ﷻ، وتبرئةً لسيدنا محمد ﷺ من الجنون، أما قولهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ [الحجر:٦]، فقد دلت الآية الكريمة على أن هؤلاء الكفرة الفجرة قالوا ذلكَ استهزاءً وسُخريةً، لا اعترافاً، يأيها الذي نزل عليه الذكر في زعمه، واعتقاده واعتقاد أصحابه وأتباعه؛ إنك مجنون في ادعائك الرسالة، كما قال فرعون لقومه ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء:٢٧][2].

وترى الباحثة: أنه لو أمعنا النظر في حال هؤلاء المجرمين الذين يعيشون حياة البهائم، وكل مبتغاهم الأكل والشرب والمتعة، ولا يتعظون بهلاك القرى الغابرة؛ لتأكدنا أن هؤلاء لا أدب لهم، ولا ذوق في التعامل مع الآخرين، حتى وإن كان الخصم ذا حسب ونسب بينهم،

---

(1) انظر: جمال الدين الجوزي، زاد المسير (٥٢٤/٢).

(2) انظر: الخازن، لباب التأويل (٤٩/٣)، ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، (٤١٥/١)، زكريا الأنصاري، فتح الرحمن (٢٩٦/١) .

ويُعرف بالصادق الأمين المتزن، رجل المواقف، هذا وإن دل على شيء إنما يدل على أن الحوار لا يجدي معهم نفعاً، وكما يدل على أن الفريق المحاور هو من علية القوم، ويتكلم من مصدر قوة، فنجد في أسلوبه الغطرسة، وعدم المبالاة، وقلة الأدب وعدم الذوق، والإعراض عن الحوار الإيجابي، بالمنطق والحجة والبرهان، لأن ذلك يتعارض مع مصالحهم الشخصية، فبسبب أغراضهم الدنيئة، ومصالحهم الشخصية رفضوا الذكر، وشككوا فيه، وفي الذي أنزل عليه، واتهموه بالجنون، وهذا الأسلوب هو حجة من ليس له حجة؛ الهروب من الحوار بالعقل والمنطق والدليل والبرهان إلى الاتهامات الباطلة؛ تارةً يقولون مجنون، وتارة ساحر، وتارة أخرى أساطير الأولين.

٢. **حوار الله ﷻ مع الملائكة:**

قال ﷻ: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[الحجر: ٢٨، ٢٩].

وترى الباحثة: أن الله ﷻ استخدم أسلوب الحوار مع الملائكة، وهذا الأسلوب أدعى للفهم، وأقوى في التأثير، وهنا أخبر الله ﷻ الملائكة بأنه خالق آدم عليه السلام، وأمرهم بالسجود له، فالحوار بَيْنَ الله ﷻ وبين الملائكة كان من باب الإخبار، وليس من باب التخيير أو الاستئذان، فهو حوار ممزوج بالأمر، وعلى الطرف الآخر الامتثال والخضوع، دون جدال، وما صدر من الملائكة في مواقف أخرى دل على الاستفهام ليس إلَّا، فالله ﷻ ضرب أعظم المثل لأهمية الحوار عندما حاور الملائكة في خلق آدم عليه السلام وهو الغني عن ذلك.

٣. **حوار لوط عليه السلام مع الملائكة:**

قال ﷻ: ﴿**فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ**﴾ [الحجر:٦١-٦٥].

وترى الباحثة: أن هذه الآيات تصور مشهداً عظيماً من مشاهد الحوار، حوار لوط عليه السلام مع الملائكة، دون أن يعرف بأنهم ملائكة، فالآيات تحمل بين حروفها الخوف الذي يعتري نبي الله لوط عليه السلام من قومه على ضيوفه، وهو أهل لإكرام الضيوف، ويستمر الحوار، ليصل

لوط عليه السلام إلى حقيقتهم، وتكشف الملائكة عن هويتها، وتبدأ ببث الطمأنينة في نفس لوط عليه السلام، فأخبروه بأنهم جاءوه بما يسره، وهو عذاب قومه وإهلاكهم وتدميرهم، العذاب الذي كانوا يشكّون في وقوعه، ويكذبون فيه قبل مجيئه.

وبما أن إيقاع العذاب المدمر ليس أمراً سهلاً، ويحتاج إلى حوار مقنع، أكّد الملائكة قولهم للوط عليه السلام بثلاثة مؤكدات، فقالوا: إنا جئناك بما كانوا فيه يمترون أي يشكّون، وأتيناك بالحق، وإنا لصادقون في هذا الخبر.

وتمهيداً لتنفيذ العذاب، قال الملائكة للوط عليه السلام: سر بأهلك بعد مضي جزء من الليل، وامش وراء أهلك ليكون أحفظ لهم ولا يبقى منهم أحد، ولا يلتفت منكم أحد إلى الوراء إذا سمعتم الصيحة بالقوم، حتى لا يشفقوا على بلادهم وأقوامهم حين معاينة ما جرى على القرية عند رفعها وطرحها، وسيروا بأمر ربّكم غير ناظرين وراءكم، إلى بلاد الشام فإنها مأمنكم ومكان نجاتكم.

وهذا الحوار يصور مشاهد هذه الإنذارات والإعدادات للعذاب، ويغني عن رؤية حالة الدمار والهلاك الواقع، ويوجب على النّاجين مزيداً من الحمد والشكر، ويردع أهل الجريمة الذين تساورهم أنفسهم اقتراف مثل هذا الإجرام، إذا عرفوا عقاب هؤلاء المجرمين في دار الدنيا قبل عذاب الآخرة[١].

وترى الباحثة: أنه مثلما استطاع القرآن الكريم إصلاح وتغيير الراغبين في الوصول إلى الحقيقة من كفار قريش بالحوار؛ وهم المتصفين بالجلافة والتكبر والعناد، يستطيع أن يصلح من كفار هذا العصر؛ مِمَنْ تعرضوا لرسول الله ﷺ بالسخرية والاستهزاء لا لشيء يذكر إنما هي عداوة اليهود والنصارى الأبدية التي يتوارثها الآباء عن الأجداد، ولو أنصفوه لتمنوا تقبيل قدماه الطاهرتان، ويبقى ولا يزال هذا القرآن صالحاً لكل زمان ومكان، ولكل عصر وأوان.

([١]) انظر: الزحيلي، الوسيط (١٢٢٩/٢، ١٢٣٠).

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: استخدام القرآن الكريم لأسلوب الحوار بهدف الإصلاح والتغيير.

ثانياً: الحوار البناء يساعد على تحقيق الأهداف بأقصر الطرق، وهذا الأسلوب أدعى للفهم وأقوى في التأثير.

ثالثاً: الحوار بالباطل من أجل المصالح الشخصية هو حجة من ليس له حجة؛ وهو هروب من الحوار بالعقل والمنطق والدليل والبرهان إلى الاتهامات الباطلة.

رابعاً: بيان أن العناد والتكبر وسوء الأدب في الحوار؛ يعيق الإصلاح والتغيير ويفوت فرص الهداية ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦].

المطلب الثالث: العناية الربانية للدعاة

حيث قال ﷻ: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾[الحجر: ٩٥].

لقد ختم الله ﷻ الأنبياء بسيدنا محمد ﷺ، فلم يجعل بعده نبياً، ولكنه ﷻ قيض لهذه الأمة من يحفظ لها دينها، من الدعاة الصالحين، إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

١. **حماية الداعية:** وقد تعهد الله ﷻ بحفظ الدعاة إليه، كما حفظ الأنبياء حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّاكَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[الحجر: ٩٥]، فالله ﷻ وحده القادر على حفظهم وحمايتهم من مكر المستهزئين.

٢. **مكر وجزاء:** إن الله ﷻ هو القادر على حماية الدعاة، والدفاع عنهم، ورد كيد الأعداء في نحورهم، وأن يجعل دائرة السوء تدور عليهم، بإحقاق الحق، وإعلاء شأنه، وإبطال الباطل ودحضه، وهو القادر أن يدفع شرّهم عن الدعاة حيث قال ﷻ: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران:٥٤].

٣. **مكر الله ﷻ عدل:** فالله ﷻ يمكر لأعداء الأنبياء والدعاة، والمكر في حق الله ﷻ عدلٌ وجزاءٌ يحمد عليه، أما المكر من المخلوقين فهو سيءٌ مذموم، لأنه احتيال وخديعة بغير حق[1]، لقوله ﷻ: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر:٤٣]، فما يمكرون إلا بأنفسهم، وعاقبة

([1]) انظر: صالح بن فوزان، إعانة المستفيد (٧٠/٢) الجوهري، الصحاح تاج اللغة (٨١٩/٢).

المكر تعود عليهم[1]، وقال ﷻ: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً﴾ [الرعد: ٤٢]، و"عند الله عقوبة مكرهم جميعاً"[2]، "ومن مكر اللّه إمهال العبد وتمكينه من أعراض الدنيا"[3]، حتى يأخذه أخذ عزيز مقتدر، وهذه الآيات وغيرها دليل عناية الله ﷻ بالأنبياء، وبالدعاة من بعدهم.

٤. **الدعاة مبتلون:** وحفظ الله ﷻ للدعاة لا يعني أنهم لا يفتنون ولا يمتحنون، بل هم مبتلون، والابتلاء سنة من سنن الحياة، فالله ﷻ يبتلي عباده ويختبرهم، ليميز الخبيث من الطيب، فيصطفي المؤمنين والصادقين والصابرين، ويتخذ منهم شهداء ودعاة حيث قال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥]، والله ﷻ يبتلي المسلم على قدر إيمانه[4]، وقد روي أن (أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب (وفي رواية: قدر) دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة)[5]، فالابتلاء يطهر الإنسان من الذنوب والمعاصي، كما روي عن أبي هريرة ﷺ، يقول: قال رسول الله ﷺ: (من يرد الله به خيراً يصب منه)، أي: يبتليه بالمصائب ليطهره من الذنوب في الدنيا فيلقى الله ﷻ نقيا[6].

٥. **طريق الدعوة:** طريق الدعوة إلى الله ﷻ لم تكن معبدةً إطلاقاً، بل محفوفةً بالمكاره والأشواك، مليئةً بالمصاعب، على مر الدهور والأزمنة، يضحي الداعية من أجل دعوته، بأغلى ما يملك من النفس والمال والحرية.

٦. **مصير الداعية:** قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦].

ترى الباحثة: أن الداعية إلى الله ﷻ في كل زمان ومكان يجد حوله من يكيد له، ويحيك المؤامرات ضده، فها هي قريش ما فتئت من استخدام أساليب متنوعة من السخرية

---

(1) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (١١٣/٢).

(2) الفيروز آبادى، تنوير المقباس (٢١٠/١).

(3) الأبياري، الموسوعة القرآنية (٥٣٢/٨).

(4) انظر: ابن الوزير، العواصم والقواصم (١٢٤/٦).

(5) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٧٣/١)، ح (١٤٣).

(6) صحيح البخاري (١١٥/٧)، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ح (٥٦٤٥).

والاستهزاء لشخص الرسول الداعية، فنعتوه بالجنون؛ وهو صاحب العقل الراجح، والفكر الرزين، الذي طالما استشاروه، وأخذوا برأيه الحكيم، فمن مشى في طريق الدعوة إلى الله ﷻ فليختر مصيره من إحدى ثلاث، السجن أو القتل أو الإبعاد، علاوةً على الحصار والمقاطعة، حيث قال ﷻ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]، وهذا ما خططه كفار قريش للكيد بالرسول الداعية، ناهيك عن الجانب المعنوي، فهو الأكثر إيلاماً عندما يصبح الداعية عرضةً للتهكم والسخرية، والنكات النابية، على شخصه، وعلى فكره، وعقيدته، ويشتد الألم ويزداد الجرح غوراً؛ عندما يكون الاستهزاء من بني جلدتنا، ممن يسمون مسلمون، وبينهم وبين الإسلام منهجاً وتشريعاً، تركوه وراء ظهورهم، ووضعوه فوق الرفوف المنسية، ولم يحملوا منه إلا اسمه، أما رسمه فتساقط فوق الطرقات المليئة بالمسخ الغربي.

٧. **زمن الداعية:** ويأتي الداعية في زمنٍ يشعر فيه بالغربة، كما ورد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء)[1].

وترى الباحثة: أن سورة الحجر تحمل بين آياتها المثل الحي لهذه الغربة، والتي تتمثل في شخص النبي ﷺ، في وقت اشتدت به حلكة الليل على سيدنا محمد ﷺ الداعية الأمين، وعلى صحبه ﷺ، والآن تعود الغربة من جديد فأصبح القابض على دينه غريباً وسط الغزو الفكري الغربي الذي احتل العالم تجاه الدين الإسلامي.

٨. **تسلية وتسرية لقلب الرسول ﷺ:** وبالرغم من كل الآلام والجراح إلا أن الله ﷻ لم يترك نبيه ﷺ وحده في الجبهة حيث قال ﷻ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضُّحى:٣]، بل حفظه، ودافع عنه، وحماه، وواساه، وذكر له من أخبار الرسل السابقين، ما يسلي قلبه، ويسري همه، ويؤنس وحشته، فقص عليه ما لاقوه من أقوامهم، من الكفر والجحود والاستهزاء حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر:١٠-١٣]، فقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الحجر:١٠] " تسلية للنبي ﷺ وعرض أسوة، أي لا يضيق صدرك يا

([1]) صحيح مسلم (١٣٠/١)، كتاب الإيمان، باب بدأ الإسلام غريبا، ح (١٤٥).

محمد ﷺ بما يفعله قومك من الاستهزاء في قولهم: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ [الحجر:٦]، وغير ذلك"[١]، فإن الله ﷻ دافع عنك وحماك وحفظك من مكرهم حيث قال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:٩٥]، وهذا هو ديدن المشركين في كل زمان ومكان، الاستهزاء بالرسل، والله ﷻ بقدرته يكفيك، ويدفع عنك شرّهم، ويدرأ عنك سوء مكرهم، وينصرك عليهم، ويعلي شأنك، فلا عليك مما يقولون أو يفعلون، فما العقبى إلا لك بالنصر، والظفر بالانتقام منهم بقتلهم وأسرهم[٢]، وقال ﷻ حاثاً نبيه ﷺ على هداية الناس، وإصلاحهم ومواصلة الدعوة، غير مكترث بتهديد المشركين من حوله حيث قال ﷻ: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧]، مقسماً بذاته على حسابهم حيث قال ﷻ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٩٢].

٩. **طبيعة أعداء النبي ﷺ:** وهؤلاء الذين ناصبوك العداء؛ هم نسخة مكررة عن الأمم السابقة، وكل حقبة من الزمن يكون فيها من يكذب المرسلين، ويستهزئ بهم ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾ [الحجر:١١]، وما يأتي شيع الأوّلين من رسول من الله ﷻ يرسله إليهم بالدعوة إلى توحيده، والإذعان إلى طاعته، إلا وكانوا به يستهزئون، ويسخرون منه، ويكفرون بما جاء به، عتُوّاً منهم وتمرّداً على ربهم[٣].

وترى الباحثة: أن الاستهزاء بالرسل يدل على فساد العقيدة، وحال كفار قريش من فساد العقيدة، كحال الأولين الذين سبقوهم إلى التكذيب والإجرام، أمثال قوم لوط عليه السلام، وأصحاب الأيكة، وأصحاب الحجر، فهؤلاء المجرمون؛ عرف الكفر طريقه إلى قلوبهم، أما طريق الإيمان فبعيد عنهم لا يعرفونه حيث قال ﷻ: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر:١٢]، فقلوبهم قاسية لا تخشع لذكر الله ﷻ، ولا تجعل للإصلاح طريقاً إليها حيث قال ﷻ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر:١٣]، فقومك الذين سلكت في قلوبهم التكذيب لا

---

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز (٣٥٢/٣).
(٢) انظر: القشيري، لطائف الإشارات (٢٨٢/٢، ٢٨٣).
(٣) انظر: الطبري، جامع البيان (٦٩/١٧-٧١).

يؤمنون بهذا القرآن حيث قال ﷻ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الشعراء:٢٠١]، أخذاً منهم بسنة أسلافهم، من المشركين قبلهم، قوم عاد وثمود، وأمثالهم من الأمم؛ التي كذّبت رسلها، فلم تؤمن بما جاءها من عند الله ﷻ، حتى حلّ بها سخط الله ﷻ، فهلكت، فكما كانوا مثلهم في التكذيب، كانوا مثلهم في العذاب، أما أنت فالله ﷻ كافيك.

١٠. عقاب الطغاة:

وترى الباحثة: أن الطغاة إلى نهاية، فيا أيها الداعية لا تغتر بجبروت الطغاة من حولك، ولا تخف منهم، فإن الله ﷻ حافظك منهم وحاميك، وقادر عليهم، ومنتقم منهم، ولو بعد حين، ومهما بلغوا من قوة، ومهما عمروا من بنيان، لم يبلغوا عمارة أصحاب الحجر حيث قال ﷻ: ﴿كَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٢]، وقال ﷻ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر:٨٣]، وما كان جند ربك إلا صيحة، فلم تبق منهم أحداً، فاتركهم حتى يلاقوا مصيرهم ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣]، إنها لنهاية ترتعد منها الفرائص؛ ملفحة بالتهديد والوعيد، المتمثل بالعذاب الأليم، حتى يأتي وهم في غفلةٍ يحيون حياة البهائم كما ذكرنا سابقاً، أما الدعاة فهم الفائزون؛ إما بالنصر ونجاح دعوتهم، وإما بالشهادة، فكلاهما عناية من الله ﷻ.

١١. عدة الداعية: حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧ – ٩٩]، فمن كمال حفظ الله ﷻ وعنايته للدعاة أن بين لهم العدة التي تعينهم على تحمل مسؤولية الدعوة، من تسبيح وسجود لله ﷻ، حيث اشتملت الآية على فعلين من الأمر (سبح وكن) ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر:٩٨]، فالإكثار منهم يوسع صدرك أيها الداعية، ويشرحه ويعينك على أمورك، فاستمر في جميع الأوقات بالتقرب إلى الله ﷻ، بأنواع العبادات، كما فعل النبي ﷺ، حيث امتثل إلى أمر ربه، ولذا كان ﷺ إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة، فلم يزل عاكفاً على العبادة، حتى أتاه اليقين من ربه[1].

([1]) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان (٣٢٣/٢)، السعدي، تيسير الكريم (ص:٤٣٥).

وترى الباحثة: أنه كما استطاع النبي الداعية إصلاح وتغيير الراغبين الوصول إلى دين الحق، من كفار قريش يستطيع الدعاة اليوم انقاذ البشرية من براثن الشرك، فعلى الداعية أن يتسلح بالإيمان، والتسبيح والذكر، طول حياته إلى مماته، فهو الزاد في الدعوة إلى الله ﷻ، من أجل أن يحقق هدفه المنشود من دعوة الناس إلى الله ﷻ، بالإصلاح والتغيير، واثقاً بنصر الله ﷻ.

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: تثبيت الله تعالى للأنبياء والدعاة المؤمنين والصالحين، والعناية الربانية بهم، والدفاع عنهم بكافة الوسائل، مادياً ومعنوياً، ونصرهم ولو بعد حين حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:٩٥].

ثانياً: حفظ الداعية، فهو محفوظ من الله تعالى، ومدرج تحت مسمى عبادي حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر:٤٢].

ثالثاً: استثارة همة الداعية بالثواب الجزيل والفوز بالجنة حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ *ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر:٤٥،٤٦].

رابعاً: بيان عدة الداعية، وحثه على التحلي بالصبر والصلاة، والذكر والتسبيح حيث قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٨-٩٩] ، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣] .

المطلب الرابع: الدعوة منهج الأنبياء

قال تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الحجر:٨٩] .

إن الله تعالى أرسل الرسل إلى الناس؛ لدعوتهم إلى دين الله ﷻ، لتصحيح عقائدهم، وهدايتهم إلى ما فيه الخير، في الدنيا والآخرة، وإنذارهم من عذابٍ أليم ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم:٥٢]، فأنزل معهم الكتب السماوية، التي

تسهل لهم دعوتهم، وترسي لهم قواعد دينهم وتوضح لهم أمور عقيدتهم ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

الحكمة من إرسال الرسل:

١. بيان العقيدة الصحيحة للناس حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾ [البيِّنة:٥].

٢. إرشاد الناس إلى شريعة الله ﷻ، فهو لا يتركهم من غير توجيه ولا إصلاح، حتى تتحقق سعادتهم في الدنيا والآخرة.

٣. إيجاد القدوة الحسنة للناس في كل خير، فهم الذين مارسوا الدين ممارسة تطبيقية في حياتهم، ولم يقتصروا على التبليغ حيث قال ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآَخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ [الممتحنة:٦].

٤. قطع الحجة على الناس [١] لقوله ﷻ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥].

فما زال الأنبياء يتتابعون ويظهرون صلاح هذا الدين، وصلاح منهجه، وصلاح الدعوة إلى صراط الله المستقيم، صراط دين الحق، والدعاة من بعدهم على نهجهم، منهج الإصلاح والتغيير.

وإفراد الله بالعبادة هي أصل دعوة الأنبياء جميعاً، من أولهم إلى آخرهم، فهم وإن اختلفت شرائعهم في تحديد بعض العبادات والحلال والحرام، لم يختلفوا في الأصل الذي هو إفراد الله ﷻ بتلك العبادات افترقت أو اتفقت لا يشرك به أحداً[٢].

١. **منهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله ﷻ:** إن المنهج النبوي في الدعوة إلى الله ﷻ هو المنهج الوسط، ويشترط أن يتوفر في الدعاة إلى الله ﷻ أمران مهمان:

([١]) انظر: حمزة ذيب وآخرون، التربية الإسلامية للصف الثاني الثانوي (ص:٥٥).

([٢]) انظر: فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن (١/ ١٧)،

أبو عاصم آل عقدة، مختصر معارج القبول (٨٦/١).

الأمر الأول: الإخلاص لله ﷻ، بحيث تكون نية الداعي في دعوته خالصة إلى الله ﷻ، متجردة عن الهوى، وحب الشهرة، أو مغالبة الآخرين، أو تكثير الأتباع والأنصار، أو الحصول على مكاسب دنيوية.

الأمر الثاني: أن يتخذ من رسول الله ﷺ قدوة في الدعوة[1].

فقد أمر الله ﷻ بالدعوة إليه حيث قال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥]، فهذه الدعوة قائمة على الوضوح والبيان، والحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن[2]، ليعبدوا الله على بصيرة، كما فعل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقاموا بواجبهم بالدعوة، على الوجه الأكمل، حتى بعث الرسول ﷺ، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، ودعا إلى الله على بصيرةٍ سرًّا وجهرًا ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فهذا منهجه ومسلكه وسنته، يدعو إلى الله ﷻ على بصيرة ويقين، وبرهانٍ عقليٍ وشرعيٍ[3].

ويتضح من خلال سورة الحجر أن عباد الله قسمان:

القسم الأول: الكافرون المعاندون، وقد ذكر الله ﷻ أحوالهم في الآية حيث قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الحجر:٤٣]، وهؤلاء الذين لا يصلح معهم تغيير ولا يفيدهم إصلاح.

القسم الثاني: المتقون، وهم المؤمنون الذين استجابوا لدعوة الرسول ﷺ، وقد ذكر الله ﷻ أحوالهم في الآية ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر:٤٥] [4].

وقد ظهر ذلك جليا في سورة الحجر حيث تضمنت الدعوة إلى الله ﷻ من بدايتها إلى نهايتها.

٢. **الدعوة من خلال القرآن الكريم:** ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾[الحجر:١].

---

(١) انظر: عبد الله التركي، أمة الوسط (٩٢/١).

(٢) انظر: أبو المجد سيد نوفل، أساليب الدعوة (١٢٧/٤٩)، ابن باز، الدعوة إلى الله (٣٠/١).

(٣) انظر: صالح بن عبد الله، الحكمة في الدعوة (٨/١).

(٤) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (١٤٩/١٩).

هذه دعوة من الله ﷻ لهداية الناس ودعوتهم من خلال القرآن الكريم، فهذا هو منهج الله ﷻ الذي أكمل به الدين، وأتم به الرسالة، فكان القرآن خاتم الكتب السماوية، وكان سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء[1] في الدعوة إلى الله ﷻ، فعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال:(مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله، فجعل الناس يطيفون به، يقولون: ما رأينا بنيانا أحسن من هذا، إلا هذه اللبنة، فكنت أنا تلك اللبنة)[2].

٣. **كيفية تعامل القرآن مع المعاندين من الكفار:**

حيث قال ﷻ: ﴿ **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الحجر:٣].

يجب على الداعية أن يستخدم الأسلوب المناسب مع المدعوين الذين يتعامل معهم، فلكل مقام مقال، وفي هذا المقام الأسلوب المناسب الترك، أي اتركهم يا محمد ﷺ حيث لا أمل من إصلاحهم، لأنهم غارقون في الأمل الخادع الذي سينتهي بالعذاب، فمن كانت حياته أكلاً وشرباً ومتعةً وجمع مال، سوف يتعلق بالدنيا، وينسى الآخرة، وبالتالي تكون مهمة الداعية معه صعبةً، وقد وضح النبي ﷺ أن ابن آدم يكبر على حب المال، متأملاً في طول العمر، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ المَالِ، وَطُولُ العُمُرِ)[3]، فإن كانت هذه طبيعة في ابن آدم ؑ بشكل عام، فكيف الحال إن كان من أهل الكفر والعصيان؟!.

وإن لزم الأمر يستخدم الداعية أسلوب التهديد مع الترك، حيث قال ﷻ: ﴿ **فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ فإن الآية تستشعر فيها الإمهال مع التوعد، وتحمل بين طياتها سوء العذاب الذي أعده الله ﷻ للكافرين، نتيجة سوء صنيعهم، حيث قال ﷻ: ﴿ **رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** ﴾ [الحجر:٢]، فهؤلاء سماهم الله ﷻ كافرين، وليس بعد الكفر ذنب، إن الله ﷻ يغفر الذنوب جميعاً إلا أن يشرك به، فعلى الداعية أن يوفر الجهد والطاقة لمن يستحقها، فهؤلاء شغلت

---

(١) فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن (١٧/١) بتصرف.

(٢) صحيح البخاري (١٨٦/٤)، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ،ح (٣٥٣٤)، صحيح مسلم،(١٧٩٠/٤)، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، ح (٢٢٨٦).

(٣) صحيح البخاري،(٩٠/٨)، كتاب الرقاق، باب: لا عيش إلا عيش الآخرة، ح/(٦٤٢١)، صحيح مسلم (٧٢٤/٢)، كتاب الكسوف ، باب كراهة الحرص على الدنيا، ح (١٠٤٧).

قلوبهم حياة البهائم، والإيمان لا يجد سبيلاً إلى قلوبهم، إلا بعد فوات الأوان حيث قال ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام:٢٧]، ولَوْ: طلب الأمر الممتنع الحصول، أي لو رأيتهم لوجدتهم يتمنون لو كانوا مسلمين، فبإعراضهم عنه رضوا لأنفسهم بحياة الأنعام، وهي الاقتصار على اللذات الجسدية، فخوطب الرسول ﷺ بما يكشف حقيقة أمرهم من أن حياتهم حياة أكل وشرب ولا أمل من إصلاحهم.

وذلك مما يتعيرون به في أقوالهم كما في قول الحطيئة:(١)

دع المكارم لا تنهض لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وأيضاً يتعيرون به في أعمالهم كما قال ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد:١٢]، ففي أكثر من آية بين ﷻ أن الذين كفروا حياتهم حياة بهائم، فهي السقف الأعلى لما يتمنون من الحياة الدنيا، وحياة البهائم التي رضوا بها غير دائمة، ومصيرهم إلى يوم يندمون فيه على ما فعلوا، حيث لا يفيد الندم ويتمنون لو أنهم كانوا مسلمين عندما يرون العذاب في نار جهنم، وكما دلت الآية على أن التلذذ والتنعم وعدم الاستعداد للموت والتأهب له ليس من أخلاق المؤمنين، ولا من أخلاق الذين يطلبون النجاة من عذاب الله في الآخرة، إنما هو من أخلاق الهالكين الذين كل همهم التمتع في الحياة الدنيا(٢)، ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف:٢٠].

وترى الباحثة: أنه على الداعية الناجح ألا يذهب جهده هدراً مع أمثال هؤلاء المتكبرين والمعاندين، وأن يوفر هذا الجهد لمن يثمر معه.

٤. **الأجل محدود:** حيث قال ﷻ: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [الحجر:٥].

---

(١) أبو مليكة الشاعر: جرول بن أوس بن مالك، لقب بالحطيئة لقربه من الأرض، فإنه كان قصيراً، وهو من فحول الشعراء وفصحائهم، وهو مخضرم أدرك الجاهلية، والإسلام، وأسلم ثم ارتد، انظر: محمد بن شاكر، فوات الوفيات (٢٧٦/١)، الدينوري، الشعر والشعراء (٣١٠/١).

(٢) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، (٤٦٥/٦).

على الداعية الناجح أيضاً ألا يفوت أي فرصة يتأمل فيها استجابة الناس وهدايتهم، وهى دعوة من الله ﷻ ليذكرهم بأجلهم لعلهم يهتدون، فإذا حضر أجل أمة؛ فإنه لا يؤخر ساعة ولا يقدم، والأُمة التي لم يحضر أجلها فإن أمرها إلى الله ﷻ؛ يؤخر ما يشاء ويقدم ما يشاء[1].

وترى الباحثة: أن هؤلاء المشركون أصحاب الأمل واللهو والترف والأكل والشرب؛ يظنون أنهم مخلدون في الحياة الدنيا، وتناسَوْا بأنها قصيرة، وأنها إلى زوال، وإذا جاء أجلهم لا يقدم ولا يؤخر، وتكون نهاية هذا الأمل؛ العذاب الذي يُنْسي معه كل متعة كانت في معصية، ومثل هؤلاء لا أمل في إصلاحهم، ولكن لعل هذه التذكرة تنفع من التفوا حولهم، وانخدعوا بهم.

٥. **الدعاة عرضة للسخرية والاستهزاء:** حيث قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦].

وترى الباحثة: أن الدعوة في سبيل الله ﷻ منهج الأنبياء، لذلك كل همهم هداية الناس، ولو كلفهم الأمر التعرض للسخرية والاستهزاء، مثلما فعل كفار قريش بالنبي ﷺ، فعلى الداعية أن يضحي في سبيل إنجاح دعوته.

٦. **العناد والتكبر يعيق الإصلاح والتغيير** حيث قال ﷻ: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الحجر:٧].

وترى الباحثة: أن مهمة الداعية تصبح صعبة إذا اتصف المدعون بالعناد والتكبر، فهؤلاء لا ينفعهم التغيير ولا يفيدهم الإصلاح، لأنهم يرفضون الحجج الواضحة، والأدلة المؤكدة؛ ولن يدركوا سوء صنيعهم، إلا بعد فوات الأوان، فهؤلاء المعاندون المتصفون بصفة إبليس اللعين، وهي العناد والتكبر؛ يتعالون على الحق حيث طلبوا من سيدنا محمد ﷺ آيات تدل على صدق نبوته، رافضين أعظم معجزة، وهي آيات القرآن الكريم، كما رفضوا آيات الكون الباهرات، والمتمرس في الدعوة يستطيع أن يرد بطرق متعددة، تثبت عجز خصمه، دون أن يلبي له ما يريد، إن كان طلبه من باب الإحراج والتشدق بالكلام دون فائدة.

٧. **رفضٌ وثبات:** ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴾ [الحجر:٨].

---

(١) انظر: السيوطي، الدر المنثور (٥/٦٦).

أنزل الله ﷻ الرد على طلب هؤلاء المجرمين بالرفض، وهذا الرفض لم يؤثر على النبي الداعية ﷺ، بل ظل ثابتاً على ما جاء به من الحق، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على صدق النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، ولو أنزل ﷻ الملائكة عليهم عياناً، لزال عنهم الإمهال، وعذبوا في الحال(1)، والعذاب حق لمثلهم؛ لأنهم ظلموا أنفسهم بالشرك حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، ولكن الله ﷻ أراد إمهال هؤلاء المشركين، وإعطائهم الفرص الكافية للتوبة والرجوع، عسى أن يخرج من أصلابهم من يؤمن بالله الواحد(2)، والنّبي ﷺ ليس ملزمٌ بتلبية مطالب المشركين واقتراحاتهم، إنما مهمته الإنذار، وتوضيح الدعوة، والإصلاح والتغيير ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فهو منذر لقومه مبين لهم، ولكل قوم من قبله هاد ومنذر وداع(3).

وفي مثل هذه الحالات العقيمة تكون مهمة النبي الداعية التبليغ مع الصبر، عسى الله ﷻ أن يحدث في أمرهم شيئاً حيث قال ﷻ: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٢٠].

٨. **مطالبهم تعجيزية للعناد لا للإقناع:** حيث قال ﷻ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾[الحجر١٤، ١٥].

وترى الباحثة: أنه يجب على الداعية أن يكون موقفه قوياً، لديه القدرة على الرد، وإفحام الخصم، وكشف نواياه الخبيثة، فهؤلاء الكفرة الفجرة لم يطلبوا الملائكة من أجل الإيمان، وإنما طلبوها ليحرجوا سيدنا محمد ﷺ، ويظهروا عجزه أمام الناس، فيكذبوه ويتركوا دينه حيث قال ﷻ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٤]، والله ﷻ بيَّن لسيدنا محمد ﷺ أن مطالب هؤلاء بهدف الإحراج لا بهدف الوصول إلى الحق، لأن الأدلة التي تؤكد صدق النبي ﷺ تملأ الكون، ولكن هؤلاء معاندون جاحدون حيث قال ﷻ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ

(1) انظر: البغوي، مختصر تفسير البغوي (٣٦٩/٤).
(2) انظر: الطبري، جامع البيان (٦٧/١٧).
(3) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (١١٧/١٣).

﴿يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣]، فلا أمل من إصلاحهم، أو تغيير عقيدتهم الفاسدة، وقد بلغ من غلوهم في العناد؛ أنهم لو فتح الله ﷻ لهم باباً إلى السماء يصعدون عليه كالدرج، ويتجولون في السماء، سيكذبون أعينهم، ويقولون: سدّت أعيننا هو شيء نتخيله لا حقيقة له، وهذا فعل ساحر قد سحرنا محمد بذلك، فنحن قوم مسحورون[١].

٩. **تزكية الدعاة:** حيث قال ﷻ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

ومعنى قوله ﷻ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي: لا تتمنى مال صاحبك[٢]، ومعنى ﴿أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ﴾ أي: أمثالاً وأصنافاً من الأغنياء، فعلى الداعية أن يترفع عن متاع المشركين، فبعد أن كشف الله ﷻ حقيقة المشركين، وما تخفي نفوسهم المريضة من الحقد والكفر والمكر والدهاء، استعظم النبي ﷺ ما هم عليه من الرغد في العيش والغنى، وهم الذين لا يستحقون ذلك من الله ﷻ، لأنهم كفروا به، فنظر إليه وتمناه ليعينه على دعوته، فنهاه ربه ﷻ عن ذلك، وبين له بأن ما هم عليه من متاع الحياة الدنيا ابتلاء محض وإلى زوال، وأن الله ﷻ يطهر أولياءه الدعاة من علائق الدنيا، ويحذرهم من تمني زينتها التي جعلها متاعاً للأغنياء من المشركين، لأنه عجل لهم فيها، وجعل للمؤمنين في الآخرة ما هو خير من ذلك[٣]، حيث قال ﷻ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه:١٣١].

١٠. **هوان الكافرين على الله ﷻ** حيث قال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ فهم أهون على الله ﷻ من أن يحزن عليهم النبي ﷺ، وكما ظهر في بداية السورة أن الله ﷻ يحافظ على جهد الداعية فنهاه أن يبذله هدراً مع من لا يستحقه، نهاه هنا عن الالتفات إلى أموالهم وأمتعتهم، ونهاه أيضاً عن الالتفات إليهم بالحزن عليهم لأنهم أصروا على الكفر، حيث لم يؤمنوا

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف (٥٧٣/٢)، ابن الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن(٢٠٥/١).

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان (١٤١/١٧).

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٥٦/١٠).

وصمموا على الكفر والعناد[1]، كما قال ﷻ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر:٨]، فهذه دعوة إلى نبي الرحمة؛ ألا يذهب نفسه عليهم حسرة وألم، وكذلك الداعية عليه ألا يبكي على من لا يستحق من الكفرة والعصاة.

١١. **الدعم المعنوي للمدعوين:** حيث قال ﷻ: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨].

أمر الله ﷻ النبي الكريم ﷺ أن يلين جانبه لمن آمن به وبدعوته، وأن يقربهم من نفسه، حيث قال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩]، فهؤلاء هم الذين يستحقون العطف والحب والحزن عليهم، وعلى الداعية أن يهتم بالمدعوين، وأن يشعرهم بأن دعوته لهم من باب الخوف عليهم، والحرص على مصلحتهم، ويعز عليه عنائهم، حيث قال ﷻ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، فهو يتمنى لهم الخير والنجاح في الدنيا والآخرة، وليس له هدف سوى ذلك حيث قال ﷻ: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ [هود:٢٩][2]، حريص على هداية ضُلالهم وإصلاحهم، وتغيير عقيدتهم الفاسدة، وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق[3]، فيا أيها الداعية اعتني بالمدعوين، كما فعل الداعية الأسوة، فمنهم يخرج الدعاة.

١٢. **النصح والوضوح:** ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الحجر:٨٩].

إن دعوة الأنبياء قائمة على النصح والوضوح، فكان سيدنا محمد ﷺ ناصحاً أميناً، ونذير للناس من عذاب أليم يحل بهم، بسبب تماديهم في غيهم، كما حل بمن تقدمهم من الأمم المكذبة لرسلها، فانتقم الله ﷻ منهم بإنزال العذاب بهم[4]، والمبين لهم طريق الوصول إلى الحق، طريق

---

(١) انظر: أبو الطيب، فتح البيان (١٩٦/٧).

(٢) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (١٨٦/٣).

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان (٥٨٤/١٤).

(٤) انظر: تفسير المراغي (٤٦/١٤).

الدعوة إلى الله ﷻ، وعن أبي موسى ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قوما فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان[١]، فالنجاء[٢]، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا[٣]، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق)[٤].

وهنا يتبين للباحثة من الحديث: أن النبي ﷺ بعثه ربه ﷻ نذيراً مبيناً للحق، فشبه مَنْ آمن به وسار على هَدْيِهِ، كمن أخبره بأنه مصبحه جيش لا قِبَل له به فسمع النصيحة، وخرج مسرعاً من أول الليل فنجى من الهلاك، ومن لم يصدق وكذب صبحه الجيش وكان مصيره الهلاك.

وفي العصر الذي نعيش فيه، تبدو حاجة المجتمع ماسة إلى جهد الدعاة في الدعوة إلى الله ﷻ، من أجل الإصلاح والتغيير، حفاظًا على الدين، وعلى أحكام الشريعة والأخلاق الإسلامية التي يتعامل الناس بها في المجتمع، فالقرآن الكريم والسنة النبوية بينت للدعاة كيفية الدعوة إلى الله ﷻ، فواجب المسلم لا يقتصر على نفسه فحسب، دون أن تكون له صلة بالمجتمع من حوله، ودون محاولة لهداية غيره إلى الله ﷻ، متى كان قادراً على ذلك، بل تمتد رسالة المسلم الداعية إلى إصلاح غيره، مع إصلاح نفسه، وإلى إصلاح المجتمع، من خلال السير في طريق الهداية والفلاح.

ودين الإسلام هو دين الوسطية، وهو أوسط المناهج وأعدلها وأقومها، وهو الجدير وحده بالاتباع في كل زمان ومكان، ويجب على المسلم الداعية أن يلتزم به إزاء نفسه، وإزاء الآخرين، سواء كانوا مسلمين يحتاجون إلى تنمية المعارف، أو تزكية النفوس، باتباع الشريعة الصحيحة، أم كانوا غير مسلمين يريد أن يهديهم إلى الوحدانية، وترك الشرك[٥].

---

(١) النذير العريان: الجاد المشمر، المولى أبو الفداء، روح البيان (٢٢٤/١٠).

(٢) النجاء: سرعة السير، انظر: الطبري، جامع البيان (١٦١/١).

(٣) أدلجوا: ساروا من أوّل الليل، الفرابي، الصحاح تاج اللغة (٣١٥/١).

(٤) صحيح البخاري (٩٣/٩)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ح (٧٢٨٣).

(٥) انظر: عبد الله التركي، الأمة الوسط (٨١/١، ٨٢)، (١٢٠/٢).

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: رسم منهج الدعاة، من خلال القرآن الكريم، والبراهين والأدلة الكونية، لإثبات الوحدانية لله ﷻ، والنبوة لمحمد ﷺ، والبعث والجزاء يوم القيامة.

ثانياً: تذكير المدعوين بأن طول الأمل يؤدي إلى سوء العمل، وأن الزهد واليقين يؤدي إلى الصلاح حيث قال ﷻ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣].

ثالثاً: الإنذار بمصارع الطغاة ومكذبي رسل الله الكرام، للعبرة والعظة، أمثال قوم لوط عليه السلام أصحاب الحجر والأيكة.

رابعاً: استثمار جهود الداعية في مواطن الخير المثمرة، وعدم إضاعتها هدراً، لمن لا يستحقها، إذا ثبت عناده، وترك المعاندين وعدم الاكتراث بهم، لذا ابتدأت السورة بالإنذار والتهديد والتهويل والتوبيخ لمن رفض الدعوة(١) حيث قال ﷻ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ * ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٢، ٣].

خامساً: عقاب العصاة الذين لا يوجد أمل في إصلاحهم، أو تغيير ما ألفوه من المعاصي حيث قال ﷻ: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ [الحجر:٥٨].

سادساً: عدم الاستجابة لمطالب الكافرين؛ إن كانت من باب السخرية، والاستهزاء والتكذيب، حيث قال ﷻ: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الحجر:٧] .

سابعاً: كشف حقيقة المشركين، وبيان أن مطالبهم تعجيزية حاقدة؛ لا تبغي الوصول إلى الحق، حيث قال ﷻ: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الحجر:٧].

ثامناً: بيان أن تلبية مطالب المشركين لن تغير من مواقفهم المعادية، ولا ينفع معهم تغيير ولا يفيدهم إصلاح حيث قال ﷻ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ [الحجر:١٤،١٥].

تاسعاً: الدعوة إلى الله ﷻ بكافة الوسائل، والتفنن في الدخول إلى قلوب الناس، وإنزالهم قدر منازلهم، ودعوتهم حسب أحوالهم حيث قال ﷻ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (٦/١٤).

يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣] وقال ﷻ: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الحجر:٨٩]، وقال ﷻ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤].

عاشراً: اتباع منهج الأنبياء في إعطاء الفرص العديدة للتوبة والرجوع حيث قال ﷻ: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥]، وقال ﷻ: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤].

المطلب الخامس: أسلوب القصص

أولاً: قصة آدم عليه السلام:

حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ...أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٦ – ٣١].

ثانياً: قصة إبراهيم عليه السلام:

حيث قال ﷻ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ...إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[الحجر:٥١- ٥٦].

ثالثاً: قصة لوط عليه السلام:

حيث قال ﷻ: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ ...إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٥٨-٧٧].

رابعاً: قصة أصحاب الأيكة:

حيث قال ﷻ: ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ... مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر:٧٨– ٨٤].

خامساً: قصة أصحاب الحجر:

حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ... مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر: ٨٠- ٨٤].

لقد فطر الله ﷻ الإنسان على حب القصص لذلك كان من منهج القرآن الكريم استخدام أسلوب القصص وكان الهدف من ذلك:

١. إثبات صدق النبي ﷺ حيث قال ﷻ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء:١٦٤]، وقال ﷻ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ {يوسف:٣}.

٢. التسلية لقلب النبي ﷺ وتسرية الهموم عنه لشدة ما عاناه من تكذيب وإيذاء حيث قال ﷻ: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠].

٣. أخذ العبرة والعظة من الأمم السابقة حيث قال ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١].

٤. فتح أبواب التوبة أمام الراغبين والمتعظين.

وقد تضمّنت سورة الحجر نماذج من رحمة الله ﷻ، ونماذج من عذابه متمثّلة في القصص الآتية:

١. قصة آدم عليه السلام.
٢. قصة إبراهيم عليه السلام.
٣. قصة لوط عليه السلام.
٤. قصة أصحاب الأيكة.
٥. قصة أصحاب الحجر.

أولاً: قصة آدم عليه السلام: حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ * وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٦ – ٣١].

وترى الباحثة: أن في قصة آدم عليه السلام كان المشهد جلياً حين ظهرت المكانة العلية التي حظي بها آدم عليه السلام من بين المخلوقات؛ حيث نفخ فيه من روح الله ﷻ، مما أكسبه عزة وكرامة، وسجوداً واحتراماً، وألبسه ربه ﷻ حلة العلم، وزينهُ بالخَلْقِ القويم، والخُلُقِ الحسن، وفي مثل هذا المشهد المهيب، في الحضرة العلية، يصدر الأمر الإلهي بالسجود لآدم عليه السلام، فيظهر العدو من الحبيب، أما الملائكة فامتثلت لأمر الله ﷻ، وأبدت احترامها وتقديرها لآدم عليه السلام، وأما الشيطان الرجيم؛ هدد وتوعد، وحسد وتكبر، وخرج عن طاعة الله ﷻ، وأصر

على المعصية، وعاند ربه ﷻ، ورفض السجود لآدم ﷺ، فطرد من رحمة الله ﷻ، وطاردته اللعنة إلى يوم الدين، حيث قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر-٣٥]، ولكن هذا الرجيم توعد لبني آدم ﷺ، مستخدماً أسلحته الفتاكة، من التزيين للمعاصي، والإغواء للهالكين حيث قال ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]، وكان آدم ﷺ أول العاصين، بعد أن نجح الشيطان في إغوائه، وأكل من الشجرة، فخرج من الجنة، ليتحقق وعد الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، فخلق ليكون خليفة الله ﷻ في الأرض، ومن ينوب عنه، ليبلغ رسالة ربه لأبنائه، ويبين لهم كيف يعبدون الله ﷻ، ليتحقق قوله ﷻ:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، ويعلمهم كيف يتوبون ويستغفرون بعد ارتكاب المعاصي، كما تعلم آدم ﷺ من ربه ﷻ كيفية التوبة حيث قال ﷻ: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧]، ويعلمهم أن الشيطان عدو لهم، فيتخذوه عدواً حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦]، وبذلك يتحقق الإصلاح والتغيير لبني آدم ﷺ كلما أغوتهم الشياطين.

ويستمر الشيطان في عداوته لبني آدم ﷺ، ويستمر في إغوائه لهم، بتزيين المعاصي والذنوب، وينجرف وراء إبليس اللعين الكثير من بني آدم ﷺ، ويتحقق فيهم وعد الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٢، ٤٣]، وتستمر قصص بني آدم ﷺ بما فيها من عصاة ومهديين، كافرين ومؤمنين، وتعرض السورة نماذج لبني آدم ﷺ.

ثانياً: قصة إبراهيم ﷺ: النموذج الأول حيث قال ﷻ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ* قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ* قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ* قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ* قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[الحجر:٥١- ٥٦].

وترى الباحثة: أنه في قصة إبراهيم ﷺ تظهر رحمة الله ﷻ بعباده المؤمنين الصالحين، يعطيهم ويصلح حالهم ولو بعد حين، فسبحان من أصلح له زوجه بعد العقم والكبر، ورزقها إسحق ﷺ، جزاءً لصبرهم على قضاء الله ﷻ، وإيمانهم به حيث قال ﷻ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾ [الرَّحمن:٦٠]، فهذا نموذج لأبناء آدم ﷺ، الذين اتبعوا هدى الله ﷻ، فصلحت عقيدتهم، وقاموا بإصلاح الناس، وهدايتهم إلى عبادة الله ﷻ، فمنَّ عليهم ﷻ، وأجزل العطاء.

ثالثاً: قصة لوط ﷺ: النموذج الثاني حيث قال ﷻ: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ * فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ * وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ * وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ * قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٥٨-٧٧].

وتتكون القصة من فريقين من قوم لوط ﷺ، الفريق الأول: الصالحون؛ وهم آل لوط ﷺ، من أتباعه وأهل دينه(١)، منَّ عليهم ربهم ﷻ بالنجاة من القوم الفاجرين، فسلمهم من المعصية، لما هم عليه من الصلاح في الأخلاق، فهم الذين حاربوا الفساد الأخلاقي حيث قال ﷻ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٨٠]، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل:٥٦].

وسلم لهم دينهم، لما هم عليه من الصلاح في العقيدة، فهم الذين عبدوا الله ﷻ، فلم يهلكهم، بل منَّ عليهم بالنجاة من العذاب حيث قال ﷻ: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٥٩].

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(١٠/٣٦).

والفريق الثاني: الفاجرون من قومه؛ وهم الذين أهلكهم الله ﷻ، لأنهم أصروا على ارتكاب الفاحشة، فانتكست فطرتهم، وترفعت عن فعلتهم البهائم، ولم يبق لهم شبيه إلا الشياطين، فما نفعهم محاولة النبي لوط عليه السلام لإصلاحهم أو تغيير أخلاقهم الفاسدة، فأنزل ﷻ بهم العذاب الذي يستحقونه حيث قال ﷻ: ﴿**فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ**﴾ [الحجر:٧٤]، ولم يستحقوا تضحيته ببناته ليتزوجوهم، وهم أغلى ما لديه في سبيل إصلاحهم، وهم ليسوا بأهل لهم ﴿**قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**﴾ [الحجر:٧١]، فحق عليهم العذاب.

إن في عقاب قوم لوط عليه السلام، لعلامة ودلالة بينة، على انتقام الله ﷻ من أهل الكفر، وإنقاذ أهل الإيمان من عذابه إذا نزل عذابه بقوم ما، إن أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر[1].

رابعاً: قصة أصحاب الأيكة: النموذج الثالث حيث قال ﷻ: ﴿**وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ * وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الحجر:٧٨- ٨٤].

وأما أصحاب الأيكة الكافرون، وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف، ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر، فانتقم الله ﷻ منهم، بالعذاب وذلك أن الله ﷻ سلط عليهم الحر سبعة أيام، ثم بعث سحابة فالتجؤوا إليها يلتمسون الروح، فبعث عليهم منها نارا فأحرقتهم[2]، فذلك قوله ﷻ: ﴿**فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [الشعراء:١٨٩]، وهذا نموذج آخر من بني آدم عليه السلام، الذين انجرفوا وراء الشيطان فما نفعهم تغيير ولا أفادهم إصلاح، فحق عليهم العذاب.

خامساً: قصة أصحاب الحجر: النموذج الرابع، وهذه هي القصة الرابعة، وهي قصة صالح عليه السلام، قال المفسرون: والحجر ديار ثمود، وهي ما بين مكة وتبوك، وهو الوادي الذي فيه ثمود، وهي أرض بين الحجاز والشام، وهم قوم صالح عليه السلام، ولذلك سميت السورة بسورة

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (١٢٣/١٧).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٦٣/٣)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٤٥/١٠).

الحجر[1]، **وترى الباحثة:** أن أصحاب الحجر ليسوا بأحسن حالاً ممن سبقهم، بل كذبوا المرسلين وأعرضوا عن آيات الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الحجر: ٨٠- ٨٤].

والمرسلين: هو صالح عليه السلام وحده، ولكن من كذب نبياً فقد كذب الأنبياء كلهم، لأنهم على دين واحد في الأصول، فلا يجوز التفريق بينهم، وقيل: كذبوا صالحاً عليه السلام ومن تبعه ومن تقدمه من النبيين أيضاً.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم ألا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها، فقالوا: قد عجنا واستقينا، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا الماء وأن يطرحوا ذلك العجين)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر أرض ثمود، فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي تردها الناقة)، وروي أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مررنا مع رسول الله ﷺ على الحجر فقال لنا رسول الله ﷺ: (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم ثم زجر)[2].

فعلى الصفة التي أرشد إليها النبي ﷺ يتضح أن عذاب الله ﷻ إذا ما نزل بقوم بقيت آثاره في الأرض من شدة غضب الله ﷻ ﴿**اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ**﴾ [المائدة:٩٨]، فها هي آثار غضب الله ﷻ على أصحاب الحجر، ما زالت باقية أصابت الذين تخلفوا عن نصح رسول الله ﷺ، وعلى المؤمنين أن يمروا على آثار المعذبين مسرعين خائفين معتبرين، وألا يغتروا بحصون الدنيا، فهي لا تدفع غضب الله ﷻ، فها هم أصحاب الحجر ما أغنى عنهم ما كانوا يعملون من نحت تلك الجبال، ومن جمع تلك الأموال[3].

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان (١٢٦/١٧)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٤٥/١٠).

(2) صحيح البخاري (١٤٨/٤، ١٤٩)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى:
[وإلى ثمود أخاهم صالحا]{الأعراف: ٧٣}، ح (٣٣٧٨، ٣٣٧٩، ٣٣٨١).

(3) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (١٥٧/١٩).

وهذا منهج نبوي كريم في توجيه صحابته إلى الاعتبار بديار ثمود، وأن يتذكروا بها غضب الله ﷻ على الذين كذبوا رسوله، وألا يغفلوا عن مواطن العظة بمعالمها الدارسة، وأطلالها القديمة، ونهاهم عن الانتفاع بشيء مما في ربوعها، حتى الماء، لكي لا تفوت بذلك العبرة، وتتحقق الموعظة، وأمرهم بالبكاء وبالتباكي، تحقيقاً للتأثر بعذاب الله ﷻ، ولو أنهم مروا بها كما نمر نحن بآثار السابقين، لتعرضوا لسخط الله ﷻ، فإن الغابرين شهدوا المعجزات ودلائل النبوة، وعاينوا العجائب، لكن قست قلوبهم فاستهانوا بها، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من نقمة الله ﷻ وغضبه، فحق عليهم العذاب[١].

إن في قصصهم لعبرة: حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٧٥-٧٧]، ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩].

وإن في هذه الآيات لدعوة صريحة للمؤمنين المتوسمين الناظرين المتفرسين، المعتبرين، المتفكرين إلى أخذ العبرة والعظة، من هذه القصص التي حملت بين آياتها ما حدث مع بعض أبناء آدم عليه السلام؛ الذين استهوتهم الشياطين، فعصوا ربهم، واتبعوا سبل الشيطان، ورفضوا كل محاولات الرسل لإصلاحهم، وتغيير ما ألفوه من المعاصي المتنوعة والمتعددة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١]، ومن حكمة الله ﷻ أنه جعل هذه القرى في طريق واضحٍ في نفسه، يأتمه الناس لأنه طريق سفرهم.

قال الفراء[٢]: والإمام اسم لما يؤتم به، وسمي الطريق إماماً لأنه يؤتم ويتبع[٣]، ومعلمٌ ليس بخفيٍ ولا زائلٍ، يعتبرُ بهم من يمرُ عليهم[٤].

---

(١) انظر: علي الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع (٨٢٣/١).

(٢) علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن العبسيّ الفراء: (...- ٣٥٢هـ) مؤرخ مصري، من فقهاء المالكية، عرّفه ابن الطحان بصاحب " التاريخ " ولم يسمّ كتابه، انظر: الزركلي، الأعلام (٢٧٧/٤)، الذهبي، تاريخ الإسلام (٤٧/٨).

(٣) انظر: الشوكاني، فتح القدير (١٦٨/٣).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٤٥/١٠).

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: الدعوة إلى الله ﷻ عن طريق الأسلوب القصصي، لما لها من أثرٍ فعالٍ ناجحٍ في هداية الناس، فالإنسان مفطور على حب القصص.

ثانياً: استخدام الأسلوب القصصي، لأخذ العبرة والعظة، وقد ظهر ذلك جلياً في عرضه ﷻ للقصص السابقة.

المطلب السادس: التدرج في الدعوة ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤].

ركزت الدعوة لله ﷻ في بدايتها على قضية التوحيد، فهي المحور الأساسي للدعوة القرآنية قبل الهجرة، وكان لابد من ذلك في بدء المواجهة، لأن القوم في مكة، كانوا وثنيين يعبدون الأصنام من دون الله، وقد زين لهم الشيطان سوء عملهم، فرأوه حسناً، وحينما واجه القرآن هذه الظاهرة طوَّقها من كل جهة، ولم يدَعْ وسيلةً من وسائل الإقناع السلمي إلا وقد استثمرها في خطاب القوم، ونصب لها من الأدلة والبراهين ما هو كفيلٌ بتحقيق الإيمان بالله الخالق البارئ[1]، فمن الحكمة أن يراعي الداعية مبدأ التدرج في الدعوة إلى الله ﷻ؛ حتى يحقق أهدافه؛ وحتى لا تُثْمِرَ الدعوة نتائجَ عكسيّةً غير مرغوبٍ فيها، كما يجب تقديم الأهم على المهم في تطبيق منهج الله ﷻ، والدعوة إليه؛ وهذا مطلبٌ شرعيٌّ ينبغي أن يكون واضحاً في ذهن الداعية[2]، والمقصد الأهم في سنة التدرج دعوة الناس إلى عبادة الله ﷻ، ومن ثم الدعوة إلى شرع الله ﷻ.

فإن كان المدعو غير مسلم فموضوع دعوته يكون في المقام الأول:

١. إثبات وحدانية الله ﷻ.
٢. إقامة الشريعة الإسلامية[3].

---

(١) انظر: عبد العظيم المطعني، سماحة الإسلام (١٥/١).

(٢) انظر: أبو المجد نوفل، دعوة إلى السنة (٥٢/١).

(٣) انظر: إبراهيم المطلق، التدرج في دعوة النبي (٣١/١).

ولم تتوقف دعوة الأنبياء عند التبليغ بل تجاوزت ذلك إلى محاربة الفساد العقائدي، كما فعل موسى عليه السلام مع فرعون، ومحاربة الفساد الأخلاقي، كما فعل لوط عليه السلام مع قومه، ومحاربة الفساد الاقتصادي، كما فعل شعيب عليه السلام مع قومه (1).

وقد أمر ﷻ رسول الرحمة المهداة إلى الجهر بالدعوة، بعد ثلاث سنوات من السرية والتكتم لما تقتضيه طبيعة المرحلة، فإن تثبيت اللبنة الأولى في الدعوة إلى الله ﷻ تحتاج إلى هذه الفترة من الحذر والتكتم والسرية، والمقصود بالسرية والتكتم في هذا المقام عدم ممارسة الشعائر الدينية علناً، أما العلم بالدين الجديد فكان معلوماً لقريشٍ منذ البداية، وكان إعلان الدعوة للعشيرة الأقربين، إعلاناً للعرب أجمعين، حيث قال ﷻ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، فقد كانت بأعلى الصفا، وتسامع بها الناس، وإذا كان الخطاب للعشيرة خاصة، فقد كان الإعلام لقريشٍ عامة، ثم للعالمين كافة، فتسامعت به الركبان، وتذاكر في دعوته الذين يغشون مكة المكرمة من غير أهلها، واستمر نزول الوحي عليه ﷺ في مكة المكرمة ثلاثة عشر عاماً، لم يعرف لها التاريخ مثيلاً في التجرد والإخلاص، والصبر والجهاد والمجاهدة، والتربية الإيمانية العميقة، فنشأت القاعدة الصلبة التي رباها النبي ﷺ على عينه، لتتحمل معه أعباء الدعوة إلى الله ﷻ، يقود خطاها الوحي الإلهي في كل لحظة من اللحظات، ويأخذ بيدها لتكون على الجادة من الطريق الطويل(2)، ومن ثم الهجرة وخوض الحرب لإعلان هذا الدين، ثم إرسال الرسائل للملوك والأمراء، وبذلك انتشرت الدعوة المحمدية في كافة ربوع المعمورة.

التدرج في عرض الإسلام على قريش:

المرحلة الأولى: وقد ابتدأت سورة الحجر بدعوة قريش إلى عبادة الله ﷻ من خلال القرآن الكريم حيث قال ﷻ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ١]، أي اعرض عليهم يا محمد ﷺ الدليل على صدق دعوتك، فهم قادرون على الحكم عليه، حيث إنهم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان، وهذه هي المرحلة الأولى في دعوتهم.

---

(1) انظر:حمزة ذيب وآخرون، التربية الإسلامية للصف الثاني عشر(ص:٥٦).

(2) انظر: عثمان ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (١/٢٧).

المرحلة الثانية: قال ﷻ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣]، وإن كذبوك فاتركهم حيث هددهم الله ﷻ فقال: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ العذاب الذي أعده الله ﷻ لهم، حيث لا أمل من إصلاحهم[١].

المرحلة الثالثة: فلما أنكر المشركون مبدأ التوحيد، وتعجبوا منه، وجعلوا الأصل هو التعدد في الآلهة، ثم أنكروا أن يكون محمد ﷺ هو المختار لتلقي الوحي وتبليغه فقالوا له ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦]، جاءت آيات القرآن تحمل الدعوة إلى النظر في آيات الكون، بما فيها من السماء، والنجوم، والشمس، والقمر، والأرض، والجبال، والبحار، والأنهار، والإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد داعية إلى التأمل الصحيح والنظر الدقيق في هذه الآيات البينات[٢]، لعلهم يغيرون ما بأنفسهم من كفرٍ وضلالٍ ويهتدون إلى الواحد القهار.

المرحلة الرابعة: وبعد ذلك وبأمر من الله ﷻ آن الأوان إلى الجهر بالدعوة فنزل قوله ﷻ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤]، أي فاجهر بإبلاغ ما أمرت به من الشرائع وواجه به المشركين، ولا تلتفت إلى ما يقولون، ولا تبال بهم ولا تخافهم، فإن الله كافيكهم، وحافظك منهم، ولما كان هذا الصدع شديداً عليه لكثرة ما يلاقيه من أذى المشركين ذكر أنه حارسه وكالئه[٣].

فكان الذين ارتضوا الإسلام دينا يستخفون بعبادتهم ولا يظهرونها، ويذهبون إلى شعاب مكة المكرمة يصلون فيها، وما عرف أنهم كانوا يذهبون إلى الكعبة الشريفة مجاهرين متحدين، ولكن كانوا يستخفون بهذه العبادة إلى أن نزل في تدرج الدعوة قوله ﷻ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ * فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[الحجر:٩٤-٩٩]، فكانت هذه الآيات الكريمة دعوة إلى أن تبلغ الدعوة أقصى مراتبها، وأبعد مقاصدها أثراً في التكليف، وتأثيراً في النفوس، فصدع النبي ﷺ بأمر الله ﷻ

---

(١) انظر: عبد العظيم المطعني، سماحة الإسلام (١٧/١).

(٢) انظر: أبو المجد سيد نوفل، أساليب الدعوة إلى الله (٥٠-٢١٥/٥١).

(٣) تفسير المراغي (٤٧/١٤).

لا تأخذه فيه لومة لائم، ودعا إلى الله ﷻ الجن والإنس، والحر والعبد، والكبير والصغير، والذكر والأنثى، فلما صدع بأمر الله ﷻ، وصرح لقومه بالدعوة، وسب آلهتهم، وعيب دينهم جهاراً نهاراً، اشتد أذاهم له، ولمن استجاب له، وادعوا جهله وجنونه حيث قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦]، وهذه سنة الله ﷻ في خلقه أن يمتحن الأنبياء، ويمتحن كل من اتبعهم(١)، كما قال ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان:٣١]، وقال ﷻ: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات:٥٢]، فَكُذِّبَ النبي ﷺ من قومه، كما كُذِّبَ إخوانه السابقون من الأنبياء.

وما زلنا في المرحلة الرابعة من الدعوة الجهر والتبليغ دون قتال حيث قال ﷻ: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤]، فما عليك إلا البلاغ، وسوف ينتقم الله من هؤلاء الكفرة الفجرة ولو بعد حين، وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم، أو توفيناك قبل ذلك، فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة فحسب، وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم، فلا تهتم بإعراضهم، ولا تستعجل بعذابهم، لا نطلب منك صلاحهم ولا فسادهم(٢)، وبعد ذلك نسخت آيات السيف آيات الإعراض عن المشركين، إنها لدعوة صريحة وقوية ومعلنة تدعو الأنبياء إلى الإصلاح والتغيير لمن أراد أن يغير من نفسه إلى الأفضل، ويصلح منها، فيتبع الدعاة إليها حيث قال ﷻ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أما الذين يصرون على الشرك فأعرض عنهم وقال ﷻ: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، فهؤلاء لا يفيدهم تغيير ولا ينفع معهم إصلاح، وإن ربك سيبين الحكم عليهم بعد ذلك بإذنه تعالى.

المرحلة الأخيرة: مرحلة الجهاد، عندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأسس فيها دولة الإسلام، وصارت لهم دار منعة والأنصار إخوان صدق وأنصار حق، أذن الله ﷻ لهم في الجهاد فقال ﷻ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ

(١) انظر: محمد بن عبد الوهاب ، التوضيح عن توحيد الخلاق(٤٤/١).

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف (٥٣٤/٢)، تفسير المراغي (١١٧/١٣).

﴿دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ﴾ [الحج:٣٩-٤٠]، فبدأت مرحلة الدعوة بالجهاد، كما دل على ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا، عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)[١]، وقال ﷺ:(اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله)[٢]، ففتح البلاد بالسيف والقلوب بالإيمان وعمَّر البلاد بالعدل والعقول بالعلم، فلله الحمد والمنة[٣].

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: وجوب البدء بالنفس والأقربين في الدعوة إلى الله عز وجل، ثم الصدع للجميع حيث قال تعالى: **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾** [الحجر:٩٤] .

ثانياً: مراعاة مبدأ التدرج في الدعوة إلى الله حيث قال تعالى: **﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾** [الشعراء:٢١٤]، وقال تعالى: **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾** [الحجر:٩٤]، وقال تعالى: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ﴾** [الحج: ٣٩، ٤٠].

ثالثاً: مراعاة أحوال الناس، حسب معتقداتهم، وأفهامهم، ومعارفهم، والبدء بالأهم ثم المهم.

رابعاً: الدعوة إلى عبادة الله تعالى طول العمر إلى الممات حيث قال تعالى: **﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾** [الحجر:٩٩].

---

(١) صحيح البخاري (١٤/١)، كتاب الإيمان، باب: [فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم] {التوبة: ٥}، ح (٢٥)، وصحيح مسلم (٥٣/١)، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ح(٢٢).

(٢) صحيح مسلم (١٣٥٧/٣)، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، ح(١٧٣١).

(٣) انظر: حافظ بن أحمد، معارج القبول(١٠٨٤/٣، ١٠٨٧).

المبحث الثالث

منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة الحجر

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مبدأ الصفح الجميل .

المطلب الثاني: الحلال يغني عن الحرام .

المطلب الثالث : الجـــــدل .

المبحث الثالث

منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة الحجر

المطلب الأول: مبدأ الصفح الجميل

قال ﷻ: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥].

الصفح لغة: الصاد والفاء والحاء أصل صحيح، والصّفح مصدر _صفح يصفح_ إذا أعرض عن الذّنب وتجاوز عنه، فهو من مادّة (ص ف ح) الّتي تدلّ على عرض الشّيء[١].

الصفح اصطلاحاً: إزالة أثر الذّنب من النّفس، والترفع عن اللوم والعتاب، والإعراض عنه[٢]، وقيل: "تركُ التّثريب، وهو أبلغ من العفو، ولذلك قال ﷻ: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة:١٠٩]، وقد يعفو الإنسان ولا يَصْفَحُ"[٣].

والمراد هنا الصفح المصحوب بالسلام حيث قال ﷻ: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ [الزُّخرف:٨٩]، والمصحوب بالصفح الجميل حيث قال ﷻ: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥].

والصفح: ترك المؤاخذة عليه، والعفو: ترك العقاب على الذنب، فكل صفح عفو وليس كل عفو صفحاً[٤].

والصفح أصله: عدم الالتفات إلى ما كان منه من الأذى.

والصّفح أبلغ من العفو؛ لأنّ الصّفح تجاوز عن الذّنب بالكلّيّة واعتباره كأن لم يكن، وإزالة أثره، أمّا العفو فإنّه يقتضي إسقاط اللّوم والذّمّ فقط، ولا يقتضى حصول الثّواب[٥].

ويستعمل الفقهاء العفو غالباً بمعنى الإسقاط والتجاوز[٦].

---

(١) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (٢٩٣/٣)، عدد من المختصين، نضرة النعيم (٢٥٣٠/٦).

(٢) انظر: الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز(٤٢١/٣)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٥٤/١٠).

(٣) الأصفهاني، المفردات (ص:٤٨٦).

(٤) الطنطاوي، التفسير الوسيط (٢٤٥/١) بتصرف.

(٥) انظر: الكفوي، الكليات (٦٦٦/١).

(٦) انظر: الموسوعة الفقهية (١٦٧/٣٠).

قال معاوية: "عليكم بالحلم والاحتمال حتّى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصّفح والإفضال"[1].

وقيل الصفح: الرضا بغير عتاب، ويقال: صفحت عن الرجل، وصفحت عن جرمه، وعفوت عنه، وتجاوزت عنه، وتغمدت ذنبه، وترفعت عن إساءته صفحاً جميلاً، وأغضيت عن ذنبه، وتغاضيت عن جرمه، وتجاوزت عن هناته، واغتفرت جريمته، وما فرط منه إلي، وتناسيت ما كان منه[2]، وعن مجاهد [3] في قوله ﷻ: ﴿**فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ**﴾ [الحجر:٨٥]، قال: هذا الصفح الجميل كان قبل القتال[4].

وترى الباحثة أن الصفح: خلق رفيع من شيم الكرام، بالإقبال على المذنب بالرضا، والتفضل والإحسان، بنفس راضية، وترك العتاب واللوم والتقريع.

من فوائد الصفح:

١. الصّفح أعمق من العفو، إذ يزيل الله به أثر الضّغائن من النفوس.

٢. الصفح يُعَرِّف بعظمة الإسلام، حيث أمر الله المؤمنين به، حتّى عن ألدّ الأعداء كي يعرفوه، فيدخلون فيه.

٣. الصّفح من مستلزمات الإحسان، والإحسان أعلى درجات الإيمان.

٤. الصّفح يقوّي رابطة التّآخي بين أفراد المجتمع ويجعلهم متحابّين متّحدين.

٥. الأمّة الّتي يتحلّى معظم أفرادها بالصّفح، تكون أمّة سعيدة في الدّنيا والآخرة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[5].

([1]) الغزالي، إحياء علوم الدين (١٨٤/٣).

([2]) انظر: إبراهيم بن ناصف، نجعة الرائد (١١٢/٢).

([3]) هو بن جبر، أبو الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي (٢١ - ١٠٤ هـ)، شيخ القراء والمفسرين، روى عن ابن عباس وعن أبي هريرة وعائشة وغيرهم، قرأ عليه جمعة منهم الداري وأبو عمرو بن العلاء، وحدث عنه عكرمة وطاووس انظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب (٤٢/١٠)، الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٦٩/١).

([4]) انظر: السيوطي، الدر المنثور (٩٤/٥)، المحسن بن علي، نشوار المحاضرة (٢٤٧/١).

([5]) انظر: عدد من المختصين، نضرة النعيم (٢٥٣٥/٦).

ترى الباحثة: أن من منهجيات القرآن الكريم مبدأ الصفح الجميل، حيث أمر الله ﷻ النبي ﷺ بالصفح عن الذين ناصبوه العداء وكذبوه حيث قال ﷻ: ﴿**فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ**﴾ [الحجر:٨٥]، وهم الذين قالوا له كما ذكر الله ﷻ على لسانهم ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**﴾ [الحجر:٦]، فاتهموه بالجنون وسخروا مما جاء به من القرآن، واستهانوا به وبما يعدهم به من العذاب فقالوا كما ذكر الله ﷻ على لسانهم ﴿**لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ [الحجر: ٧]، وهنا تتجلى رحمة الله ﷻ بعباده عندما أمهلهم، وأعطاهم الفرص العديدة، للتوبة والرجوع، وأخر أسباب العذاب حيث قال ﷻ: ﴿**مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ**﴾ [الحجر: ٨]، ولفت أنظارهم إلى الأدلة المتعددة على وحدانيته ﷻ، لترك ما هم عليه من الفساد العقائدي والأخلاقي، من خلال إثبات الوحدانية لله ﷻ، القادر على الخلق، والإبداع المتقن في هذا الكون، بما فيه من سماء، وأرض، والرزق بأنواعه، والرياح، والقدرة على الإحياء والإماتة، والعلم المطلق، والبعث والحشر، فالدعوة إلى الله ﷻ قائمة على الصفح الجميل، المزين بالأخلاق العالية، فَبُعِث رسول الله ﷺ لدعوة الناس وهدايتهم إلى عبادة الله ﷻ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، حيث إنه ﷻ لم يخلقهم من أجل أن يعذبهم، ولم يكلفهم من أجل أن يعنتهم، وإنما خلقهم من أجل عبادته، حيث قال ﷻ: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦] .

وفي بداية سورة الحجر صور لهم ﷻ مصير الذين عاندوا واستمروا في الشرك، ووصف حالهم يوم القيامة حيث قال ﷻ: ﴿**رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾ [الحجر: ٢]، ثم أمر النبي ﷺ أن يتركهم على ما هم عليه من حياة البهائم حيث قال ﷻ: ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الحجر:٣]، وفي نهاية سورة الحجر أمر الله ﷻ محمد ﷺ أن يصفح عنهم الصفح الجميل، حيث قال ﷻ: ﴿**فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ**﴾ [الحجر:٨٥]، وهو أسلوبٌ مهذبٌ رقيقٌ ورفيعٌ في التعامل، يجب أن يتحلى به الدعاة إلى الله ﷻ، عسى أن يرقق القلوب الغليظة، ويلطف النفوس المريضة، لعلها تلين وتنساق إلى الحق، وتترك ما هي عليه من التصلب والكبر والعناد.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ* إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر:، ٨٥، ٨٦].

وفي النهاية يؤكد الله ﷻ على أنه خلق السموات والأرض وما بينهما بالعدل والإنصاف، لا بالظلم والجور وهو حق، لينظر عباد الله ﷻ إليها فيعتبروا، وتكون حجةً عليهم، وإن الساعة لآتية، لا محالة، فاصفح وأعرض عنهم إعراضاً جميلاً بلا جزعٍ منك، ولا تقريع، ولا تأنيب، ولا توقيف، ولا معاتبة، رضاً بلا عتابٍ وبلا حقدٍ ولا توبيخٍ بعد الصفح، وهو الإعراض الجميل.

إن ربك هو الخلاق العليم بمن يؤمن، وبمن لا يؤمن، والعليم متى تقوم الساعة، وأنه لم يظلم أحداً من الأمم التي قصّ قصصها في هذه السورة، وقصص إهلاكه بعض القرى، وتعجيل النقمة عليهم وعلى من كفر به، لأنه لم يخلق السموات والأرض وما بينهما بالظلم والجور، ولكنه خلق ذلك بالحقّ والعدل، وأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر حيث قال ﷻ ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] .

وإن الساعة التي تقوم فيها القيامة لآتية، فاقبل بها عقاباً للمشركين الذين كذّبوك، وردّوا عليك ما جئت به من الحقّ، أما الآن في الدنيا ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥]، وأعرض عنهم، إعراضاً جميلاً واعف واصفح حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ﴾ [الحجر:٨٦]، الذي خلقهم وخلق كلّ شيء، وهو عالم بهم وبتدبيرهم، وما يأتون به من الأفعال.

والصفح يكون في مرحلةٍ من المراحل، وليس أبداً، وهي مرحلة التبليغ، حتى تقام عليهم الحجة، وقيل قوله ﷻ: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥]، أنها نسخت بعد ذلك، وأمر الله ﷻ نبيه بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فلا يقبل منهم غيره، ويبدوا ذلك جلياً في منهج القرآن الكريم حيث قال ﷻ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة:٥]، أما ما أمر الله ﷻ به نبيه ﷺ أن يصفح ويعفو ويعرض حيث قال ﷻ: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥]، وقال ﷻ: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّخرف:٨٩]، وقال ﷻ: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾

[الحجر:٩٤]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ﴾ [الجاثية:١٤]، كان لفترةٍ معينةٍ حتى أمره بالقتال، فنسخ ذلك كله[1].

فعلى الداعية المسلم الذي يسعى إلى الإصلاح والتغيير التحلي بالصفح الجميل، والتنازل عن حقه لمن ظلمه، لعل يلين قلبه إلى الحق، إذا كان الظرف مناسب لذلك، مع الحفاظ على طبيعة المرحلة.

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: استخدام مبدأ الصفح الجميل، وهو من أرفع الأخلاق الحميدة، التي تساهم في الدعوة إلى الله ﷻ.

ثانياً: شمول الصفح الإسلامي الجميل لأعداء الله ﷻ، وهو أعلى درجات الصفح، وللدين الإسلامي السبق والتفرد به.

ثالثا: الصفح عند المقدرة، لتحقيق هدف الإسلام العظيم، وهو هداية الناس إلى الوحدانية، وحمايتهم من براثن الشرك.

المطلب الثاني: الحلال يغني عن الحرام

الحلال يغني عن الحرام، والقناعةُ كنزٌ لا يفنى، ولا أحدٌ معذورٌ بارتكاب الحرام.

١. **معصية إبليس:** عندما ملأ الطمع قلب إبليس، أكله الحسد، وأعمى الكبر عيونه، وارتكب الحرام، وتعالى على آدم عليه السلام، وظن أنه خير منه، وعصى أمر الله ﷻ، ولم يمتثل له، ورفض السجود لآدم عليه السلام، فغضب الله عليه وأخرجه من الملأ الأعلى حيث قال ﷻ: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[الحجر:٣٤، ٣٥]، فالمكانة العلية التي كان عليها الشيطان اللعين، تغنيه عن الطمع في حق غيره، ولكن عدم الرضا يقود إلى الحرام، والطمع والحسد والكبر، من الأخلاق الذميمة، التي يجب على المؤمن الترفع عنها، لأنها تؤدي إلى المهالك.

---

[1] انظر: الطبري، جامع البيان (١٢٧/١٧، ١٢٨)، السمرقندي، بحر العلوم (٢٦١/٢)، تفسير التستري (٨٩/١).

٢. **معصية آدم:** عندما طمع آدم عليه السلام في الملك والخلود، وكان ذلك بإغواء من إبليس حيث قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف:٢٠،٢١]، فغرر بهم الشيطان، وزين لهم الحرام حيث قال تعالى: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٣٩]، فتحقق أول إغواء لإبليس، وأكل آدم عليه السلام من الشجرة، وهو في جنةٍ مليئةٍ بالشجر، وعصى ربه، فغضب الله منه، وأخرجه من الجنة حيث قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه:١٢٣]، والشجر الكثير الذي أحله الله عز وجل، يغني عن شجرةٍ واحدةٍ حرمها عليه، فدل ذلك على أن الحلال كثيرٌ وواسعٌ، والحرام محصورٌ ومحدودٌ[١].

وإذا رجعنا إلى معصية كل من آدم عليه السلام وإبليس عليه غضب من الله عز وجل، وجدنا أن آدم عليه السلام تعلم درس التوبة، وعرف طريق الرجوع، فاستغفر وتاب، وأقلع عن الذنب وأناب، ولم يعد إليه ثانية حيث قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧]، وعلم أن الحلال يغني عن الحرام، ولكن إبليس أصر على المعصية، وأتبعها بكثيرٍ من المعاصي، ولم يستحي من الله تعالى، وطلب الإمهال ليمارس المعاصي، ويغوي أبناء آدم عليه السلام، بتزيين المعاصي لهم حيث قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٣٩].

وسار العدد الكبير من أولاد آدم عليه السلام في إثر الشيطان، وارتكبوا المعاصي والفواحش، ومشوا في طريق الضلال حيث قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء:١١٩]، واتخذوا الشيطان ولياً من دون الله، وضلوا طريق الحق، وأضلوا، فحق عليهم العذاب.

---

(١) انظر: حمزة ديب وآخرون، التربية الإسلامية، الصف الثاني عشر (ص:٢٣).

لام آدمَ بنوهُ لأنه أكل من الشجرة، وأُخْرِج من الجنة، ولكن هؤلاء الجاهلين من بني آدم عليه السلام تناسوا بأن أباهم خلق من أجل أن يكون خليفة الله في الأرض حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:٣٠]، والخلافة هي الإنابة بتبليغ رسالة التوحيد، وتوضيح المنهج الذي يسير عليه جميع الأنبياء والمرسلين، وهو عبادة الله عز وجل، وهو الغاية من خلق الإنسان حيث قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وإصلاح الأرض وإعمارها، فالله جل جلاله قد علم آدم عليه السلام أسماء الأشياء المادية التي بها تعمر الدنيا وتصلح إلى الأبد(١).

لاموا أباهم على الأكل من الشجرة، وأقروا بأنها معصيةٌ، وما لاموا أنفسهم على ارتكاب الفواحش!، وأيُّ فاحشةٍ من الفواحش التي ارتكبها أولاد آدم عليه السلام، لها ما يقابلها من الحلال أضعافاً مضاعفةً يغني عنها، ولكنهم لازموا الشيطان في طريقه في الدنيا، فلازمهم العذاب معه في الآخرة جزاء معاصيهم حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٣، ٤٤].

٣. **قوم لوط عليه السلام:** ارتكبوا الفواحش التي تترفع عنها البهائم، لما فيها من انتكاس للفطرة، حيث قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ العَالَمِينَ﴾[الشعراء:١٦٥]، فتركوا الأزواج الحلائل الطاهرة، وأعرضوا عنهم، واستبدلوا الحلال بالحرام، والطيب بالخبيث، وتشبثوا به بكل إصرار وعزيمة، وما أغناهم الحلال عن الحرام، وساءت أخلاقهم، وانحطت أقدارهم، وهانوا على الله عز وجل حيث قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِين * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٣، ٧٤] ، فما نفع معهم تغييرٌ، ولا أفادهم إصلاحٌ، فحق عليهم العذاب.

٤. **التضحية لنصرة الأخلاق:** ضحى لوط عليه السلام بأعز ما يملك حيث قال تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود:٧٨]، وقال تعالى: ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الحجر:٧١]، وطلب من قومه أن يتزوجوهم شرعاً، ولم يعرضهم عليهم سفاحاً، حتى يصبحوا لهم بحكم زواجٍ

---

(١) انظر: الحجازي، التفسير الواضح (٣١/١).

صحيحٍ، فرفضوا، وهذا أبلغ ما وصل إليه العنت منهم، وأبلغ ما وصل إليه الرفق منه، ولكن قضاء اللّه تعالى قد نفد فيهم جزاء بغيهم وشذوذهم بإرادتهم[1]؛ وهذا التصرف من لوط ﷺ، يدل على حرصه على إشاعة الطهارة، والأخلاق العالية الرفيعة، وإن كان الثمن أن يزوج بناته لهؤلاء السفهاء، ليحرم الحرام وينكره بكل ما أوتي من قوة، فالنبي لوط ﷺ حارب الفساد الأخلاقي، كما حارب إبراهيم ﷺ الفساد العقائدي الذي كان عليه قومه.

٥. **أصحاب الأيكة:** كفروا بالله ﷻ، وكذبوا الرسل حيث قال ﷻ: ﴿**وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ**﴾ [الحجر:٧٨-٧٩]، وبالرغم من إنعام الله عليهم بالشجر الملتف والحياة الرغيدة، إلا أنهم جحدوا وحدانية الله ﷻ، فمن سوء الخُلُقْ إنكار النعم، وجحودها، والأشد سوءاً! الكفر برب النعم!، "فكانوا ظالمين؛ لأنهم أشركوا، وإن الشرك لظلم عظيم، وكانوا ظالمين؛ لأنهم كانوا يطففون في الكيل والميزان، وكانوا ظالمين؛ لأنهم فتنوا المؤمنين عن إيمانهم، وكانوا ظالمين؛ لأنهم هددوا نبيهم بالرجم، حيث قال ﷻ: ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**﴾ [هود:٩١]، وهكذا توالى ظلمهم وتسلسل؛ والظلم يولد ظلما" [2]، ولو أنهم اكتفوا بما أحله الله ﷻ لهم من النعيم والخيرات، وتركوا الحرام والمنكرات، لأغناهم الحلال عن الحرام، لكن هؤلاء ما نفع معهم تغيير، ولا أفادهم إصلاح، فحق عليهم العذاب.

٦. **أصحاب الحجر:** وهم الذين سميت السورة باسمهم حيث قال ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[الحجر:٨٠-٨٤]، فأصحاب الحجر كغيرهم من أبناء آدم ﷺ، اتبعوا الغواية، وابتعدوا عن الهداية، فكفروا بالله، وكذبوا رسله، وأعرضوا عن آياته، وغرهم الأمل، وخدعتهم الأماني، وتكبروا على المعجزات وجحدوها، ولبسوا ثوب المعصية، فنحتوا البيوت من الجبال لتعصمهم من غضب الله ﷻ، وتحصنوا

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (١٥/٤١٤)، أبي زهرة، زهرة التفاسير (٨/٤١٠٠).

(٢) أبي زهرة، زهرة التفاسير (٨/٤١٠٢، ٤١٠٣).

فيها، وظنوا أنهم في مأمن من غضب الله ﷻ، ولكن هيهات هيهات حيث قال ﷻ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[الحجر:٨٣-٨٤]، فما نفع معهم تغييرٌ، ولا أفادهم إصلاحٌ، فحق عليهم العذاب.

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: بيان أن الحرام محصورٌ وقليلٌ، والحلال واسعٌ وكثيرٌ، والحلال يغني عن الحرام.

ثانياً: الحث على التضحية في سبيل نصرة الأخلاق وإفشاء الحلال، والقضاء على الحرام حيث قال ﷻ: ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ [الحجر: ٦٨-٦٩] ، وقال ﷻ: ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الحجر:٧١] .

ثالثاً: إنكار الحرام، ومحاربته بكافة الوسائل والطرق المتاحة، بالتهديد حيث قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٤٣]، وبوصفهم بما يستحقون حيث قال ﷻ: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴾ [الحجر: ٥٨]، وإنزال العذاب بهم حيث قال ﷻ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴾[الحجر: ٦٦].

رابعاً: التنفير من الفواحش، والتشهير بأصحابها، المصرين عليها، لأخذ العبرة والعظة والحذر منهم حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥ - ٧٧]، وقال ﷻ: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [الحجر: ٧٩].

خامساً: نجاة المؤمنين المتمسكين بدينهم، والقائمين على إشاعة الطهارة، والأخلاق العالية الرفيعة بين الناس حيث قال ﷻ: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٥٩].

سادساً: بيان أن الطمع وعدم الرضا والإعراض عن الحق يؤدي إلى ارتكاب الحرام، والقناعة كنز لا يفنى حيث قال ﷻ: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الحجر: ٨١]، وقال ﷻ: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر:٨٤].

المطلب الثالث: الجــدل

1. **مجادلة الحق للباطل:**

قال ﷻ: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر:٣٢].

2. **مجادلة الباطل للحق:**

قال ﷻ: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ...﴾[الحجر:٣٣].

3. **مجادلة الأقوام لأنبيائهم:**

قال ﷻ: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العَالَمِينَ﴾ [الحجر:٧٠].

4. **مجادلة الحق للحق:**

قال ﷻ: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ... مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[الحجر:٥٢-٥٦].

5. **مجادلة الحق للباطل:**

قال ﷻ: ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي ... وَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [الحجر:٦٨-٦٩].

وقال ﷻ: ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الحجر:٧١].

تعريف الجدل: الجدل لغة: هو اللدد والشدة في الخصومة والقدرة عليها، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام، وجادله أي خاصمه مجادلة وجدالاً(1).

الجدل والجدال اصطلاحاً: هو الخصومة في الحقيقة، بدفع المرء خصمه عن إفساد، بالمفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد منهما الآخر عن رأيه، ليثبت وجهة نظره، ولا يصح الجدل إلا بين اثنين، والجدل كله سؤال وجواب(2).

وترى الباحثة أن الجدل: هو التفاوض مع الخصم بالحجة الأقوى، والطريقة الأوضح، بهدف الإفحام والإلزام بوجهة نظر، وإبطال رأي الطرف الآخر، بجميع الوسائل المتاحة.

---

(1) انظر: لسان العرب (١٠٥/١١).

(2) انظر: ابن الفراء، العدة في أصول الفقه (١٨٤/١)، الجرجاني، التعريفات (ص: ٧٤)، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن (ص:٣٠٩).

أنواع الجدل:

أولاً: الجدل المحمود: "هو طلب الحق ونصره ، وإظهار الباطل وبيان فساده" [1].

ثانياً: الجدل المذموم: "هو كل جدل بالباطل، أو يستهدف الباطل، أو يفضي إليه، أو كان القصد منه التعالي على الخصم والغلبة عليه، فهذا ممنوع شرعاً، ويتأكد تحريمه إذا قلب الباطل حقاً، أو الحق باطلاً"[2].

عن عائشة ﵂، عن النبي ﷺ قال: (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)، وألد الخصام: شديد العداوة في الخصومة يكذب ويفتري ولا يستقيم مع الحق[3].

إن الله ﷻ خلق الإنسان على هذه البسيطة، وأمره بالعبادة، وجعلَ أمرُ العبادةِ بسيطاً على كل إنسان، قدر الوسع حيث قال ﷻ: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ [البقرة:٢٨٦]، ولكي يتسنى للإنسان عبادة الله ﷻ، أرسل الرسل الكرام، لكي يوضحوا للناس أمور دينهم، ولكن أبناء آدم ﵇ استحوذ عليهم الشيطان وفتنهم حيث قال ﷻ: ﴿**يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف:٢٧]، فجادلوا أنبياءهم وأكثروا جدالهم وخاصموهم في دينهم، وكذبوهم، وردوا عليهم ما جاؤوا به من الحق[4]، حيث قال ﷻ: ﴿**وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**﴾ [الرعد:١٣]، والله ﷻ شديد القوة والحيلة والمكر والانتقام، من الذين يجادلون في الباطل[5]، وقد ذكر الله ﷻ في القرآن أن الجدال من طبيعة الإنسان حيث قال ﷻ: ﴿**وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا**﴾ [الكهف:٥٤]، فأمر الرسول ﷺ أن يجادل المشركين، وأهل الكتاب بأحسن الطرق، التي تلين عريكتهم،

---

(1) الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه (١/٥٦١).

(2) الموسوعة الفقهية (١٥/١٢٧).

(3) صحيح البخاري(٣/١٣١)، كتاب المظالم والغصب باب قول الله تعالى:[وهو ألد الخصام] {البقرة: ٢٠٤}،ح (٢٤٥٧)، تعليق مصطفى البغا.

(4) انظر: السيوطي، الدر المنثور (٥/٤٠٦).

(5) انظر: الطبري، جامع البيان (١٦/٣٩٦)، السيوطي، الدر المنثور (٤/٦٢٧).

ومعارضتهم في أسلوبٍ مقنعٍ، واستدلالٍ ملزمٍ، وجدلٍ محكمٍ[1] حيث قال ﷻ: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، وبين له أن الذين يجادلون في آيات الله بغير حجةٍ ولا برهان، إنما يدفعهم إلى هذا كبر في نفوسهم عن الحق، وهم أصغر وأحقر من هذا الكبر.

ويوجّه القلوب حينئذٍ إلى هذا الوجود الكبير الذي خلقه الله جلت قدرته، وهذا الوجود أكبر من الناس جميعاً، لعلّ المتكبّرين يتواضعون أمام عظمة خلق الله، وتتفتّح بصيرتهم فلا يكونون عمياً[2]، لكي يتحقق الهدف من الجدال؛ وهو تغييرٌ وإصلاحٌ لما فسد من العقائد والمبادئ والقيم والأخلاق، وإثبات الوحدانية لله ﷻ، والذي نحن بصدده الآن، إنّما هو جدل القرآن للمشركين في إثبات الوحدانية لله ﷻ، وإقامة الحجة عليهم بالبراهين والأدلة، وإلزامهم بالحق في أسلوبٍ واضحٍ جليٍ.

أسلوب الجدل في إثبات الوحدانية لله ﷻ من خلال مسلكين:

المسلك الأول: الجدل الضمني: الذي تضمنته البراهين والأدلة الكونية، للاستدلال على وحدانية الله ﷻ، من خلال تذكيرهم بخلق السموات والأرض وخلق الإنسان، ومشاهد الرياح اللواقح، والحياة والموت، والحشر والنشر، وهي عديدةٌ لا تحصى، وملاحظة الدقة المتناهية في خلقها.

وقد اتضح مما سبق في بداية السورة أن الله ﷻ أمهل قريشاً ولم ينزل بهم العذاب كما طلبوا حيث قال ﷻ: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الحجر:٧]، وأعلمهم بأن الملائكة تتنزل على الكافرين بالعذاب، وأنها تتنزل بأجلٍ معلوم، كما فعل بالأمم الغابرة وقال ﷻ: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾[الحجر: ٤]، وأعطاهم الفرص العديدة للتوبة والرجوع، فذكرهم بالقدرة المطلقة لله ﷻ، في استعراضٍ لخلق هذا الكون، ثم ذكرهم بأصل أبيهم آدم عليه السلام، وذكرهم بأن عداوة إبليس لهم، ولأبيهم عداوة أبدية، فعليهم أن يحذروا مكره، ويتخذوه عدواً، ثم قص عليهم قصص الذين استعجلوا غضب الله ﷻ، وكيف حل بهم دار البوار، أمثال قصة قوم لوط عليه السلام، وقصة أصحاب الأيكة، وقصة أصحاب الحجر، وهذا

([1]) انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن (٣٠٩/١).

([2]) جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (٦/٨) بتصرف.

الأسلوب تضمن الجدال، تارة ضمناً كما أوضحنا سابقاً في عرض الأدلة الكونية، وتارة علانية، كما سنلاحظ ذلك لاحقاً، لعلهم يأخذون العبرة والعظة، ويغيرون هذه المعتقدات الفاسدة، ويصلحون من أنفسهم باتباع الحق، والإقرار بوحدانية الله ﷻ.

المسلك الثاني: الجدل الصريح: الذي تضمنته الآيات ومنها: جدال الله ﷻ للشيطان الرجيم، الذي تكبر وتجبر وعصى أمر ربه، ولعنته وطرده من مكانته التي كان عليها، ومن ثم مجادلة المشركين لرسول الله ﷺ، ومجادلة الناس لأنبيائهم، لأخذ العبرة والعظة، من خلال ما يرشد إليه هذا المنهج القويم من تغيير وإصلاح.

والحق أن المتأمل في القرآن العظيم، يجد أنَّ أكثر ما دار من الجدال بين الأنبياء وأممهم، إنّما هو في إثبات الوحدانية لله تعالى، وإلا فإنّ الإقرار بوجود الله تعالى والاعتراف به خالقاً رازقاً مدبراً، أمر فطري في النفوس البشرية، إلا إذا انتكست تماماً، ولهذا قالت الرسل لأقوامهم المكذبة لهم: ﴿ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [إبراهيم:١٠]، وقد قالوا لهم ذلك على وجه الاستفهام الإنكاري والتوبيخ، لأنَّ وجود الله ووحدانيته أمر لا يحتمل الشك، لظهور الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة على ذلك[١].

وهذه نماذج من سورة الحجر، سنعرض من خلالها بعض أنواع الجدل، فمنها الجدل الحق، ومنها الجدل الباطل.

١. **مجادلة الحق للباطل:** قال ﷻ: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر:٣٢].

وترى الباحثة: أن الموقف الجلل؛ ويتمثل جلياً في مجادلة الله ﷻ لإبليس حيث قال ﷻ: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر:٣٢]، أي ما غرضك من عدم السجود، فزعم إبليس اللعين أنه خير منه، وهنا هل لك أن تتخيل المشهد، الله ﷻ يجادل إبليس اللعين، ويعطيه الفرصة ليدافع عن نفسه ويبرر موقفه، ليوضح له الحق فيعود إليه، وإبليس يجادل بالباطل ولا يخشى الله ﷻ، ولا يستحي منه.

---

(١) انظر:حمود الرحيلي، منهج القرآن (٤١٨/١).

٢. **مجادلة الباطل للحق:**

أ. **مجادلة إبليس لله ﷻ:** حيث قال ﷻ: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ...﴾[الحجر:٣٣].

وترى الباحثة: أن ما وقع فيه إبليس ومن سار على دربه من أبناء آدم عليه السلام هو مجادلة الباطل للحق، حيث قال ﷻ: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر:٥]، فقد جادل إبليس اللعين بالباطل حيث قال ﷻ: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[الحجر:٣٣]، وهنا يفند إبليس لمن خلقه من الأفضل هو أم آدم عليه السلام، ويجادل بالباطل، ويقرر بأنه الأفضل، ويصر على ذلك، وهذا ما لا تتخيله العقول أمام الله ولا يستحي!، ويتجرأ بأن يجادل من خلقه بالباطل، ويصدر النتائج الباطلة ويدافع عنها، إذ هو من نار والنار تأكل الطين.

* **العقاب الإلهي لإبليس:** قال ﷻ: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر:٣٤].

وما زال الجدل مستمراً، فجاء الأمر الإلهي حيث قال ﷻ: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر:٣٤]، فأمر ﷻ إبليس أمراً لا يخالف ولا يمانع، بأن يخرج من المنزلة التي كان فيها في الملأ الأعلى، وإنه مرجوم، وملعون لعنة من الله والملائكة والخلائق؛ لعنة لا تزال متصلة به، لاحقة له، متواترة عليه إلى يوم القيامة حيث قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر:٣٥]، والذي دفع إبليس لرفض أمر الله ﷻ الكبر والحقد والحسد، وهذه الصفات الذميمة تعيق الحوار البناء وتحوله إلى جدل عقيم(١).

وطلب من الله ﷻ أن يمهله إلى يوم يبعث الناس من الْقُبُور حيث قال ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر:٣٦]، يجادل بالباطل ثم يطلب أن ينظر، وَأَرَادَ الملعون أن لا يَذُوق الْمَوْت فيكون من المؤجلين ليتحقق إغواءه، فيموت إبليس بعد النفخة الأولى، وبين النفخة والنفخة أربعون سنة مدة موت إبليس حيث قال ﷻ: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر:٣٧، ٣٨]، قال يا رب كما أضللتني عن الهدى لأجل آدم لأُزينن لهم في

---

(١) انظر: الطبري جامع البيان (١٠١/١٧، ١٠٢)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(٢٦/١٠)، الزمخشري، الكشاف (٥٧٧/٢).

الأَرض الشَّهَوَات وَاللَّذَّات، ولأضلنهم أَجمعينَ عن الهدى[1]، حيث قال ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٣٩]، إلا عبادك المؤمنين الذين أخلصوا لك الطاعة والتوحيد واصطفيتهم[2] حيث قال ﷻ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر:٤٠].

وقرأ بفتح اللام المخلَصين المدنيان والكوفيون، أي الذين أخلصتهم أنت لعبادتك وتقواك، وقرأ الجمهور: المخلِصين بكسر اللام، أي الذين أخلصوا الإيمان بك وبرسلك[3]، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي)[4].

* **قسم بقسم:** ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر:٤١]، يقسم الحق، وقسمه حق، والحقّ يرجع إليه، وعليه طريقه، يبينه للراغبين، والباحثين عنه، فهو الهادي ﷻ لمن يشاء إلى صراط مستقيم[5]، وقيل: "معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية"[6]، والصراط المستقيم يكون باتباع العلم النافع، والعمل الصالح، وأنفع العلوم، العلم المؤيد بالكتاب الإلهي والحديث النبوي، ويقوم هذا العلم على إصلاح الطبيعة بالشريعة، وتزكية النفس بالأخلاق الحميدة، وتخلية القلب من الشوائب وتحلية الفؤاد بمعرفة التوحيد[7].

وما زال الجدال قائماً حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر:٤٢]، إن عبادي المخلصين ليس لك عليهم سلطان تسلط وتصرف بالإغواء إلا من اتبعك من الغاوين، وفيه تفخيم لشأن المخلَصين وبيان لمنزلتهم وانقطاع مخالبِ الإغواء

---

(1) انظر:ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥٣٤/٤)، الفيروز آبادى، تنوير المقباس (٢١٨/١)، السيوطي، الدر المنثور (٧٩/٥)، السمرقندي، بحر العلوم (٢٥٦/٢).

(2) انظر: البغوي، معالم التنزيل، (٣٨١/٤).

(3) انظر: النشار، البدور الزاهرة (١٩٥/١)،ابن عطية، المحرر الوجيز (٣٦٢/٣).

(4) مسند أحمد بن حنبل (٣٤٤/١٧)، مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند أبي سعيد الخدري، ح، (١١٢٣٧)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢٩٠/٤)،[هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه]، [التعليق – من تلخيص الذهبي] ح(٧٦٧٢)، صحيح.

(5) انظر: الطبري، جامع البيان (١٠٤/١٧)، ابن أبي زمنين، القرآن العزيز (٣٨٥/٢).

(6) البغوي، معالم التنزيل (٣٨٢/٤).

(7) انظر: أبو الفداء، روح البيان (٤٧٠/٤).

عنهم، وإضافتهم بالعبودية إلى الله ﷻ هي إضافة تكريم وتشريف، وإغواؤه للغاوين ليس بطريق السلطان والقهر والجبر؛ بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم، فيتسلط على من اتبعه من المشركين، وأطاعه من الكافرين بالوسوسة والتزيين(1).

وترى الباحثة: أن الله ﷻ قابل قسم الشيطان بقسم منه، فالشيطان أقسم على غواية الناس وإضلالهم، بتبديل دينهم وتغيير عقيدتهم، وجادل ربه ﷻ بالباطل، والله ﷻ أقسم على هدايتهم، وإصلاحهم بالرسل والرسالات، وإبطال سلطان الشيطان الرجيم، وقسم الله ﷻ هو الغالب.

ب. **مجادلة المشركين لسيدنا محمد ﷺ:** حيث قال ﷻ: ﴿**وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[الحجر:٦، ٧].

وترى الباحثة: أن من مجادلة الباطل للحق مجادلة المشركين لسيدنا محمد ﷺ، فهؤلاء اتبعوا طريق الشيطان وحق عليهم قوله ﷻ: ﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الحجر:٤٣]، فعقولهم مغلقة، وقلوبهم صدأة، وألفاظهم بذيئة نابية، وأخلاقهم وضيعة، وجدالهم عقيم، لا يبغي حقا، فهل يفيدهم التغيير أو يجدي معهم الإصلاح نفعاً.

٣. **مجادلة الأقوام لأنبيائهم:** حيث قال ﷻ: ﴿**قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [الحجر:٧٠].

وترى الباحثة: أن من مجادلة الأقوام لأنبيائهم، مجادلة قوم لوط عليه السلام، حيث جادلوه بالباطل وأصروا على ارتكاب السوء جهاراً نهاراً دون خشيةً أو حياءً، طلبوا الفاحشة وكأنها حقا، ﴿**قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [الحجر:٧٠]، فهذا نموذج من أبناء آدم الذين استحوذ عليهم الشيطان، فما ندى لهم جبين، ولا غطى الحياء وجوههم، ولا ردهم عاقل، فقال لهم لوط عليه السلام حيث قال ﷻ: ﴿**أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ**﴾ [هود:٧٨].

٤. **مجادلة الحق للحق:** مجادلة إبراهيم عليه السلام للملائكة، حيث قال ﷻ: ﴿**إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ**

---

(1) انظر: أبي السعود، إرشاد العقل السليم (٥/٧٩)، أبو الفداء، روح البيان (٤/٤٦٩)، السمرقندي، بحر العلوم (٢/٢٥٦).

مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[الحجر:٥٢-٥٦]، وجدال إبراهيم عليه السلام لم يكن جدالاً في الباطل، وإنما كان للاستفهام فقال لهم متعجباً من هذه البشارة بالولد بعد أن يئس منه، فعلى أي وجه تبشرون وقد عدمت الأسباب؟!، فهل سيعطيني ربي وأنا وزوجي على هذه الحالة، قالوا: ولا شك في ذلك لأن الله عز وجل على كل شيء قدير، وأنتم بالخصوص -يا أهل هذا البيت- رحمة الله وبركاته عليكم فلا يستغرب فضل الله عز وجل وإحسانه إليكم[١]، ونفى إبراهيم عليه السلام عن نفسه القنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى، قال: وهل ييأس من رحمة ربه إلا الضالون عن طريقه؟، الذين لا يستشعرون برحمته ورأفته وبره ورعايته، أما القلب الندي بالإيمان، المتصل بالرحمن، فلا ييأس ولا يقنط مهما أحاطت به الشدائد، واشتدت الكربات، وادلهمت حوله الخطوب[٢]، ومهما استحكمت حلقاتها، يبقى على موعد مع اليسر والفرج.

٥. **مجادلة الحق للباطل:** حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [الحجر:٦٨-٦٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الحجر:٧١].

فقد جادل لوط عليه السلام قومه ويتضح أن جدال لوط عليه السلام مصحوبٌ بالتوسل والترجي، والاستضعاف والخوف، لأن أبناء آدم عليه السلام في زمنه سيطر عليهم الفساد الأخلاقي، كما سيطر عليهم الفساد العقائدي الذي حاربه إبراهيم عليه السلام حيث عبد قومه الأصنام والكواكب، و"كل من كان على وجه الأرض كانوا كفاراً، سوى إبراهيم الخليل عليه السلام وامرأته وابن أخيه لوط عليه السلام"[٣]، الذي حارب الفساد الأخلاقي، فقال لقومه: إن هؤلاء الذين جئتموهم تريدون منهم الفاحشة ضيفي، وحقّ على الرجل إكرام ضيفه، فلا تفضحوني أيها القوم في ضيفي، وأكرموني في ترككم التعرّض لهم بالمكروه، وخافوا الله فيّ وفي أنفسكم أن يحلّ بكم عقابه ولا تذلوني ولا تهينوني فيهم، بالتعرّض لهم بالفحشاء، وإن كنتم ولا بد فاعلين، فهؤلاء بناتي[٤].

---

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم (ص: ٤٣٢).
(٢) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (٢١٤٨/٤).
(٣) الإمام عماد الدين، قصص الأنبياء (ص١٦٠).
(٤) انظر: الطبري، جامع البيان (١١٧/١٧، ١١٨).

كما لا ننسى في هذا المقام الجدال الذي تضمنته الآيات من تكذيب أصحاب الحجر وأصحاب الأيكة للمرسلين، جدال بالباطل وإنكار للوحدانية، وتكذيب للرسل.

وتري الباحثة: أن أسلوب الجدل هو من الأساليب التي استخدمها القرآن لهداية الناس وإصلاحهم، بتغيير ما ألفوه من العقائد الفاسدة والأخلاق البذيئة، والأفكار الهدامة، وتطهير النفوس المريضة الملوثة بالمعاصي والفواحش، فأفسدوا في الأرض، بدلاً من إعمارها، وتركوا منهج القرآن الواضح واتبعوا سبيل الشيطان حيث قال ﷻ: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾ [النساء:٧٦]، فأهلكهم الله ﷻ بذنوبهم حيث قال ﷻ: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ**﴾ [الدُخان:٢٩].

أما الذين آمنوا بالله ﷻ واتبعوا المرسلين، ونصروا دين الله ﷻ فأولئك لهم جناتٌ عند ربهم حيث قال ﷻ: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾ [الحجر:٤٥].

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: استخدام القرآن الكريم لأسلوب الجدل بهدف الإصلاح والتغيير.

ثانياً: بيان أن الجدال بالحق يحقق أهدافه، والحق دائماً يعلو ويؤتي ثماره.

ثالثاً: بيان أن الجدال بالباطل عقيم، عواقبه وخيمة، لا تبشر بخير، بل بسوء العاقبة، وفيه إغلاق للعقول، فلا يفيده تغيير ولا يثمر معه إصلاح.

وفي النهاية تبين للباحثة: أن سورة الحجر عالجت فساد العقيدة، الذي لا يصلح معه تغيير ولا إصلاح، فتكون النتيجة الهلاك للمشركين، فالناس فيها نوعان: إما معتبر وناجٍ، وهؤلاء أهل الإيمان، وإما مفرط وهالك، وأولئك أهل الكفر والشقاء.

الفصل الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة النحل

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد: تعريف عام بسورة النحل.

المبحث الأول : منهجيات الإصلاح والتغيير العقائدي في سورة النحل.

المبحث الثاني : منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة النحل.

المبحث الثالث : منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة النحل.

الفصل الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة النحل

التمهيد: تعريف عام بسورة النحل، ويشتمل على:

تسمية السورة، ترتيبها، عدد آياتها، مكيتها أو مدنيتها، مناسباتها.

أولاً: تسمية السورة: سميت سورة النحل بهذا الاسم: لاشتمالها على قصة النحل.

وقال قتادة (1): وتسمى سورة النعم، لما عدد الله ﷻ فيها من النعم على عباده (2).

أما سبب تسميتها بالنحل: فهو نسبةٌ إلى النحلة التي ألهمها الله امتصاص الأزهار والثمار، وتكوين العسل الذي فيه شفاء للناس، وتلكَ قصةٌ عجيبةٌ مثيرةٌ للتفكر والتأمل في عجيب صنع الله ﷻ، والاستدلال بهذا الصنع على وجود الله ﷻ(3)، حيث قال ﷻ: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل: ٦٨-٦٩].

وترى الباحثة: أن الله ﷻ أوحى إلى النحلة مكان بيتها، من الجبال والعرائش، وبين لها كيفية الحصول على طعامها، فألهمها أن تسلك طرقاً مذللةً ومسخرةً من الله ﷻ، فكلمة (فاسلكي) تدل على أن الطريق صعبةً، وكلمة (ذللاً) تدل على أن الله ﷻ بأمره ذلل لها الصعاب، وجعل أمرها يسيراً سهل المنال، فسلكت النحلة طريقها المرسوم، وأنتجت عسلاً شهياً فيه شفاء للناس، فكان أمر النحل آيةً عظيمةً، تبين نتيجة طاعة الله ﷻ، وعلى أصحاب العقول الذين يتفكرون في مخلوقات الله ﷻ أن يأخذوا العبرة والعظة من النحل، فالذي يطيع

---

(1) السدوسي، أبو الخطاب، بن دعامة البصري الأكمه، كان تابعيا وعالما كبيرا، وكان من أنسب الناس، وكانت ولادته سنة(٦٠ه) وتوفي سنة (١١٧ه) بواسط، انظر: الإربلي، وفيات الأعيان (٨٥/٤)، الذهبي، ميزان الاعتدال (٣٨٥/٣)، ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب (٣٥١/٨).

(2) انظر: السيوطي، الإتقان (١٩٣/١)، أبو محمد مكي، الهداية الى بلوغ النهاية (٣٩٤٤/٦).

(3) انظر: السيوطي، الدر المنثور (١٠٧/٥)، الزحيلي، التفسير المنير (٧٩/١٤)، الحجازي، التفسير الواضح (٢٩٦/٢).

الله ﷻ، ويتبع الطريق الذي أمره الله ﷻ باتباعه؛ وهو الصراط المستقيم، سوف ينتج إيمانٌ بالله ﷻ وطاعةٌ وانقيادٌ لكل ما يرضيه، ويجد الله ﷻ في عونه يسهل له طريق الهداية، والذي يحيد عن طريق الصواب سوف ينتج كفراً وضلالاً، فلا تكن النحلة أكثر منك طاعة أيها الإنسان وهي غير مكلفة، والعقل مناط التكليف، وأنت صاحبه، فعليك أن تلتزم طاعة الله ﷻ لكي تجد سبيلك إلى الهداية.

ثانياً: أ. ترتيبها حسب المصحف: رتبت سورة النحل ترتيباً توقيفياً حسب ترتيب المصحف بعد سورة الحجر وقبل سورة الإسراء، ورقمها (١٦)، وقد جعلت بعد سورة الحجر، لأن الله ﷻ أمر سيدنا محمد ﷺ في آخرها أن يعبد ربه حتى يأتيه اليقين، حيث قال ﷻ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]، وافتتح سورة النحل بأن ما وعد به قد أتى وقته وحان أوانه، حيث قال ﷻ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ﴾ [النحل:١] [١].

ب. **ترتيبها حسب النزول:** نزلت بعد سورة الكهف، فقد أنزل الله ﷻ من القرآن بمكة: بنى إسرائيل ... وأصحاب الكهف، والنحل، ونوح، وإبراهيم[٢].

ثالثاً: عدد آياتها: سورة النّحل مائة وثمان وعشرون آية، ألف وثمان مائة وخمس وأربعون كلمة، سبعة آلاف وثمان مائة وأربعة وثلاثون حرفا[٣].

رابعاً: مكيتها أو مدنيتها: إن سورة النحل نزلت بمكة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة النحل بمكة، سوى ثلاث آيات من آخرها فإنهن نزلن بين مكة والمدينة، في منصرف رسول الله ﷺ من أحد، وهي قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

---

(١) انظر: جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (١٥/٥).

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف(٥٩٢/٢)، الرازي، مفاتيح الغيب(١٦٧/١٩)، ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (٤٢٢/١)، الأبياري، الموسوعة القرآنية (٦/٢).

(٣) انظر: السيوطي، الإتقان (٢٣٣/١)، محمد بن عمر، مراح لبيد(٥٨٦/١)، سيد قطب، في ظلال القرآن (٢١٥٧/٤)، الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (٢٦٧/٧).

﴿يَعْمَلُونَ﴾[النحل:٩٥– ٩٧]، وعن جابر بن زيد ﷺ [١] أن أربعين آية منها نزلت بمكة وبقيتها نزلت بالمدينة[٢].

خامساً: مناسبة السورة: ترتبط سورة النحل بما قبلها من السور من عدة وجوه:

١. أن الله ﷻ ختم سورة الحجر باسم الرب المفهم للإحسان لطفاً بالمخاطب ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ﴾ [الحجر:٩٩]، وافتتح سورة النحل باسم الله الأعظم الجامع لجميع معاني الأسماء، لأن ذلك أليق بمقام التهديد ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ﴾ [النحل:١]،وسيتكرر هذا الاسم في السورة تكراراً يثبت ذلك[٣].

٢. إن آخر سورة الحجر شديد الارتباط بأول سورة النحل، فإن قوله ﷻ في آخر سورة الحجر قال ﷻ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٩٢]، يدل على إثبات الحشر يوم القيامة، وسؤالهم عما فعلوه في الدنيا، وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]، يدل على ذكر الموت، وما بعده من البعث والحساب، وهو أمر الله ﷻ الذي أشار إليه بقوله ﷻ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:١]، وكل من هاتين الآيتين ظاهرة المناسبة، إلا أنه في الحجر أتى بقوله ﷻ: ﴿يَأْتِيَكَ﴾ بلفظ المضارع، وفي سورة النحل ﴿أَتَى﴾ بلفظ الماضي لأن المراد بالماضي هنا: جاء بمنزلة "الآتي الواقع"، وإن كان منتظراً، لقرب وقوعه وتحقق مجيئه لا محالة[٤].

---

(١) هو الأزدي، أبو الشعثاء، من أهل البصرة، تابعي ثقة فقيه، روى عن ابن عباس وغيره، وكان عالما بالفتيا، وكان للعلم عينا معينا، وفي العبادة ركنا مكينا، ت(٩٣وقيل١٠٣هـ)، انظر: الأصبهاني، حلية الأولياء (٨٥/٣)، ابن حجر، تهذيب التهذيب (٣٨/٢)، الموسوعة الفقهية الكويتية (٤٠٨/٢).

(٢) انظر:السيوطي،الإتقان(٣٩/١)، السيوطي، الدر المنثور(١٠٧/٥)، القرطبي،الجامع (٦٥/١٠)، الشوكاني، فتح القدير (١٧٦/٣)، الحجازي، التفسير الواضح (٢٩٦/٢)، الألوسي، روح المعاني (٣٣٢/٧).

(٣) انظر: البقاعي، نظم الدرر (١٠١/١١، ١٠٢).

(٤) انظر: السيوطي، تناسق الدرر(ص:٩٧)، أبو العباس، البحر المديد (١٠٧/٣)، تفسير المراغي (٥١/١٤).

٣. وكذلك ترتبط سورة النحل بسورة إبراهيم ارتباطاً وثيقاً، لأنه ﷻ ذكر هناك فتنة الميت، وما يحصل عندها من الثبات أو الهلاك حيث قال ﷻ: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[إبراهيم: ١٧]، وذكر هنا ﷻ: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النحل:٢٨]، وقال أيضاً ﷻ: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل:٣٢]، وما يحصل عقب ذلك من العذاب، أو النعيم.

٤. وفسر ﷻ في سورة إبراهيم عليه السلام نزول العذاب الموعود للكفرة، وذكر أيضاً النعيم، وقال بعده ﷻ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم:٣٤]، وكررت الآية نفسها هنا حيث قال ﷻ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل:١٨]، وذكر هنا أنواع النّعم المختلفة [1].

سادساً: ارتباط سورة النحل بسورة الإسراء:

١. لما كان المقصود في سورة النحل التنزه عن الاستعجال وغيره من صفات النقص ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:١]، والاتصاف بالكمال المطلق، لأن الله ﷻ قادر على الأمور الهائلة والخارقة للعادة؛ ومنها جعل الساعة كلمح البصر أو أقرب حيث قال ﷻ: ﴿وَللهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل:٧٧]، ثم تفضيل إبراهيم عليه السلام حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠]، والأمر باتباعه، حيث قال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣]، ختمها بالإشارة إلى نصر أوليائه على أعدائه بالرغم من ضعفهم في ذلك الزمان وقلتهم، وكثرة الأعداء وقوتهم، وأمرهم بالتأني والإحسان حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، وافتتح سورة الإسراء بتنزيه نفسه الشريفة، وإثبات الدليل على أنه جلّ جلاله قادر على أن يفعل الأمور العظيمة الكثيرة الشاقة والخارقة للعادة في أسرع وقت حيث قال ﷻ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا

---

(1) انظر: الألوسي، روح المعاني (٣٣٤/٧)، الزحيلي، التفسير المنير (٨٠/١٤)، تفسير المراغي (٥١/١٤)، أبو العباس، البحر المديد (١٧٩/٣).

مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]، وأنه ﷻ قادر على نصر أوليائه، لتحقيق ما أشار إليه الختام في سورة النحل من الأمر بالصبر، والنهي عن الحزن وضيق الصدر من مكرهم حيث قال ﷻ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل:١٢٧]، وبيان أنه ﷻ مع المتقين المحسنين حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، ذكر في سورة الإسراء شرف سيدنا محمد ﷺ، وعلو منزلته عند ربه، للتنويه بأمره، والإعلام بأنه رأس المحسنين، بما آتاه من الخصائص التي منها المقام المحمود، وبما أنعم عليه من الإسراء والمعراج(١).

٢. وكما ذكر ﷻ في سورة النحل اختلاف اليهود في السبت، ذكر في سورة الإسراء شريعة أهل السبت التي شرعها لهم في التوراة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بنى إسرائيل)(٢).

٣. وذكر في سورة النحل نعماً كثيرة حتى سميت لأجلها سورة النعم، وذكر في الإسراء أيضاً نعماً خاصةً وعامةً، منها الإسراء حيث قال ﷻ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]، وهي خاصةٌ برسول الله ﷺ.

٤. وقد ذكر هنا أن النحل يخرج من بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانهُ فيه شفاءٌ للناس حيث قال ﷻ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩]، ذكر في الإسراء أن القرآن فيه ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين حيث قال ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢].

---

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر (٢٨٧/١١، ٢٨٨).

(٢) السيوطي، أسرار ترتيب القرآن (ص: ١٠٣).

٥. وأمر في النحل بإيتاء ذي القربى، حيث قال ﷻ: ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل:٩٠]، وكذلك في الإسراء مع زيادة إيتاء المسكين وابن السبيل، حيث قال ﷻ: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[الإسراء:٢٦](١).

العلاقة بين بداية سورة النحل وخاتمتها: ترى الباحثة أن سورة النحل ابتدأت بالدعوة إلى وحدانية الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل:١، ٢]، وختمت بتوضيح كيفية الدعوة إلى الله ﷻ والتنوع في أساليبها بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتي هي أحسن، مع التحلي بالصبر والعفو عند المقدرة وطمأنة الدعاة المتقين المحسنين بأنهم في معية الله وحفظه حيث قال ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٥ – ١٢٨].

أهم موضوعات السورة:

وترى الباحثة: أن سورة النحل عالجت الفكر والمعتقد المكي، فقد ساد في هذا المجتمع عقيدة فاسدة، ألا وهي عقيدة الشرك بالله العظيم، حيث عبدوا الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، وساووا بينها وبين الخالق حيث قال ﷻ: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧]، ووصل التكبر والتجبر بهذا الإنسان إلى أن خاصم ربه حيث قال ﷻ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل:٤]، وأصبح خصماً ونداً للذي خلقه، وهو أحقر من أن يخاصم ويجادل، فعالج الله ﷻ هذه النفسيات القبيحة التي أنكرت وجود الله ﷻ تارة، وأنكرت الوحدانية تارة أخرى، كما أنكروا النبوة والبعث، على مدى العصور والأزمنة، وعرض لهم الأدلة المبرهنة على وجود الله ﷻ ، والنعم التي تملأ الكون من حولهم، والتي تنطق بجلال

---

(١) انظر: تفسير المراغي (١٥/٣، ٤).

الله وعظمته، من خلال بديع خلقها، وهي لا تأبى أن تسجد لله ﷻ ذلاً وخضوعاً حيث قال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾[النحل: ٤٨]، فتضمنت سورة النحل قضية الألوهية، لإثبات الوحدانية لله ﷻ، لتغيير العقيدة الفاسدة التي اتصف بها هذا المجتمع الجاهلي الذي وضع أصناماً في حجر الكعبة وقدموا لها القرابين، وعبدوها من دون الله حيث قال ﷻ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل:٥٦]، كما تضمنت قضية البعث والحشر والنشور، فبدأت بإثبات الحشر والبعث واقتراب الساعة ودنوها، وقد عبر عنها ﷻ بصيغة الماضي الدال على التحقق والوقوع قطعا، فقال ﷻ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:١]، فذلك يدل على أن إخبار الله ﷻ في الماضي والمستقبل سواء، لأنه آت لا محالة، وهذا كفيل أن يكون رادعا لذوي العقيدة الفاسدة، إلا إنْ صاحبَ الكفر الإصرار عليه.

فهؤلاء أنكروا البعث كما أنكروا الوحدانية، لذلك جعل الله ﷻ الإيمان به مقترناً بالإيمان باليوم الآخر في أكثر من موضعٍ من السورة حيث قال ﷻ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٣٨]، وقال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل:٨٤]، ثم أثبتت الوحي الذي أنكره المشركون كما أنكروا البعث، وكانوا يستعجلون العذاب الذي هددهم به الرسول ﷺ.

ثم تحدثت السورة عن النعم الدالة على وحدانية الله ﷻ في هذا الكون من خلق السموات والأرض، وما فيهما من كواكبٍ ونجومٍ، وجبالٍ وبحارٍ، وسهولٍ ووديانٍ، ومياهٍ وأنهارٍ، ونباتاتٍ وحيواناتٍ، وأسماكٍ ولآلئَ بحريةٍ وبواخرَ تجري في البحر، ورياحٍ لواقحٍ، ودعت إلى التأمل في منافع المطر والأنعام وثمرات النخيل والأعناب، ومهمة النحل، وخلق الإنسان ثم إماتته، والمفاضلة بين الناس في الرزق، وطيران الطيور، وتهيئة المساكن، وغير ذلك مما يدل على وجود الخالق لهذا الكون البديع بكل ما فيه [1].

([1]) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (١٤/٨٠).

وهذه السورة كسائر السور المكية عالجت موضوعات العقيدة الكبرى، ولكنها أيضاً ألمت بموضوعاتٍ جانبيةٍ أخرى تتعلق بتلك الموضوعات الرئيسية، فكما ألمت بحقيقة الوحدانية التي تصل بين دين إبراهيم عليه السلام ودين محمد ﷺ، فجميع الأنبياء جاءوا بعقيدة التوحيد، من مشكاة واحدة، وقد أرسل الله تعالى سيدنا محمد ﷺ رسولٌ لهم من أوسط العرب لكي يصلح لهم ما دمروه من فكرٍ ومعتقدٍ فاسدٍ بعبادتهم غير الله عز وجل حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[النحل:١١٣]، ولكن هؤلاء الذين شاركوا إبليس اللعين في صفاته البذيئة من التكبر والعناد فكذبوا الصادق الأمين، وهو الذي أرسل إليهم هديةً من الله تعالى بالهداية والرحمة، ليبين لهم ما اختلفوا فيه، من خلال منهج الإصلاح والتغيير الذي اشتمل عليه القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، كما أنه من كمال رحمة الله تعالى بهم أن جعل سيدنا محمداً ﷺ رجلاً من البشر كسائر الأنبياء حيث قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٤٣]، وفرقت بين الإرادة الإلهية والإرادة البشرية، فيما يختص بالإيمان والكفر والهدى والضلال، وبينت وظيفة الرسل، وسنة الله عز وجل في المكذبين لهم، وألمت بموضوع التحليل والتحريم وأوهام الوثنية، وبينت منهج العبادة، كما تناولت موضوع الهجرة في سبيل الله، وفتنة المسلمين في دينهم، والكفر بعد الإيمان، وجزاء هذا كله عند الله تعالى، ثم أضافت إلى موضوعات العقيدة موضوعات المعاملة بأنواعها، وتصحيحها، والتزام الأخلاق الكريمة مثل: العدل والإحسان والإنفاق والوفاء بالعهد، وغيرها من موضوعات السلوك القائم على العقيدة، وهكذا هي مليئةٌ حافلةٌ من ناحية الموضوعات التي تعالجها.

فهي في منهجها تخاطب كل حاسةٍ وكل جارحةٍ في الكيان البشري، وتتجه إلى العقل الواعي كما تتجه إلى الوجدان الحساس، فتخاطب الجوارح لتعمل، وتخاطب الوجدان ليتأثر، والعقل ليتدبر(١)، كما عرض تعالى الكفار في مشهد الضلال والغي، وانحراف الطريق المستقيم، وسلوك الطريق الأعوج، وضرب الله تعالى مثلا بالنحل، فسبحان ربي العظيم الذي

(١) انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن (٢١٥٨/٤)، انظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (١٢٤١/٢).

أوحى إلى النحل هذه الحشرة الضعيفة، التي لا تعقل الغير مكلفة، التي انقادت لأمر ربها، ونهجت سبيلها، فأنتجت عسلاً شهياً فيه شفاء للناس، أما الكافر الذي ضل السبيل، كان نتاجه الكفر والضلال، فحالف الشيطان، فكان جزاؤه النار، أفلم يأن للإنسان أن يعتبر بهذه النحلة، فيهتدي إلى دين الله!، فينتج تقوىً وصلاحاً بالالتزام بمنهجيات الإصلاح والتغيير التي تضمنتها سورة النحل.

المبحث الأول : منهجيات الإصلاح والتغيير العقائدي في سورة النحل

إن من أهم منهجيات الإصلاح والتغيير العقائدي وأبرزها في سورة النحل، تمثلت في إثبات الوحدانية لله ﷻ، من خلال عرض البراهين الدالة على وحدانية الله ﷻ، وإثبات البعث الذي أنكره كفار مكة، وإثبات الوحي الإلهي، فهو همزة الوصل بين الله والعباد لتصحيح عقيدة الإنسان الفاسدة بعقيدة التوحيد الصالحة، وإثبات النّبوة، والنّبوة اصطفاء من عند الله ﷻ لمن أراد من البشر، وإثبات صحة الرّسالة وهي وسيلة التّلقي من الوحي الإلهي وإبلاغه للناس، ومجادلتهم، وإقناعهم بأصول العقيدة، وتوضيح منهج القرآن لإصلاح حياة الفرد والأمة[1]، وبيان أسباب الهداية والضلال، والتركيز على النعم التي جُعلت اسماً آخر للسورة من كثرتها، لتلفت نظر الإنسان إلى خالقه وخالقها، فتصحح مساره، وتوجهه إلى العقيدة الصالحة، وضرب المثل للمقارنة والمحاكمة العقلية في إثبات أن الله ﷻ وحده المستحق للعبادة.

المطلب الأول: البراهين الدالة على وحدانية الله ﷻ

أولاً: أدلة الوحدانية:

قال ﷻ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ... أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ١ -٢].

ثانياً: إثبات الوحدانية لله ﷻ من خلال القدرة على الخلق والتفرد به

قال ﷻ: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... إِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل:٣-٤].

---

(1) انظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (١٢٤١/٢).

ثالثاً: توحيد الألوهية:

قال ﷻ: ﴿وَقَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ... مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥١ – ٥٤].

رابعاً: إثبات القدرة المطلقة لله ﷻ:

قال ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ... وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٥ – ٥٠].

وقال ﷻ: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ...﴾ [النحل: ٧٠].

إن الله ﷻ خلق هذا الكون بما فيه لعبادته، وعبادة الله ﷻ قائمة على توحيده، فصَاحَبَ هذا التكليف بما يؤكده من أدلة بجميع أنواعها.

معنى الوحدانية: قال الجمهور: أن الله ﷻ واحد في ذاته، قديم في صفاته، متفرد بالقدم عن شريك مماثل له، مختص بالقدرة عن فاعل معادل، واحد في ملكه؛ لا ند له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولا مثيل له، منفرد بالعبادة خاصة بذاته لا شريك له(١)، وقد شهد الله ﷻ لنفسه بهذا التوحيد، وشهد له به ملائكته، وأنبياءه ورسله، وأولو العلم، قال ﷻ: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨]، فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد، والرد على جميع هذه الطوائف، والشهادة ببطلان أقوالهم ومذاهبهم، بما تضمنته هذه الآية من المعارف الإلهية، والحقائق الإيمانية، فتضمنت أجل شهادة، وأعظمها، وأعدلها، وأصدقها، من أجل شاهد، بأجل مشهود به.

وشهد: تدور على الحكم والقضاء، والإعلام والبيان والإخبار، فهذا هو توحيد الله ﷻ، إن كل آية في القرآن متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه فالقرآن الكريم:

١. إما خبرٌ عن الله ﷻ، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو العقيدة، وهو التوحيد العلمي الخبري.
٢. وإما دعوةٌ لعبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.
٣. وإما أمرٌ ونهيٌ، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهو التشريع، وحقوق التوحيد ومكملاته.

---

(١) انظر: الماوردي، أعلام النبوة (ص:٢٦)، البراك، شرح العقيدة الطحاوية (٢١/١)، أبو عبد الله الأفغاني، جهود علماء الحنفية (٩٢/١).

٤. وإما خبر عن كرامة الله ﷻ لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده.

٥. وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن الكريم يدعو إلى التوحيد، ويحذر من الكفر[1].

أهمية التوحيد: تكمن فيما يلي:

١. إثبات الوحدانية لله ﷻ وتنزيهه عن الشريك، لأنه الأساس الأول الذي أرسل من أجله الرسل، وبعث من أجله الكتب؛ لتغيير العقيدة الفاسدة، عقيدة الشرك والضلال، وإصلاحها بعقيدة التوحيد، حيث قال ﷻ: ﴿وَقُلِ الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١]، فأصحاب العقيدة الصحيحة يحمدون الله ﷻ بما هو أهله، لأن الله ﷻ أكبر والأكبر لا يكون له ولد، يجعله محتاجاً إلى غيره، ولا يحتاج إلى شريك يعينه ويشد أزره، ويذل إليه عند الحاجة، فهو المستحق للتكبير وهو المتفرد بالعبادة، والإنسان بفطرته عندما يشعر بالعجز، والضعف والمرض والذل والهوان والضيق، يجأر بالدعاء إلى الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٤]، فإذا نجاهم من العذاب أعرضوا عن الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى البَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧]، فهذا هو حال أصحاب العقيدة الفاسدة تلويث الفطرة السليمة بالكفر بعد زوال الخطر حيث قال ﷻ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان:٣٢]، وهذا هو حال الكفرة، الفزع إلى الله ﷻ بالدعاء مخلصين له الطاعة، لا يشركون به شيئاً، ولا يدعون معه أحداً سواه، ولا يستغيثون بغيره إذا خافوا الغرق وشعروا بالهلاك، وإذا نجاهم رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر[2].

([1]) انظر: ابن قيم، مدارج السالكين (٤١٧/٣ ، ٤١٨)، البراك، شرح العقيدة الطحاوية (٢١/١).

([2]) انظر: الطبري، جامع البيان(١٥٦/٢٠)، الثعلبي، الكشف والبيان (٣٢٢/٧).

٢. التوحيد هو أساس قبول العمل حيث قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ [النور:٣٩]، إن الله ﷻ طيب لا يقبل إلا الطيب، فهو لا يقبل أعمال الكافرين الحسنة، لأنها لم تكن خالصة لوجه الله ﷻ.

٣. التوحيد مكفر للذنوب والكبائر حيث قال ﷻ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال:٣٨]، أي: يغفر الله ﷻ لهم ما قد خلا ومضى من ذنوبهم قبل إيمانهم، مِنْ كفر وقتل وزنا، وغيره من الذنوب، وإن يعد هؤلاء المشركون لقتالك، بعد هزيمتهم يوم بدر، فقد مضت سنة الله ﷻ في الأولين بالانتقام منهم، كما فعل بهم ببدر، وبغيرهم من القرون الخالية [١]، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (قَالَ لِي جِبْرِيلُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، أَوْ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ) ، قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: (وَإِنْ)[٢].

والله ﷻ يغفر جميع الذنوب، ولا يغفر أن يشرك به؛ لأن الشرك ذنب عظيم، حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨]، والشرك أيضاً ضلال بعيد حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

إن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الحق والصواب والاستقامة؛ ومعنى ذلك أنه من يجعل لله ﷻ في عبادته شريكًا، فقد حاد عن طريق الحق، وزال عن قصد السبيل[٣]، ولا مغفرة لمن مات وهو كافر حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾ [محمد:٣٤]، والذين كفروا بالله ﷻ لا تنفعهم شفاعة الشافعين حيث قال

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (٥٣٦/١٣)، الواحدي، الوجيز (ص: ٤٤٠).

(٢) صحيح البخاري (١١٣/٤)، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة،ح (٣٢٢٢)، صحيح مسلم(٩٤/١)، كتاب الإيمان، باب من مات من أمتك لم يشرك بالله شيئا،ح (١٥٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري، جامع البيان (٢٠٦/٩)، القاسمي، محاسن التأويل (٣٤٠/٣).

ﷻ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[المنافقون:٦]، ويدل على ذلك ما جاء عن عُبَادَة بْن الصَّامِت ﷺ[١]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحده لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ، وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ)[٢].

٤. التوحيد يُنعم بالعيش في أمن وأمان حيث قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، والمراد بالظلم: الشرك، ولا يجوز أن يكون غيره معبوداً أصلاً لما ثبت في الصحيحين وغيرهما [٣] من حديث ابن مسعود ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: (ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان[٤]: حيث قال ﷻ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]).

٥. التوحيد سبب لدخول الجنة حيث قال ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥].

أولاً: أدلة الوحدانية قال ﷻ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ١ -٢].

---

(١) بن قيس الخزرجي، الأنصاري أبو الوليد شهد بدرا وكان أحد النقباء بالعقبة، شهد فتح مصر، وهو أول من ولي قضاء فلسطين، وكان ممن جمع القرآن في عهد النبيﷺ وكان قويا في دين الله، مات ﷺ بالشام من أرض فلسطين سنة أربع وثلاثين، انظر: بن حجر العسقلاني، الإصابة (٥٠٦/٣)، الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٣٠/٤).

(٢) صحيح البخاري (١٦٥/٤)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم،ح(٣٤٣٥)، صحيح مسلم(١/ ٥٧)، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان، ح(٢٨).

(٣) انظر: الشوكاني، فتح القدير (٢/ ١٥٤)، الرازي، مفاتيح الغيب (١٢٠/٢٥) .

(٤) صحيح البخاري(١٥/١)، كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، ح(٣٢)، صحيح مسلم(١١٤/١)، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، ح(١٢٤).

وتشتمل هاتان الآيتان أدلة تثبت الوحدانية لله ﷻ منها:

١. القدرة على البعث والنشور، حيث قال ﷻ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١].

٢. تأكيد الوحدانية لله ﷻ وتنزيهه عن الشريك، حيث قال ﷻ: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:١]، وقال ﷻ: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [النحل:٢]، والأمر بالتقوى وخصوصيتها لله ﷻ ﴿فَاتَّقُونِ﴾.

٣. تنزيل المنهج الذي لا اعوجاج فيه ولا تناقض، حيث قال ﷻ: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل:٢].

٤. اصطفاء الرسل لتبليغ الأمانة حيث قال ﷻ: ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل:٢].

١. القدرة على البعث والنشور:

حيث قال ﷻ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:١].

استهل ﷻ سورة النحل بالتهديد، وإثبات الوحدانية لله ﷻ من خلال القدرة على البعث، ونفي الشريك عنه، فقال ﷻ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١]، أي: قرب منكم أيها الناس وقت إتيان القيامة، فلا تستعجلوا وقوعه، وعبر عنه بصيغة الماضي؛ تنزيلا لتحقق الوقوع، واقتراب القيامة[١]، كقوله ﷻ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:١]، وذلك وعيد من الله ﷻ لأهل الشرك، وإخبار الله ﷻ في الماضي والمستقبل سواء، فإنه آت، وما هو آت، فإنه قريب.

ففي أكثر من موضع أثبت ﷻ البعث والحساب، وسجل على المشركين إنكارهم للبعث، حيث أقسموا بالله الأيمان المغلظة أنه لا يوجد بعث ولا نشور، حيث قال ﷻ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٣٨ – ٤٠]، ووعد ﷻ به، فهو يوم الحق والعدل، يبين فيه ﷻ حقيقة ما اختلفوا فيه،

([١]) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان (٢/٣٢٦).

ويفضح كذبهم وكفرهم ويبين قدرته المطلقة، وتنفذ أوامر الله ﷻ بأمر منه ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، فإثبات البعث والحساب رد على المشركين الذين قالوا للنبي ﷺ: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ﴾ [العنكبوت:٢٩]، ولقولهم: ﴿عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ [ص:١٦]، حتى سجل القرآن الكريم قول النضر بن الحارث: حيث قال ﷻ: ﴿اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢]، واستدلوا على ذلك بقول عمر ﷺ: (وافقت ربي في ثلاث، في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر)[1]، فهؤلاء استعجلوا العذاب فقتلوا وأسروا في بدر، ولهم في الآخرة عذاب عظيم حيث قال ﷻ: ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [النحل: ٨٥،٨٤]، فلا أعذار تقبل منهم، ولا عتاب يسمح لهم، ولا فرصة تمنح لهم للتوبة والرجوع، ويعجل لهم العذاب فلا ينظرون[2]، حيث قال ﷻ: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات:٣٥، ٣٦].

٢. تأكيد الوحدانية لله ﷻ وتنزيهه عن الشريك:

قال ﷻ: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:١]، وقال ﷻ: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل:٢].

أكد الله ﷻ أنه واحد لا شريك له، وتنزه رب العزة الواحد الذي لا إله إلا هو عن الولد والصاحبة والكفء وغير ذلك مما نسبه إليه المشركون مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله، وأثبت بأنه قادر على قيام الساعة، وأنه قادر على بعث من يموت، وتنزه عن العجز الذي وصفوه به، والذي لا يوصف به إلا المخلوق[3]، وأمر بإنذار الكفار، وإخبارهم أنه واحد لا شريك له، فأمر بتوحيده وطاعته، وأمر بالتقوى وجعلها خاصة بجلال قدره وعظيم سلطانه،

---

(1) صحيح مسلم، (١٨٦٥/٤)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر ﷺ، ح (٢٣٩٩).

(2) انظر: الطبري، جامع البيان (٢٧٤/١٧).

(3) انظر: الطبري، جامع البيان (١٦٢/١٧)، القرطبي، الجامع (٦٥/١٠، ٦٦)، السعدي، تيسير الكريم (ص:٤٣٥).

وأمر بالابتعاد عن المعاصي والذنوب، تقرباً لله ﷻ، وابتغاء مرضاته، فهو ﷻ الذي بعث المرسلين للناس لتغيير ما فسد من عقيدتهم وأخلاقهم.

٣. تنزيل المنهج الذي لا اعوجاج فيه ولا تناقض:

قال ﷻ: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل:٢].

وقال ﷻ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:١٠٢].

إن الله ﷻ واحد لا شريك له في جميع الشرائع، فلا تناقض بينهما، فهم من مشكاة واحدة، أمر الله ﷻ عباده فيها بالإقرار بوحدانيته، وفق منهج أنزله بواسطة الوحي جبريل عليه السلام على من اصطفى من عباده، ختاماً بمنهج القرآن الكريم الذي أنزله ﷻ على سيدنا محمد ﷺ ليعالج عقيدة الشرك الفاسدة التي كانت عليها قريش، ومن ثم للعالمين كافة، حيث قال ﷻ: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [النحل:٢]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [النحل:١٠٢].

والروح فيها عدة تأويلات:

أحدها: أن الروح هي الوحي، وقيل النبوة.

والثاني: أنه كلام الله ﷻ وهو القرآن.

والثالث: أنه بيان الحق الذي يجب اتباعه.

والرابع: أن الروح الرحمة.

ويحتمل تأويلاً آخر: أن يكون الروح الهداية، لأنها تحيي القلوب كما تحيي الروح الأبدان[1]. وجميع التأويلات تكمل بعضها بعضاً، فالوحي نزل بأمر من الله ﷻ على عباده الذين اصطفى، بالرسالات السماوية، والقرآن رحمة من الله ﷻ أنزله على عباده، لهدايتهم إلى طريق الحق، وسمي ذلك روحاً لما يحصل به من الحياة النافعة، وكأن القرآن هو الروح

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان (١٦٦/١٧)، الماوردي، النكت والعيون (١٧٨/٣).

الذي يعطي للحياة قيمةً، فالحياة بدونه لا تنفع صاحبها أبداً، وحياة الحيوان البهيم خير منها وأسلم عاقبة[1].

والإقرار بالوحدانية يحيي القلوب كما تحيي الروح البدن، فهي كلمة التقوى كما قال عمر ﷺ، وهي كلمة الإخلاص وشهادة الحق، ودعوة الله إلى الخلق، وبراءة من الشرك، ونجاة من النار[2].

قال ابن عيينة[3]:"ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله، وإن لا إله إلا الله لأهل الدنيا، فمن قالها عصم ماله ودمه، ومن أباها فماله ودمه هدر، وهي أول ما يطلب من الكفار عندما يدعون إلى الإسلام"[4].

وعن أبي مالك[5]، عن أبيه[6]، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله)[7]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما

---

(1) انظر: شمس الدين، لوامع الأنوار البهية (٢/٣٠).

(2) انظر: زين الدين عبد الرحمن، كلمة الإخلاص وتحقيق معناها (١/ ٥٢).

(3) سفيان، أبو محمد بن ميمون الهلالي الكوفي، محدّث الحرم المكيّ، من الموالي، ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها، كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر، له (الجامع) في الحديث، وكتاب في (التفسير)، انظر: الزركلي، الأعلام (١٠٥/٣)، جمال الدين أبو الفرج، صفة الصفوة (٤٢٥/١)، الذهبي، ميزان الاعتدال (١٧٠/٢).

(4) انظر: زين الدين، كلمة الإخلاص (ص: ٥٣)، صالح بن فوزان، معنى لا إله إلا الله ومقتضاها (١٢/١).

(5) خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك هانئ الهمداني الدمشقي أبو هاشم، روى عن أبيه وخلف بن حوشب، كان ثقة و من فقهاء الشام وكان صدوقا، انظر: يوسف بن عبد الرحمن، تهذيب الكمال (١٩٦/٨)،(٤٧٢/٣٤)، انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال (٦٤٥/١)، ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب (١٢٦/٣، ١٢٧).

(6) يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك، واسمه هانئ، الهمداني الدمشقي الفقيه، قاضي دمشق، والد خالد بن يزيد بن أبي مالك، أخذ عن واثلة بن الأسقع، وجماعة، انظر: يوسف بن عبد الرحمن، تهذيب الكمال (١٨٩/٣٢)، أبو الفلاح، شذرات الذهب (١٣٠/٢).

(7) صحيح مسلم (٥٣/١)، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله،ح(٢٣).

أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا ﷺ إلى اليمن قال له: (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)[1].

ولأن دعوة التوحيد هي دعوة صدق جعلها ﷻ دعوة واحدة، فدعوة التوحيد هي دعوة الرسل كلهم، وهو الأصل الذي لا اختلاف فيه، ودين الإسلام هو دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:١٩]، ومن أنكر ذلك فهو كافرٌ بالله [2].

٤. اصطفاء الرسل لتبليغ الأمانة:

قال ﷻ: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل:٢].

الرسل هم حجة الله ﷻ وشهوده، اصطفاهم من بين خلقه حيث قال ﷻ: ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل:٢]، وأنبأهم الله ﷻ بوحيه، وأرسلهم لتبليغ خلقه، حيث قال ﷻ: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل:٢]، ليعرفوا به وبشرعه، ويلفتوا الأنظار إلى آياته، ويذكروا بنعمه، ويبشروا بالسعادة والنجاة إذا اتبعوهم، ويخوفوهم من الشقاوة والهلاك إذا خالفوهم، فقامت بهم حجة الله ﷻ على خلقه، عندما بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، فكانوا هم العدول الأمناء الصادقين، وهم شهداؤه عليهم يوم لقائه[3]، حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:٣٦]، فجميع الرسل اصطفاهم الله ﷻ لإصلاح العقيدة الفاسدة وتغييرها بعقيدة التوحيد، فمن اتبع الرسل حقت له الهداية، ووفقه الله ﷻ إليها، وأعانه عليها، ومن كذب الرسل وأنكر الوحدانية لله ﷻ حقت عليه الضلالة، وأقيمت عليه الحجة، وعليه أن يعتبر من الأقوام السابقة المعذبة بسبب التكذيب.

---

(1) صحيح مسلم (١/٥٠)، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه،ح(١٩).

(2) انظر: صالح بن فوزان، شرح ثلاثة الأصول (١/ ٢٩٣).

(3) انظر: ابن باديس، العقائد الإسلامية (١/١٠٨).

بشرية الرسل: قال ﷻ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٤٣].

ومن تمام عدل الله ﷻ أن جعل جميع الرسل الذين جاءوا قبل سيدنا محمد ﷺ من البشر لإقامة الحجة عليهم فلا سبيل للتنصل من التكليف.

إثبات النبوة لسيدنا محمد ﷺ: حيث قال ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [النحل:١١٣].

ومن حكمة الله ﷻ، ومن تمام عدله أنه كان يبعث الرسل من أقوامهم، حتى يكون ذلك أدعى وألزم لهم للتصديق وعدم التكذيب، ولكن بني آدم عليه السلام الذين اجتالتهم الشياطين كذَّبوا سيدنا محمداً ﷺ كما كذبوا المرسلين من قبل، فعذبهم بالقتل والأسر يوم بدر، كما عذب الذين من قبلهم.

مهمة الرسل: قال ﷻ: ﴿**فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾[النحل:٣٥]، وقال ﷻ: ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ [النحل:٨٢].

ومن تمام عدل الله ﷻ أنه حدد المهام، فجعل مهمة الرسل البلاغ، والحساب على الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية:٢٦]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد:٤٠].

ثانياً: إثبات الوحدانية لله ﷻ من خلال القدرة على الخلق والتفرد به

حيث قال ﷻ: ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ [النحل:٣-٥]، إنها لحياةٌ بعيدةٌ عن التعقيد، طلبها مستطاعٌ في مقدور كل مكلفٍ، ألا وهو توحيد الله ﷻ، والمتفرد بالوحدانية ﷻ خلق الإنسان لعبادته، فخلق له سماءً تظله، وأرضاً تقله، وأنعاماً في خدمته، ثم أخبر ﷻ أن هذه المخلوقات تدل على الخالق الواحد، وتبرأ مما أشركوا به من الأوثان، ولكن الإنسان الذي خلق من ماء مهين أصبح خصيماً مبيناً، يجادل في الباطل، مظهر الخصومة، ولا يستحي من الله ﷻ، كما فعل أبي بن خلف، حيث أخذ عظاماً باليةً ففتتها بيده، ثم قال لسيدنا

محمد ﷺ: أتزعم أن الله يعيدنا مرة أخرى خلقاً جديداً بعد ما نصبح عظاماً ورفاتاً[1]!، فنزل قوله ﷻ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٨-٧٩].

ثالثاً: توحيد الألوهية

١. **الله واحد لا ثاني له:** حيث قال ﷻ: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ * وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥١ – ٥٤].

إنها دعوة صريحة مؤكدة من الله الواحد إلى نبذ العقيدة الفاسدة في جميع السور المكية واستبدالها بالعقيدة الصحيحة، عقيدة التوحيد، فهنا يأمر الله ﷻ بعبادته وحده لا شريك له، ويدلل على ذلك بانفراده بالوحدانية وبإنزال النعم، فهو متوحد في الأوصاف العظيمة متفرد بالأفعال كلها، فكما أنه الواحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فلتوحِّدوه في عبادته، وخافوه وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه من غير أن تشركوا به شيئاً من المخلوقات، فإنها كلها مملوكة لله ﷻ، وله وحده الدين والعبادة والذل في جميع الأوقات، وعلى الخلق أن يخلصوا في عبادته، ولا يتقون غيره من أهل الأرض أو أهل السماوات، فهم لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً، والله ﷻ المنفرد بالعطاء والإحسان، وجميع النعم منه، فيجب صرف كل نعمه في طاعته وهذا كمال الشكر، فشكر المنعم واجب شرعًا، وهو اعتراف بنعمه على جهة الخضوع والإذعان، وأنتم لا تفهمون ذلك إلا في الشدة!، لأنكم تعلمون حينها أنه لا يدفع الضر والشدة إلا هو، فترفعوا أكف التضرع صاغرين مذلولين!، لذلك ينبغي عليكم أن تفردوه في العبادة كما تفرد بالخلق والنعم، ولكن كثيراً من الناس يظلمون أنفسهم، ويجحدون

([1]) انظر: الطبري، جامع البيان (١٦٦/١٧)، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (١٩٠/٣)، السمرقندي، بحر العلوم (٢٦٦/٢).

نعمة الله ﷻ عليهم، فإذا نجاهم من الشدة وصاروا في حال الرخاء أشركوا معه بعض مخلوقاته العاجزة، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم[1].

٢. **أعذارهم واهية:** حيث قال ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [النحل:٣٥-٣٧].

وترى الباحثة: أن هؤلاء العصاة من أبناء آدم عليه السلام أنكروا أن الله جل جلاله واحد لا ثاني له، فأشركوا به، ولم يستجيبوا لدعوة الرسل، وعندما رأوا العذاب قدموا أعذارهم، فكانت واهية كاذبة، لا تبرر كفرهم، لأنهم كفروا بمحض إرادتهم واختيارهم بعقولهم الخربة التي عشش فيها الكفر، وقلوبهم التي غطاها الصدأ حيث قال ﷻ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطَّففين:١٤]، ثم يقولون إنها مشيئة الله وإرادته، وهو الذي أقام عليهم الحجة بالرسل والرسالات، والتخويف بمصير الأمم المكذبة من السابقين، ولكنهم أصروا على الضلال فما لهم من ناصرين، فمثل هؤلاء لا يغيرون ما بأنفسهم، ولا يحرصون على إصلاحها، ولا يهديهم الله ﷿، جزاء إصرارهم على الكفر، فلا تحرص على هداهم يا محمد، لأنهم لا يستحقون هذا الحرص وهذه التضحية.

رابعاً: إثبات القدرة المطلقة لله ﷿:

١. **الردع بالتخويف:** قال ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٥ – ٤٧].

إن الله ﷻ لم يخلق العباد من أجل أن يعذبهم إنما خلقهم من أجل هدف أسمى وهو عبادته ﷻ، ولكن كثر هم الذين ضلوا الطريق، فتخطفتهم الشياطين، وصدوا عن سبيل الله ﷿،

([1]) انظر: عبد الباقي، العين والأثر (ص:٣٠)، السعدي، تيسير الكريم (ص:٤٤٢).

وأمنوا مكر الله ﷻ، فكيف لهم هذا، ألا يعلمون بأن الله ﷻ قادر على أن يخسف بهم الأرض على كفرهم وشركهم، أو يأتيهم عذاب الله ﷻ من مكان لا يشعرون به، ولا يعلمون من أين يأتيهم، أو يهلكهم في تصرُّفهم في البلاد، وتردّدهم في أسفارهم فلا يعجزونه إن أراد أخذهم كذلك، أو يأخذهم بالخوف النازل بأهلهم ومن حولهم، أو يأخذ العذاب طائفة ويترك أخرى، ويعذِّبُ القرية ويُهلكها، ويترك أخرى إلى جنبها، وإن لم يأخذ هؤلاء الذين مكروا السيئات بعذاب معجَّل لهم، أخذهم بموتٍ وتنقصٍ بعضهم في إثرِ بعض، وهو في ذلك رءوف بخلقه، رحيم بهم، ومن رأفته ورحمته بهم لم يخسف بهم الأرض، ولم يعجِّل لهم العذاب، ولكن يخوّفهم وينقّصهم بالموت، فالله ﷻ يردع العصاة بالتخويف من العذاب بألوان مختلفة، للتغيير والإصلاح[1].

٢. **دعوة لأخذ العبرة من أنفسكم:** حيث قال ﷻ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٠].

وترى الباحثة: أن الله ﷻ يحث كثيراً على إعمال العقل، فالذين أنكروا الوحدانية، أنكروا بالتالي البعث لأنهم لا يريدون الحساب على معتقداتهم الفاسدة، فدعاهم الله ﷻ لأخذ العبرة والعظة من أنفسهم، فلفت أنظارهم ﷻ إلى خالقهم، ثم إلى الموتى من حولهم ألا تدل على الحي الذي لا يموت، وهم أموات وأولاد أموات، والهرم ألا يدل على قرب الأجل، وفقدان الذاكرة ألا يدل على الضعف بعد القوة، هذه الأشياء وغيرها ألا تدل على بقاء الله ﷻ، وفناء ما عداه، وكل ذلك ألا يدل على القدرة المطلقة لله ﷻ.

٣. **آيات القدرة المطلقة:** حيث قال ﷻ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[النحل:٧٩-٨١].

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان (١٧/٢١٢-٢١٥).

وترى الباحثة: أن الله ﷻ رحيم بعباده، ومن دلائل هذه الرحمة أنه أعطاهم فرصاً كثيرة للتوبة والرجوع، فتارة يذكرهم بأنه خالق السماوات والأرض، وتارة بخلق الأنعام، وأخرى بخلق النباتات والثمار والأشجار، ثم تسخير الطير، وتمكينه من الطيران في جوّ السماء، وفي كل هذا علامات ودلالات على أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأنه لاحظ للأصنام والأوثان في الألوهية.

والله ﷻ عالج ما في أنفس هؤلاء الكفرة، فهم لا يعبدون إلا ما يحسونه ويلمسونه وينكرون وجود الله ﷻ لعدم رؤيته، فدلهم الله ﷻ إلى أثر يدل على وجوده، وتفرده بالوحدانية، ألا وهو جميع ما حولهم من مخلوقات حتى أنفسهم، فما عليهم إلا أن يشاهدوا، ويسمعوا ويتفكروا فيتدبروا، فتستوعب عقولهم وتستنتج أن هذا الكون البديع بما فيه من مخلوقات لها خالق واحد مدبر أمرها هو الله ﷻ، فانظروا إلى بيوتكم التي هي من الحجر والشعر والصوف والوبر، تسكنون فيها، وتستخفون حملها ونقلها، من بلادكم وأمصاركم لأسفاركم، وفي إقامتكم في بلادكم، ومن نعمة الله ﷻ عليكم أيها الناس أن جعل لكم مما خلق من الأشجار وغيرها ظلالاً تستظلون بها من شدة الحرّ، ومن الجبال بيوتاً تسكنون فيها، وثياب القطن والكتان والصوف وقمصها تقيكم الحر والبرد، ودروعاً تقيكم السلاح أن يصل إليكم في وقت الحرب، من الذي أنعم عليكم بهذه النعم وغيرها؟ هل يوجد غير الله ﷻ!، إنه أعطاكم هذه النعم التي وصفها لكم في هذه الآيات لعلكم تسلمون، فتخضعوا لله بالطاعة، وتخلصوا له العبادة، وتنقادوا لحكمه [١].

إن هذه النعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى تؤكد أن أبواب الإسلام كثيرة، تفتح لمن يطرقها إن أراد الإصلاح والتغيير.

٤. **القدرة المطلقة لله ﷻ:** حيث قال ﷻ: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[النحل:٤٠].

وترى الباحثة: أن جميع الأدلة والبراهين التي عرضها ﷻ لم تعجزه، إنما كانت تحت طوعه ورهن أمره بكلمة كن فكان كل شيء صاغراً طائعا لله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى**

([١]) انظر: الطبري، جامع البيان (١٧/٢٦٦-٢٧٠).

السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصّلت:١١]، فما بال الإنسان الذي حمل أمانة التكليف التي لم تستطع حملها السموات والأرض لا يستجيب لطاعة الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢].

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: عرض الأدلة التي تؤكد القدرة المطلقة لله ﷻ على البعث والنشور، حيث قال ﷻ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١].

ثانياً: تأكيد وحدانية الله ﷻ وتنزيهه عن الشريك، حيث قال ﷻ: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:١]، وقال ﷻ: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [النحل:٢].

ثالثاً: تنزيل المنهج الذي لا اعوجاج فيه ولا تناقض، حيث قال ﷻ: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل:٢].

رابعاً: اصطفاء الرسل لتبليغ الأمانة، حيث قال ﷻ: ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل:٢].

خامساً: إثبات الوحدانية لله ﷻ من خلال القدرة على الخلق والتفرد به، حيث قال ﷻ: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل:٣-٤].

سادساً: إثبات القدرة المطلقة لله ﷻ من خلال الأدلة والبراهين المتعددة، حيث قال ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٥ – ٤٧].

سابعاً: القطع بأن قدرة الله ﷻ لا حدود لها، وجميع الأدلة والبراهين التي عرضها ﷻ لم تعجزه، حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠].

المطلب الثاني: النعم الدالة على وحدانية الله ﷻ

٢. نعم لا تعد ولا تحصى:

قال ﷻ: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ * هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٥-٢٠].

وترى الباحثة: أن الله ﷻ خلق للإنسان سمواتٍ تظله وأرضاً تقله ونعماً لا تعد ولا تحصى حيث قال ﷻ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:١٨]، لتصلح له الحياة على هذه البسيطة، ويقدر على عبادة الله ﷻ، وتكمل هذه النعمة بما توفره للإنسان من راحة في حمل أثقالهم ورفع المشقة والتعب عنهم، وذلك برحمة من الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:٧]، وكما راعى ﷻ منافع الجسد من أكل وشرب ولبس وحمل أثقال، راعى ﷻ المتعة النفسية والمعنوية حيث قال ﷻ: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل:٦]، وقال ﷻ: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٨]، ومما يدلل على حكمة الله ﷻ أنه راعى لكل عصر ما يصلح له من مواصلات حيث قال ﷻ: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا

﴿تَعْلَمُون﴾ [النحل:٨]، وخلق لكم النباتات من حولكم بأنواعها المختلفة، منها الزروع والزيتون، والنخيل والأعناب، والأشجار المثمرة، بأنواعها المتعددة، ألا تنظرون إليها وتتفكرون في آياتها حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:١١]، فبعد أن عدد ﷻ هذه النعم ختمها بهذه الفاصلة وهي دعوة من الله ﷻ إلى الناس أن يتفكروا في خالق هذه الأشياء وهو خالقهم ابتداءً، ألا يجدر بهم أن يلتفتوا إليه بالعبادة؟!.

ثم ينقلهم ﷻ بعقولهم التي هي مناط التكليف إلى التدبر والنظر في تعاقب الليل والنهار، وما فيهما من نعمة لا تحصى ولا تقدر بثمن، ومن جولة إلى أخرى، فيأخذهم إلى النظر في الشمس والقمر والنجوم، وتأتي الفاصلة في موطنها حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل:٦٧]، فيا أصحاب العقول من الذي سخر هذه الكواكب ومن الذي أمرها؟، أليس الله الواحد!.

ويظهر جليا التدرج في النظر، من الأرض إلى السماء، ومن النباتات المحيطة بهم إلى الكواكب في السماء، ومن الفكر إلى العقل.

ثم تعود الرحلة إلى الأرض بزروعها ذات الألوان المختلفة، وتأتي الفاصلة في موضعها حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل:١٣]، إنها آية لقوم مخصوصين، قوم يتذكرون فيفكرون في عقولهم فهم لا يحيون حياة البهائم، فهؤلاء أهل للاستفادة مما حولهم، وأهل للتغيير والإصلاح، ثم تقلع الرحلة إلى البحر وتستعرض النعم الوفيرة والعديدة في البحر، منه الأكل اللذيذ الممتع، وفيه الرزق والحلي الفاخر، والمعجزة الكبرى في البحر كيف أصبح الماء طريقاً فحمل السفن، وأصبحت أداة مواصلة تحمل الناس من بلد إلى بلد كما في اليابسة، ألا يوجد من يشكر الله ﷻ على هذه النعم حيث قال ﷻ: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

وهكذا تستمر الرحلة بحراً وبراً وجواً، من مشهد إلى آخر من مشاهد القدرة المطلقة لله ﷻ جبال وأنهار وطرق؛ فجبال راسيات تمسك الأرض أن تميد، وأنهار محيطة باليابسة، والطرق في كلا السبيلين، براً وبحراً، وفي السماء علامات بالنجم عسى أن تهتدوا إلى

الطرق، والنعمة التي تفوق كل النعم نعمة الهداية، والتي يتوصل إليها الإنسان من خلال التفكر والتدبر بالعقل ثم التذكر وصولاً إلى الإقرار بالوحدانية.

٣. **الموازنة والمحاكمة العقلية:**

قال ﷻ: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾[النحل: ١٧-٢٢].

إنها دعوة من الله ﷻ للتغيير والإصلاح من خلال النظر إلى هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى فإنها تدل على الخالق، فهي الأثر الذي يعرفنا بالله ﷻ، وهي دعوة صريحة معلنة من الله ﷻ في أكثر من مشهد إلى أصحاب العقول النيرة لعقد موازنة عادلة، ومقارنة حكيمة وتحكيم عقلاني، فلا يوجد مساواة بأي حال من الأحوال بين الخالق القادر الرازق الحي الذي لا يموت، وبين أصنام عاجزة عجز عقول هؤلاء الكفرة الفجرة حيث قال ﷻ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ﴾ [عبس:٤٢]، إنه الدليل القاطع البديهي والفطري والضروري على وحدانية خالق هذه النعم، والذين يدعون من دون الله ﷻ ليس لها قدرة ولا علم فلا يخلقون شيئاً، وهم أموات غير أحياء ولا أرواح فيها، ولا يعقلون ولا يملكون لهم ضرّاً ولا نفعاً، ولا يدرون متى يبعثون، كما الكفار لا يدرون متى يبعثون، مع أن ربكم المتصف بصفات الكمال غفور لذنوبكم إذا رجعتم إليه، رحيم بكم لا يعجل لكم العقوبة عندما صددتم عن سبيله ودعوتم إلى عبادة المخلوقين من دونه، وهم لا يخلقون شيئاً لعجزهم وضعفهم، ومع تكاثر هذه الأدلة ووضوحها إلا أن قلوب هؤلاء أنكرته، والسبب عدم الإيمان بالآخرة لا خفاء الأدلة [1].

ومن حكمة الله ﷻ ومعرفته بما يصلح لعباده أنه جعل بينهم فروقاً فردية كل حسب مصلحته، فوزع الرزق بينهم، وجعل منهم الغني، وجعل منهم الفقير، ومن هؤلاء الفقراء عبيد لكم، فإذا كنتم أنتم لا ترضون بإشراك عبيدكم معكم في أموالكم ونسائكم، فكيف

---

(1) انظر:الطبري، جامع البيان (١٨٨/١٧)، صالح بن عبد الله العبود، عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية (٥٨٢/١).

تشركون عبيد الله ﷻ معه في ملكه؟!، هل هذا إلا من أعظم الظلم والجحود لنعم الله؟!! فلو أقروا بالنعمة ونسبوها إلى من خلقها، لما أشركوا به أحداً، والملاحظ أن الله ﷻ يخاطب بهم العقل والفكر لعقد مقارنة بين ما يحبون لأنفسهم وبين ما ينسبونه لله ﷻ، وهذا من أدلة توحيده بيان قبح الأشياء التي عبدتموها مع الله ﷻ، فإنها عبيد ليس لها من الملك مثقال ذرة، فكيف تجعلونها شركاء لله تعالى؟!، فعندما يعقدون هذه المقارنة لعلهم يتركون ما هم عليه من الكفر، ويصلحون من أنفسهم باتباع دين محمد ﷺ الذي صدوا عنه بأكاذيبهم(١).

٣. الآيات الدالة على الوحدانية:

قال ﷻ: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ * وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[النحل:٦٥-٧٠].

وترى الباحثة: أنها دعوة بعد دعوة، وتذكرة تلو الأخرى للناس الذين ينتفعون بأسماعهم حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ عندما تتلى عليهم آيات الله ﷻ فينتفع بها أصحاب العقول، حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فيتفكرون، حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ، وهذا التعداد إنما يدل على علم الله ﷻ وقدرته، حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾، ورحمته بعباده حيث إنه ﷻ كما تفضل عليهم بالنعم التي لا تحصى، أعطاهم أيضاً الفرص العديدة للتوبة والرجوع عن هذه المعتقدات الفاسدة، والإنابة بالرجوع إلى الله ﷻ.

---

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم (ص:٤٤٤)، الشنقيطي، أضواء البيان (٤١١/٢).

5. **جحود فكفر فنكران لنعم الله ﷻ:**

قال ﷻ: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[النحل: ٧١-٧٢]، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[النحل:٨٣].

يخبر ﷻ عن منته العظيمة على عباده، حيث جعل لهم أزواجاً ليسكنوا إليها، وجعل لهم من أزواجهم أولاداً تقرُّ بهم أعينهم ويخدمونهم، ويقضون حوائجهم، وينتفعون بهم من وجوهٍ كثيرةٍ، ورزقهم من الطيبات من جميع المآكل والمشارب، والنعم الظاهرة التي لا يقدر العباد أن يحصوها، وهم بالتالي يؤمنون بالباطل الذي لم يكن شيئاً مذكورا ثم أوجده الله ﷻ وليس له من وجوده سوى العدم، فلا تخلق ولا ترزق ولا تدبر من الأمر شيئاً، وهذا عام لكل ما عبد من دون الله، فإنها باطلة فكيف يتخذها المشركون من دون الله؟!! والنعم التي لا يحصيها عدد يجحدونها ويستعينون بها على معصية الله والكفر به، هل هذا إلا من أظلم الظلم وأفجر الفجور وأسفه السفه؟ أن يجحدون نعم الله ﷻ ويكفرونها[1].

إن المشركين على علم ويقين بأن هذه النعم من الله ﷻ، فهم يعترفون بنعم الله التي عدّدها عليهم أنها من الله ﷻ، ثم ينكرونها بإضافتها إلى غيره من آلهتهم وآبائهم وغيرهم، فهم متناقضون في ذلك، وهل ينكر نعم الله ﷻ ويجحد آلائه إلا الذي أنكر وحدانية الله ﷻ وجحد فضله، ولكن الكفار ينهجون نهج بعضهم بعضاً[2]، ويتركون منهج الله ﷻ المنزل لإصلاحهم وتغيير فسادهم، فكان أكثر الناس منهم كما عرفهم ربهم ﷻ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[النحل:٨٣].

6. **العبادة حقٌ خالصٌ للرازق:**

قال ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[النحل:٧٣].

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان (١٧/٢٥٤-٢٥٩)، السعدي، تيسير الكريم (ص:٤٤٤).

(2) انظر: صالح بن فوزان، الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص:٣٢١).

وترى الباحثة: أن الله ﷻ يبين في هذه الآية أن الرزَّاق هو الذي يستحق العبادة، فما في السماء من رزق فمن الله ﷻ، وما في الأرض من رزق فمن الله ﷻ، والآلهة التي يعبدها أصحاب العقيدة الفاسدة من دون الله ﷻ لا تملك رزقاً، ولا تستطيع رزق أحدٍ، فكيف تعبدون من دونه الفقير الذي لا يستطيع شيئاً، وكيف تجعلون من رزق الله ﷻ نصيباً لآلهتكم المزعومة، هلا طلبتم منها أن ترزقكم،حيث قال ﷻ: ﴿ **وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ** ﴾ [النحل:٥٦]، إنه افتراء وكذب محض ستحاسبون عليه يوم القيامة، ولسوف تسألن عن هذا الادعاء المكذوب المنسوج من عقيدتكم الفاسدة، والمتمخضة من نتاج عقول خربة وقلوب مريضة ونفوس خاوية.

٧. **الجوع والخوف عقاب الكفر بنعم الله ﷻ:**

قال ﷻ: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾[النحل: ١١٢].

وترى الباحثة: أن الذي يكفر بنعم الله ﷻ ويجحدها هو كافر بالله ﷻ يستحق عقابه، بحرمانه من هذه النعم واستبدالها بالجوع والخوف بدل من النعم والأمن اللذان هم من أهم مقومات الحياة الكريمة، واستبدالها بالحياة الذليلة المهانة ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنفال:٥٣].

٨. **المؤمن العابد يشكر نعمة الله ﷻ :**

قال ﷻ: ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[النحل: ١١٤-١١٥].

وترى الباحثة: أن الله ﷻ خلق الإنسان مفطوراً على حب النعم، وبالتالي حب من ينعم عليه، وشكر المنعم أمر واجب، مفروغ منه عند ذوي الاستقامة، والله ﷻ في هذه السورة يذكر أهل مكة المشركين بالنعم التي أنعم بها عليهم، والتي لا تعد ولا تحصى، وأن الذي خلق هذه النعم هو المستحق للعبادة، والمتفرد بالألوهية، عسى أن يهتدوا ويتركوا عبادة

الأصنام التي عبدوها من دون الله ﷻ، والمؤمن العابد يشكر نعمة الله ﷻ، ومن تمام النعم أنه ﷻ حرم الحرام الخبيث، وجعل مندوحة فيه عند الاضطرار، وأحل الطيب من الرزق وجعله كثيراً يغني عن الحرام، وهذا من تمام مغفرة الله ﷻ ورحمته.

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: إبراز النعم الدالة على وحدانية الله ﷻ.

ثانياً: وجوب نسبة النعم إلى الله ﷻ وحده.

ثالثاً: التحذير من نسبة النعم إلى غير الله ﷻ؛ لأنه شركٌ في الربوبية(١).

المطلب الثالث: استحقاق الهداية والضلال

١. الهداية العامة:

قال ﷻ: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل:٦٨].

٢. هداية الفطرة:

قال ﷻ: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل:٥٣].

٣. هداية البيان والدلالة والإرشاد:

قال ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل:٦٤].

وقال ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

٤. هداية التوفيق والإعانة:

قال ﷻ: ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل:٩] .

وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[النحل: ٩٣].

---

(١) انظر: صالح بن فوزان، الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٢١).

وقال ﷻ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل:١٠٢].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النحل:١٠٤].

إن منهج القران الكريم قائم على الإصلاح والتغيير، ولكي يتحقق ذلك فطر الخالق جميع المخلوقات إلى وحدانية الله ﷻ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الرُّوم:٣٠]، وعن أبي هريرة ﷺ، أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه)[١]، وبعث الله ﷻ أنبياء ودعاة من أهل التقوى تحملوا أمانة الدعوة فحملوها على أكمل وجه، كما خص ﷻ عباده الذين امتثلوا لأمره بهداية خاصة، وهي هداية التوفيق والإعانة، وبأنواع الهداية جميعاً أقام الله ﷻ الحجة على الناس، حيث بعث الرسل وأنزل الكتب، ووهب العقل والحرية والاختيار، فوجب التكليف."وذلك كله من الأدلة على كمال قدرته، وثبوت وحدانيته، وتحقيق ربوبيته"[٢].

١. **الهداية العامة:**

قال ﷻ: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل:٦٨].

الهداية العامة هي هداية الفطرة، وهي التي لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، حيث هدى الناس جميعاً -الكافر والمؤمن- إلى الهداية العامة، وهذه الهداية مَهْدِيٌّ بها حتى الحيوان، فالهداية العامة أمرٌ مشتركٌ، فهدى كلَّ مخلوقٍ إلى ما لا بد له منه في قضاء حاجاته فهدى الطفل إلى التقام الثدي عند انفصاله، والفرخ إلى التقاط الحب وقت خروجه، والنحل إلى بناء بيته على شكل التسديس، فالنحلة تعمل بإلهامٍ من الفطرة التي أودعها إياها الخالق، وقد ذلل الله ﷻ لها سبل الحياة بما أودع في فطرتها وفي طبيعة الكون حولها من توافق، فتذهب لتأخذ رحيق

---

(١) صحيح مسلم (٢٠٤٧/٤)، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، ح (٢٦٥٨).

(٢) صدر الدين الدمشقي، شرح الطحاوية (١/ ٤٣٢).

الزهر من الأمكنة المتعددة، وتأتي إلى الخلية، وهذا ما يسمى بالهداية العامة(1)، حيث قال ﷻ: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[طه:٥٠].

٢. **هداية الفطرة:** قال ﷻ: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل:٥٣].

وهذه الهدايةُ خاصةٌ بالبشر جميعاً، حيث فطرهم على وحدانيته، وأنه خالقهم وأشهدهم على أنفسهم بذلك، حيث قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢]، ولكن فريقاً كبيراً من بني آدم نسوا هذه الشهادة، واتبعوا سبل الشيطان، وهم الذين يلجأون إلى الله ﷻ عند الشدائد والكرب حين يمسهم الضر، فيعرفون أن الله ﷻ موجودٌ، ولا معبود بحق سواه، ولا منجى ولا ملجأ منه إلا إليه، فيرفعون أكف التضرع رغماً عن أنوفهم وهم صاغرون، يصرخون ويستغيثون بأصوات مرتفعة كجعار الثيران، وهم يتلهفون للنجاة، ثم إذا كشف عنهم الضر عادوا لسابق عهدهم من الكفر والتكذيب وارتكاب المعاصي كأن لم يمسهم ضر بالأمس ﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمر:٤٩]، أما المؤمنون الذين أنعم الله ﷻ عليهم بهداية التوفيق والإعانة، فأولئك يعرفون الله ﷻ في الشدة والرخاوة وفي السر والعلن وفي كل وقت وحين.

٣. **هداية البيان والدلالة:**

قال ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقالﷻ: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

وقال ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

---

(1) انظر: أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى (١/ ١٤٦)، انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (٤/٢١٨١).

هداية البيان والدلالة: وهي هداية الدعوة والتنبيه والإرشاد، "والهدى مصدر من قولك: هديت فلاناً الطريق، إذا أرشدته إليه، ودللته عليه، وبينته له"(١)، وهي خاصة بالرسل وأتباعهم من الدعاة، متبعين منهج القرآن، فهي الهداية المنسوبة في القرآن الكريم إلى رسول الله ﷺ وإلى كتابه العزيز في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورى:٥٢]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، وهي أشرف الأعمال؛ لأنها تقطع حجة العباد على الله ﷻ، وهي تخص المكلفين، فلا يعذب الله أحداً إلا بعد إقامتها عليه، حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، قال ﷻ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥]، ويتضح من ذلك أن مهمة الرسل مقصورة على الإنذار، وتبليغ الرسالة مع الجهاد في سبيل الله إن أعيق التبليغ، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧](٢).

* **ما على الرسول إلا البلاغ:** ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل:٣٥]، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٨٢].

وهكذا نعلم أن طبيعة هداية الرسل، قائمة على البيان والدلالة، لا على الإلزام حيث بين لهم ﷻ طبيعة مهامهم فقال ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]، فعلى الرسول البلاغ، وعلى الله ﷻ الحساب.

٤. **هداية التوفيق والإعانة:**

قال ﷻ: ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل:٩] .

---

(١) الطبري، جامع البيان (٢٣٠/١).

(٢) انظر: القرطبي، الجامع (١٦٠/١)، ابن بَطَّة العكبري، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (١٨٣/١)، محمود محمد غريب، منهج القرآن في القضاء والقدر (ص:٣٦)، ناصر بن علي، مباحث العقيدة في سورة الزمر (ص: ٥٣٨).

وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[النحل: ٩٣].

وقالﷻ:﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل:١٠٢].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النحل:١٠٤].

وهداية التوفيق والإعانة: معناها التأييد والتوفيق من الله ﷻ لعباده المؤمنين، فهذه خاصةٌ بالله ﷻ لا يقدر عليها أحدٌ إلا هو، فقال لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦]، وكما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[النحل: ٩٣]، فهي هدايةُ توفيقٍ للدخول في الإسلام، وهي خاصةٌ بالله ﷻ يوفِّق من يشاء للدخول في الإسلام فهو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية(١).

والهدى على هذا النحو يجئ أيضاً بمعنى خلق الإيمان في القلب، ومنه قوله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة:٥]، وهذه الهداية خاصةً بالمؤمنين، فهي هدًى للمتقين، وشفاءٌ لما في صدورهم، ووقرٌ في آذان المكذبين، وعمىً لأبصار الجاحدين، وحجةٌ لله بالغةٌ على الكافرين، فالمؤمن به مهتدٍ، والكافر به محجوج(٢).

ويتضح مما سبق أن الله ﷻ كلف الناس بعبادته، فهداهم وأرشدهم إلى طريق الحق، وأقام عليهم الحجة، فوهبهم العقل والإرادة والحرية وأرسل لهم الرسل وبعث الكتب وأجرى عليهم القلم وأقام عليهم الحجة وهداهم السبيل من خلال منهج الإصلاح والتغيير الذي تضمنه القرآن الكريم، حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣]، وقال ﷻ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠]، فبين لهم طريق الخير والشر(٣)، وبعد أن بين الله ﷻ الصراط

(١) انظر: صالح بن فوزان، الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٥٣).

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان(١/٢٣٠)، القرطبي، الجامع (١/١٦٠)، ابن بَطَّة العكبري، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (١/١٨٣).

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان (٢٤/٤٣٧).

المستقيم حيث قال ﷻ: ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ الذي يوصل إلى الله بالحجج والبراهين الواضحة، أصبح منهم جائر حاد عن الاستقامة معوجّ الطريق، ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ في عقائده وأعماله؛ وهو كل ما خالف الصراط المستقيم، فهو قاطع عن الله ﷻ، موصل إلى دار الشقاء، فسلك المهتدون الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه بإذن ربهم، وهو طريق الإسلام، وضل الغاوون عنه، وسلكوا الطرق الجائرة، حيث قال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل:٩]، ولكنه هدى بعضاً كرماً وفضلاً منه، ولم يهد آخرين، حكمةً وعدلاً منه[1]، لأنهم تركوا نهيه فأشركوا به، وعبدوا الطاغوت من دونه، يقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[النحل:٣٦]، فحادوا رغم كل التحذيرات من الطاغوت، حيث قال ﷻ: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]، ونسوا أمر الله ﷻ أن ابعدوا عن الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدكم عن سبيل الله ﷻ، فتضلوا، فانقسم أبناء آدم بين مهتد وضال حيث قال ﷻ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ﴾ [النحل:٣٦]، فحقت لهم الهداية، ووفَّقهم لتصديق رسله، والقبول منهم، والإيمان بالله ﷻ، والعمل بطاعته، ففازوا وأفلحوا، ونجوا من عذاب الله حيث قال ﷻ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ فجاروا عن قصد السبيل، وحادوا عن الحق، وكفروا بالله وكذّبوا رسله، وصدوا عن سبيله، واتبعوا الطاغوت، فأهلكهم الله بعقابه، وأنزل عليهم بأسه الذي لا يردّ عن القوم المجرمين، وحرموا من الهداية وضوعف لهم العذاب[2].

إن الإنسان الذي يرفض الإصلاح والتغيير ويحيد عن الطريق المستقيم ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ [النحل:٩]، ويصر على الكفر والمعصية، يحرم من هداية البيان والدلالة، ومن حرم من هداية البيان والدلالة، سيحرم بالتالي هداية التوفيق والإعانة حيث قال ﷻ: ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل:٩]، والإنسان الذي يستجيب لدعوة الأنبياء والدعاة ينعم بهداية البيان والدلالة، فيكرمه ربه ﷻ بهداية التوفيق والإعانة، فيخلق الإيمان في قلبه.

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (١٧/١٧٥،١٧٤)، السعدي، تيسير الكريم (١/٤٣٦).

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان (١٧/٢٠١).

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: بيان أن الهداية العامة تشمل جميع المخلوقات، حيث قال ﷻ: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل:٦٨].

ثانياً: هداية جميع الناس هداية الفطرة التي تُقِرُ في وقت الشدة أن الله ﷻ وحده النافع المنعم، وهو الذي يرفع الضر، حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل:٥٣].

ثالثاً: هداية البيان والدلالة؛ يقوم بها الأنبياء والدعاة لهداية جميع الناس، حيث قال ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

رابعاً: هداية التوفيق والإعانة بيد الله ﷻ، خاصةً بعباده المؤمنين(1)، حيث قال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[النحل: ٩٣].

خامساً: تسهيل وتوضيح سبل الهداية للناس، وبيان أسباب الضلال، حيث قال ﷻ: ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل:٩].

المطلب الرابع: الحصانة الربانية بالقرآن وإبطال سلطان الشيطان

أولاً: القرآن حصن من الشيطان:

قال ﷻ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨].

ثانياً: سلطان الشيطان على المستكبرين:

قال ﷻ: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ... إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل:٢٢-٢٣].

وقال ﷻ: ﴿تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:٦٣].

---

(1) انظر: صالح بن فوزان، الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٥٤).

ثالثاً: الحصانة الربانية للمتواضعين:

قال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ ... مَا يُؤْمَرُون﴾[النحل:٤٨-٥٠].

رابعاً: الحصانة الربانية للمؤمنين:

قال ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ ... وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[النحل:٩٩-١٠٠].

خامساً: القرآن منهج إصلاح للمؤمنين:

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً ... وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النحل:١٠١-١٠٤].

أولاً: القرآن حصن من الشيطان:

قال ﷻ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨].

إن الذي يتمتع بالحصانة الربانية القرآنية لا يضره شيطان ولا إنس ولا جان، لأنه اعتصم واستجار بالله العظيم القهار، القادر على الشيطان.

فسبحان من أنزل جبريل عليه السلام بالقرآن ليثبت به من آمن من الأنام، ويهدي به المسلمين، ويبشرهم بالفوز بجنة الرحمن، ومرضاة الله العلي المنان.

والقرآن هو الحصن المنيع الذي يحمي المؤمنين من الشيطان، ويحصنهم بسياج التقوى والإيمان، فيبطل سلطان الشيطان.

فيجب على المسلمين أن يؤمنوا بأن القرآن العظيم أنزله الله ﷻ هداية للعالمين لما فيه من سعادة الدارين بتنوير العقول، وتزكية النفوس، وتقويم الأعمال، وإصلاح الأحوال، وتنظيم الاجتماع البشري على أكمل نظام، وكل من خالفه هو باطل وضال[1]، فقد قال سيدنا محمد ﷺ في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع: (وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله)[2]، لذلك يجب علينا أن نتمسك به ونلجأ إليه في كل خطب من الخطوب، فهو المنهج المعتمد والثابت القائم على الإصلاح والتغيير، وقد تكفل الله ﷻ بحفظه حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، فالقرآن الكريم هو الحماية والحصن المنيع من الشيطان الرجيم كلما حاول إغواء بني آدم، فعليهم أن يستعيذوا بالله العظيم من الشيطان

---

(١) انظر: ابن باديس، العقائد الإسلامية (ص: ١٠٢،١٠٣).

(٢) صحيح مسلم (٢/٨٨٦)، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ ح (١٢١٨).

الرجيم، وعليهم أن يقرءوا القرآن الكريم قراءة فهم وتدبر، للوصول من خلاله إلى الحل لكل ما يعتريهم من مشاكل في هذا العصر وكل عصر، لأن الله ﷻ أنزل القرآن الكريم منهج حياة، هدفه الأعلى الإصلاح والتغيير، لكي يتسنى للناس عبادة الله ﷻ على الوجه الذي يرضيه عنهم، ففيه النجاة من النار والفوز بالجنة بإذن الله الواحد القهار؛ الذي يقهر سلطان الشيطان ويبعد كيده عن المؤمنين الأبرار.

ثانياً: سلطان الشيطان على المستكبرين:

قال ﷻ: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ... إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل:٢٢-٢٣].

وقال ﷻ: ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل:٦٣].

قامت الحياة الدنيا بأسرها على وحدانية الله ﷻ، وهذا ما فرضه ﷻ على عباده أنه واحد لا ثاني له، ولكن الذين أنكروا الآخرة تجرؤوا على إنكار الوحدانية، فهم الذين أوهموا أنفسهم بأنه لا يوجد يومٌ لحسابهم، حيث قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ [النَّبأ:٢٧]، فركبوا سبل الضلال من الكبر والغواية.

من أسباب الضلال:

١. **الكبر**: حيث قال ﷻ: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل:٢٢-٢٣].

الكبرياء صفةٌ من صفاتِ الله ﷻ تليق بعظمته وجبروته، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قَالَ: (يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْعَظَمَةُ إِزَارِي وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ)(١)، فلا يجوز لأحدٍ من خلقه أن يشاركه فيهما، لأنهما في حق المخلوقين صفةٌ ذميمةٌ، منبوذةٌ عند أهل الصلاح والفلاح، والكبر من أخطر أسباب الضلال، وبسببه استحق إبليس اللعنة والطرد من رحمة الله ﷻ، ومن خلاله يستطيع أن يسيطر على بني آدم عليه السلام،

---

(١) ضياء الدين، الأحاديث المختارة، المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (٢٧٣/١٠) ح(٢٨٥).

ويسقطهم في حبائله، وفي أكثر من موضع يبين الله ﷻ أنه لا يحب المستكبرين، لأن الكبر وصل بهم إلى درجة إنكار الوحدانية، وإنكار البعث والنشور.

٢. **الإغواء:** ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:٦٣].

إن من منهج الشيطان في السيطرة على أوليائه الإغواء بتزيين الذنوب والمعاصي، فيوقع في حبائل كيده الضالين صرعى الشهوات، لأنها مدخل الشيطان، فقد حفت النار بالشهوات، فعن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات)، ومعناه لا يحصل المؤمن على الجنة إلا بالصبر على المحرمات، ولا يدخل النار إلا بارتكاب الشهوات، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات[1].

ثالثاً: الحصانة الربانية للمتواضعين: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[النحل: ٤٨-٥٠].

إن الذين لا يستكبرون عن عبادة الله ﷻ ويتواضعون لعظمته، يرفع الله ﷻ قدرهم ويعلي شأنهم، ولا يجعل للشيطان سبيلاً للوصول إليهم، وهم في حصانة ربانية، فمن منهج الله ﷻ أن جعل هذا الكون بكل ما فيه خاضعاً ذليلاً لكبريائه، ومن لم يخضع بإرادته خضع رغماً عن أنفه وهو صاغرٌ حقيرٌ، حيث قال ﷻ: ﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [الأعراف:١١٩]، فالخضوع والتذلل لله ﷻ علو ورفعة، فجميع المخلوقات كلها ساجدةٌ لربها خاضعةٌ لعظمته وجلاله، وهم ذليلون تحت التسخير والتدبير والقهر، ما منهم أحد إلا وناصيته بيد الله وتدبيره عنده، فذكر ﷻ جميع المخلوقات التي تدب على الأرض الناطقة منها والصامتة، ساجدة لله ﷻ وهم صاغرون، والملائكة الكرام خصهم بعد العموم لفضلهم وشرفهم وكثرة عبادتهم؛ فهم

---

(١) صحيح مسلم (٢١٧٤/٤)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ح (٢٨٢٢)، انظر: شرح محمد فؤاد عبد الباقي.

يسجدون لله ﷻ عن حب وطواعية ولا يستكبرون عن عبادته على كثرتهم وعظمة خلقهم وقوتهم ومهما أمرهم الله ﷻ امتثلوا لأمره، طوعاً واختياراً.

وسجود المخلوقات لله ﷻ قسمان:

١. سجود اضطرارٍ ودلالةٍ على ما له من صفات الكمال، وهذا عامٌ لكل مخلوقٍ من مؤمنٍ وكافرٍ وبرٍ وفاجرٍ، ناطقٍ وغيره.

٢. وسجودُ اختيارٍ خاصٌ بأوليائه وعباده المؤمنين من الملائكة وغيرهم من المخلوقات التي انقادت لعبادة الله ﷻ راجيةً مرضاته[١].

وترى الباحثة: أنه بينما كان هناك فريق من بني آدم ممن تكبروا ورفضوا الإصلاح بصوره الرفيعة، كان هنالك فريقٌ تواضعوا لعظمته ﷻ وذلوا لكبريائه وسجدوا تحت عرش سلطانه طواعيةً ومحبةً وتقديساً ومهابةً من جلال قدره، فرفعهم مكاناً علياً تحت سلطان رحمته، وعظيم عفوه ومغفرته.

رابعاً: الحصانة الربانية للمؤمنين:

قال ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[النحل:٩٩-١٠٠].

وترى الباحثة: أن الذي يسيطر على المؤمنين سلطان العقيدة لا سلطان الشيطان، فالله ﷻ لم يجعل للشيطان سلطاناً أو سطوةً على المؤمنين الذين توكلوا على ربهم، وهداهم إلى الطريق المستقيم؛ طريق الحق والصلاح، إنما سلطانه وسطوته على أوليائه الذين تكبروا على الطاعة، فأشركوا بالله ﷻ، فمن اتبع الشيطان الرجيم وسار على دربه فهو من الغاوين الضالين الذين فرض سلطانه وأحكم سيطرته عليهم.

خامساً: القرآن منهج إصلاح:

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (٢١٩/١٧)، السعدي، تيسير الكريم (ص:٤٤٢).

بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ * إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾[النحل:١٠١-١٠٥].

إن المشركين الذين يستكبرون عن اتباع النبي ﷺ، تكبروا أيضاً على القرآن وأنكروا أنه كلام الله ﷻ، وعندما بدل الله ﷻ آية مكان آية لحكمة عند الله ﷻ اتهموا النبي ﷺ بالافتراء وكذبوه، لأن هؤلاء سيطر عليهم الشيطان، فرفضوا سلطان القرآن وتركوا أحكامه وكذبوا آياته، وقالوا جهلاً منهم: إنما يعلم محمداً بشر من بني آدم، وما هو من عند الله، ولسان الذي زعموا بأنه يعلمه أعجميّ، وقيل هو عبد روميّ، وهذا القرآن لسان عربيّ مبين، والحقيقة أن الله ﷻ نزل هذا القرآن بواسطة روح القدس على سيدنا محمد ﷺ من ربه بالحقّ تثبيتا للمؤمنين، وتقوية لإيمانهم، ليزدادوا بتصديقهم لما يبدل الله ﷻ من الآيات إيماناً مع إيمانهم، وهدى لهم من الضلالة، وبُشرى للمسلمين الذين استسلموا لله ﷻ، وانقادوا لأمره ونهيه، لأنهم يؤمنون بأن الله ﷻ أنزل القرآن الكريم لإصلاح الناس أجمعين، وهو أعلم بما ينفعهم، ويبدّل ويغير من أحكامه مراعاة لمصالحهم، ولكن الذين لا يؤمنون بحجج الله وأدلته أكثرهم لا يعلمون الغاية من هذا التبديل، ولا حقيقة صحته، فلا يفيدهم التغيير ولا ينفعهم الإصلاح، لأنهم لا يصدّقون بما دلّت عليه الآيات، فلا يوفقهم الله لإصابة الحقّ، ولا يهديهم لسبيل الرشاد في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب مؤلم موجع، لأنهم قالوا للنبيّ ﷺ: إنما أنت مفتر، وهم أهل الفرية والكذب، وهم الذين يتقوّلون الباطل، ولا يصدّقون بحجج الله وآياته[1].

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: الترغيب بالتمسك بالقرآن الكريم؛ لأنه الحصن المنيع من الشيطان، حيث قال ﷻ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل:٩٨].

ثانياً: نفي سلطان الشيطان ونزع سيطرته عن المؤمنين، وحفظهم منه، حيث قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[النحل:٩٩].

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (١٧/٢٩٧-٣٠٢).

ثالثاً: إثبات سلطان الشيطان على أوليائه من أهل الشرك، حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[النحل:١٠٠].

رابعاً: التنفير من الكبر، والتحذير من تزيين الشيطان وإغوائه، فالكبر والإغواء يعيق الإصلاح، حيث قالﷻ: ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النحل:٦٣].

خامساً: إثبات أن القرآن منهج إصلاح، حيث قال ﷻ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:١٠١،١٠٢].

سادساً: الحث على التواضع والخضوع لله ﷻ فمن تواضع لله رفعه حيث قال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون﴾[النحل: ٤٨-٥٠].

المطلب الخامس: ضرب المثل لإثبات وحدانية الله ﷻ.

١. للكافرين مثل السوء:

قال ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

٢. ليس كمثل الله شيء، فلا تضربوا له الأمثال:

قال ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا ... وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٧٣-٧٤].

٣. ضرب المثل للمقابلة:

قال ﷻ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ... لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النحل:٧٤- ٧٨].

٤. الموازنة والمحاكمة العقلية:

قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [النحل:٧٧].

٥. ضرب المثل للعبرة والعظة:

قال ﷻ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ... وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾[النحل١١٢-١١٣] .

المثل في اللغة: الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أي نظيره، والمثل والمثال في معنى واحد(١).

المثل القرآني اصطلاحاً: إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء أكانت تشبيهًا أو قولًا مرسلًا، وهو تمثيل حال أمر بحال أمر آخر، سواء ورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة، أم بطريق التشبيه، أم بطريق الكناية.

والمثل القرآني: لا يخضع لتعريف اللغويين أو الأدباء أو البلاغيين، وإنما هو أعم في مفهومه منها جميعاً، فأمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوي الذي هو الشبيه والنظير ولكنها صور مختلفة لمعاني تَرِدُ للعبرة والعظة، وتقريب ما يصعب على العقول فهمه.

والمثل القرآني: أسلوب بياني يجمع في طيَّاته نماذج حية مستمَدَّة من الواقع المشاهد، أو الأمور التي لا تقع تحت الحسِّ والإدراك في الدنيا، والتي يترتَّب عليها أحكام شمولية، ويُبْنَى عليها صلاح أمر الناس في الدنيا والآخرة(٢).

وترى الباحثة أن المثل القرآني اصطلاحاً: هو إبراز الأشياء المعقولة في صورة محسوسة تأنس بها النفس بضرب المثال فيتضح المقال ليتحقق المطلوب.

أهمية الأمثال:

لها أهمية بالغة في تأدية الرسالة وتبليغ الدعوة، وقد أكثر الله تعالى الأمثال في القرآن للتذكرة والعبرة، وضربها النبي ﷺ في حديثه، واستخدمها عيسى عليه السلام في تأدية رسالته فكان يسوق الأمثال لتلامذته، واستعان بها الداعون إلى الله ﷻ في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة، ويستعين بها المربون حيث أنها:

١- تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس، فيتقبله العقل.

٢- وتكشف عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر.

٣- وتجمع المعنى الرائع في عبارة موجزة.

---

(١) انظر: أبو العباس، المصباح المنير، ابن فارس، مقاييس اللغة (٢٩٦/٥).

(٢) انظر: محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن (ص: ٢٩٩، ٣٠٠)، الكفوي، الكليات (ص: ٨٥٢) مناع القطان، علوم القرآن (ص: ٩٢).

٤- وتضرب للترغيب في الممثَّل حيث يكون الممثَّل به مما ترغب فيه النفوس.

٥- وتضرب للتنكير حيث يكون الممثَّل به مما تكرهه النفوس.

٦- وتضرب لمدح الممثَّل.

٧- وهي أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع.

٨- تستخدمها وسائل التربية كوسائل للإيضاح والتشويق، في الترغيب أو التنفير، في المدح أو الذم[1].

١. للكافرين مثل السوء:

قال ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

إن الله ﷻ ضرب للناس الأمثال لإثبات الوحدانية له ﷻ، ودحض الشرك والأنداد من دونه ﷻ ودحض الكفر بأنعمه، وإقناع هذه العقول المتحجرة بها، إلا أن هؤلاء الكفرة الفجرة لا يصرون على الكفر فحسب بل ينسبون لله ﷻ ما لا يليق بجلال صفاته، من نسبة الولد إليه، ثم لم يكفهم هذا حتى نسبوا له أردأ القسمين وهو الإناث اللاتي يأنفون بأنفسهم عنها ويكرهونها فكيف ينسبونها لله تعالى؟! فبئس الحكم حكمهم، وبئس مثل السوء لهم، ولما كان هذا من أمثال السوء التي نسبها إليه أعداؤه المشركون أثبت ﷻ أن المثل الناقص والعيب التام للذين لا يؤمنون بالآخرة، والمثل الأعلى من الصفات العليا لله ﷻ وحده، فهو الأفضل والأطيب، والأحسن، والأجمل، وذلك التوحيد والإذعان له بأنه لا إله غيره، وله المثل الأعلى في قلوب أوليائه؛ وهو التعظيم والإجلال والمحبة والإنابة والمعرفة، فهو العزيز الذي قهر جميع الأشياء وانقادت له المخلوقات بأسرها، والحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها فلا يأمر ولا يفعل إلا ما يحمد عليه ويثنى على كماله فيه[2].

---

(1) انظر: الجدول في إعراب القرآن (٣٧٩/١٤) (٣٤٢/٢٠)، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن (ص: ٢٩٧- ٢٩٩)، نضرة النعيم (١٤١/١).

(2) انظر: الطبري، جامع البيان (٢٢٩/١٧)، السعدي، تيسير الكريم (ص: ٤٤٣)، الزحيلي، التفسير المنير (٨١/١٤).

٢. ليس كمثل الله شيء، فلا تضربوا له الأمثال:

قال ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ* فَلَا تَضْرِبُوا للهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٣-٧٤].

يخبر ﷻ عن جهل المشركين وظلمهم لأنهم عبدوا من دونه آلهة اتخذوها شركاء لله ﷻ، وبعد أن نسبوا له الأشياء التي تتنافى مع وحدانيته من الإناث، وكانت قسمة جائرة في حق الله ﷻ ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ [النَّجم:٢٢]، ضربوا له الأمثال التي لا تليق بجلاله، وعبدوا من دونه من لا يستطيعون شيئاً لو أرادوا، ولا يملكون رزقاً، لا في سماء ولا في أرض، وعجزهم قائم أبداً، فنهى رب العزة عن ضرب الأمثال له ﷻ، المتضمنة للتسوية بينه وبين خلقه، وهو وحده المالك الحقيقي للأرض والسماوات له الملك كله والحمد كله والقوة كلها، فلا تمثلوا له الأمثال، ولا تشبهوا له الأشباه، فإنه لا مثل ولا شبيه ولا ند له[١].

٣. ضرب المثل للمقابلة:

قال ﷻ: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَللهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النحل:٧٤- ٧٨].

وترى الباحثة: أن الله ﷻ بعد أن نهى فقراء العقول عن ضرب الأمثلة لله ﷻ التي لا تليق بجلاله ضرب ﷻ الأمثال ليتفكر ويتدبر فيها هؤلاء من باب المقابلة، فضرب ﷻ مثلين:

المثل الأول: عبد مملوك رقيق لا يملك نفسه ولا يملك من المال والدنيا شيئاً، والآخر حرٌّ غنيٌّ قد رزقه الله منه رزقاً حسناً من جميع أصناف المال وهو كريم محب للإحسان، فهو

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان(٢٥٩/١٧)، السعدي، تيسير الكريم (ص:٤٤٥).

ينفق منه سراً وجهراً، هل يستوي هذا وذاك؟! لا يستويان مع أنهما مخلوقان، غير محال استواؤهما.

فإذا كانا لا يستويان، فكيف يستوي المخلوقُ العبدُ الذي ليس له ملكٌ ولا قدرةٌ ولا استطاعةٌ، بل هو فقيرٌ من جميع الوجوه للرب الخالق المالك لجميع الممالك القادر على كل شيء؟!!

ولهذا حمد نفسه واختص بالحمد بأنواعه فقال ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فكأنه قيل: إذا كان الأمر كذلك فلم سوَّى المشركون آلهتهم بالله؟ قال ﷻ: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ فلو علموا حقيقة العلم حجم معصيتهم لما تجرؤوا على الشرك.

المثل الثاني: ﴿رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ لا يسمع ولا ينطق و﴿لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لا قليلٌ ولا كثيرٌ وهو عالةٌ على سيده يخدمه ولا يستطيع هو أن يخدم نفسه فهو ناقصٌ من كل وجهٍ، فهل يستوي هذا ومن كان يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، فأقواله عدل وأفعاله مستقيمة، فكما أنهما لا يستويان وهو غيرُ محالٍ استواؤهما، فكذلك لا يستوي من عبد من دون الله وهو لا يقدر على شيء من مصالحه، مع من لا كفءَ ولا ندَ له.

٤. **الموازنة والمحاكمة العقلية:** وبعد أن ضرب ﷻ هذه الأمثلة للناس، وضعهم في حال موازنةٍ ومقابلةٍ ومحاكمةٍ عقليةٍ بين الله الواحد الأحد المتفرد بالوحدانية، والقدرة المطلقة، وهو ﷻ المنفرد بغيب السماوات والأرض، فلا يعلم الخفايا والبواطن والأسرار إلا هو، ولا يعلم علم الساعة إلا هو حيث قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل:٧٧]، ولله ﷻ أيها الناس ملك ما غاب عن أبصاركم في السموات والأرض، ولا يملك ذلك أحد سواه، وما أمر قيام القيامة التي يحشر فيها الخلق للحساب، إلا كنظرة من البصر، فيقوم الناس من قبورهم إلى مكان بعثهم ونشورهم وتفوت الفرص لمن يريد الإمهال حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل:٧٧]، فلا يستغرب على قدرته الشاملة إحياؤه للموتى، وهو المنفرد بهذه القدرة، والمتفضل عليكم بها حيث قال ﷻ: ﴿أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل:٧٨]، وأنتم لا تقدرون على شيءٍ وهو خلقكم حيث قال ﷻ: ﴿جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨]، وقد خص هذه الأعضاء الثلاثة، لشرفها وفضلها ولأنها مفتاحٌ لكلِ علمٍ، فلا يصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأعضاء الثلاثة، وأنعم عليهم بغيرها من القوى الظاهرة والباطنة، وهو الذي ينميها فيهم شيئاً فشيئاً إلى أن يصل كلُ واحدٍ إلى الحالة اللائقة به، وذلك لأجل أن يشكروا الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨]، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعته، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجةً عليه، وقابل النعمة بأقبح المقابلة، حيث عبدوا من دونه من لا يخلق وهم يخلقون حيث قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل:٢٠]، فكيف لكم ذلك!، أفلا تتفكرون بعقولكم وتتدبرون(١)!.

٥. ضرب المثل للعبرة والعظة:

حيث قال ﷻ: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ وَهُمْ ظالِمُونَ﴾[النحل١١٢-١١٣].

وهذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنةً مطمئنةً لا يُعتدَى فيها على أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء، ويخضع لقوانينها الجميع، حتى أهل الحمية والعصبية، فحصل لها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها، وأنعم عليها بالرزق الواسع، فكانت بلدةٌ ليس فيها زرعٌ ولا شجر، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكانٍ، من البر والبحر.

فتوفير الأمن ولقمة العيش من أهم مقومات الحياة الكريمة، لذلك منَّ الله ﷻ على قريشٍ بهما وجعلهما سبباً لعبادته حيث قال ﷻ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش:٣،٤]، فجاءهم رسولٌ منهم يعرفون أمانته وصدقه، يدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور السيئة، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد، والجوع لا يلبس؟ ولكن لما ظهر عليهم الهزال وشحوب اللون، من شدة الجوع صار كاللباس، وقيل: إن القحط بلغ بهم إلى أن أكلوا

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (٢٦٤/١٧)، السعدي، تيسير الكريم (ص:٤٤٥).

الجلد والوبر مخلوطين بالدم والقراد، وحل بهم الخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل:٣٣]، وهذا هو عذاب الدنيا، فما بالك بعذاب الآخرة لمن كفر وفجر ورفض الإصلاح والتغيير(١).

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: ضرب المثل لإثبات وحدانية الله ﷻ، وإقناع هذه العقول المتحجرة به حيث قال ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

ثانياً: النهى عن ضرب الأمثال لرب العزة ﷻ، المتضمنة للتسوية بينه وبين خلقه حيث قال ﷻ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

ثالثاً: جواز ضرب المثل للمقابلة، لبيان أن الله ﷻ المتصف بصفات الكمال لا يقارن بالمخلوق العاجز المتصف بصفات النقص والعيب، حيث قال ﷻ: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧].

رابعاً: الموازنة والمحاكمة العقلية بين الله الواحد الأحد المتفرد بالوحدانية، المالك الحقيقي لكل شيء، وبين المملوك الذي لا يستوي مع عبد مثله، حيث قال ﷻ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤- ٧٨].

خامساً: ضرب المثل للعبرة والعظة، والرجوع إلى الله ﷻ قبل فوات الأوان حيث قال ﷻ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[النحل١١٢، ١١٣].

---

(١) انظر: القرطبي (١٩٤/١٠)، علي بن فَضَّال، النكت في القرآن(ص:٢٨٦)، السعدي، تيسير الكريم (ص:٤٥١)، دروزة محمد عزت، التفسير الحديث (١٩١/٥).

المبحث الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة النحل

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول : الأمر بالمعروف والنهي عن الفحشاء.

المطلب الثاني : الوفاء بالعهد و الحفاظ على الأيمان المنعقدة.

المطلب الثالث : التنفير من الكذب.

المبحث الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة النحل

المطلب الأول : الأمر بالمعروف والنهي عن الفحشاء

قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٩٠].

إن حاجة الناس إلى الشريعة فريضةٌ ضروريةٌ، وحاجةٌ بشريةٌ، تفوق حاجتهم إلى كل شيءٍ، حتى التنفس فضلاً عن الطعام والشراب، لأنه بفقدهم للطعام والشراب يموت البدن، وأما بفقدهم للشريعة يموت القلب وتفسد الروح، وشتان بين هلاك الروح وهلاك البدن، فخواء الروح أخطر على المرء من خواء المعدة، حيث يسود العالم قانون الغاب، فيجب على الناس معرفة تعاليم الشريعة، وما جاء به الرسول ﷺ، والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه، لتستقيم الحياة، وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة[١]، فهذه الشريعة قامت على تغيير العقيدة الفاسدة واستبدالها بالعقيدة الصحيحة، التي تصلح لكل زمان ومكان، والتي تقوم على تغيير الأخلاق الفاسدة، واستبدالها بالأخلاق الصالحة من خلال منهج الإصلاح والتغيير، وهذه الآية تكفي شرعةً ومنهاجاً لتطبيق تعاليم الإسلام، فإن الله ﷻ أمر بالعدل والإحسان، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وهذا الأمر والنهي يشمل جميع مجالات الحياة العقائدية والأخلاقية والدعوية والاجتماعية والسياسة[٢]، فعن عبد الله ابن مسعود ﷺ: يقول: (إن أجمع آية في القرآن للخير والشر في سورة النحل: حيث قال ﷻ: **﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[النحل:٩٠])[٣]، وهذه الآية كانت سبب إسلام عثمان بن مظعون ﷺ، فقد روي عنه أنه قال: أسلمت حياءً من رسول الله ﷺ، ولما نزلت هذه الآية دخل الإيمان قلبي، وكنت قد

---

(١) انظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة (٢/٢)، صادق أمين، الدعوة الإسلامية(ص:٥).

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(١٤/٢١٤، ٢١٥).

(٣) الحاكم، المستدرك على الصحيحين (٢/٣٨٨)، تفسير سورة النحل، ح (٣٣٥٨)، "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

قرأتها على علي بن أبي طالب ﷺ فتعجب فقال: يا آل غالب، اتبعوه تفلحوا، فوالله إن الله ﷻ أرسله ليأمركم بمكارم الأخلاق، ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية، لصدق عليه أنه تبيان لكل شيءٍ، وهدًى ورحمةً للمؤمنين، فهي أهلٌ للتغيير والإصلاح لمن أراد أن يغير من نفسه(¹).

أما العدل: فهو كل مفروض، من عقائد وشرائع تشمل أداء الأمانات، وترك الظلم، والإنصاف، وإعطاء الحق.

والعدل بين العبد وربه؛ يكون بإيثار حق الله ﷻ على حظ نفسه، وتقديم رضا الله ﷻ على هواه، وامتثال الأوامر واجتناب النواهي، وأما العدل بين العبد وبين نفسه؛ أن يمنعها مما فيه هلاكها، قال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى﴾ [النَّازعات:٤٠]، والترفع عن الطمع، ولزوم القناعة في كل حال ومآل، وأما العدل بين العبد وبين الخلق؛ فبذل النصيحة، وترك الفضيحة، والترفع عن الخيانة فيما قل وكثر، والإنصاف من نفسك لمن له حق عندك، وألا يصدر منك إساءة إلى أحد بقول ولا فعل، لا في سر ولا في علن، والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى، وأقل ذلك الإنصاف وترك الأذى والتنازل عن حقك، وهذا التفصيل في العدل حسنٌ وعدلٌ(²).

حكم العدل: الوجوب، لأن الله ﷻ عدلٌ ويأمر بالعدل بين عباده، فكلفهم بما يستطيعون(³).

أما الإحسان: فهو إتقان الأعمال والتطوع بالزائد عن الفرائض، ومقابلة الخير بأفضل منه، والشر بأقل منه، وأن تقوم بذلك كأن الله ﷻ يراك ومطلع عليك، فتتقي الله ﷻ بكل حركةٍ وكل سكنةٍ، فعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجلٌ يمشي،... قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال:

(¹) انظر: القرطبي، الجامع (١٠/١٦٥-١٦٧)، الزمخشري، الكشاف (٢/٦٢٩)، الزحيلي، التفسير المنير (١٤/٢١٢).

(²) انظر: القرطبي، الجامع (١٠/١٦٦).

(³) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (٦/٥٨).

(الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1]، والمقصود من الحديث إتقان العبادة ومراعاتها بأدائها، والحرص على صحتها،على الوجه الأكمل بكل دقة، ومراقبة الحق فيها، واستحضار عظمة الله ﷻ أثناء حالة الشروع وحالة الاستمرار[2].

حكم الإحسان: الندب، وقد أمر الله ﷻ بالعدل والإحسان؛ لأن الفرض لا بد أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب[3].

وأما إيتاء ذي القربى: فيعني إعطاء القرابة حقهم من الصلة والبر والإحسان، وإنما خص ذوي القربى لأن حقوقهم أوكد وصلتهم أوجب، ولتأكيد حق الرحم التي اشتق الله ﷻ اسمها من اسمه، وجعل صلتها من صلته، وعن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: (قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فهو لك)، قال رسول الله ﷺ: (فاقرءوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد:٢٢])[4]، إن القوم الذين يتولون عن كتاب الله ﷻ، سيسفكون الدم الحرام، ويقطّعون الأرحام، ويعصون الرحمن.

وأما الفحشاء: فهي ما جاوز حدود الله ﷻ؛ وهي كل قبيح قولاً أو فعلاً، ويشمل الزنا والسرقة وشرب المسكرات والطمع ونحو ذلك من المذموم، وقد نهى ﷻ عن الفحشاء.

وأما المنكر: فهو كل ما أنكره الشرع بالنهي عنه، واستقبحه العقل السليم، كالكفر وعقوق الوالدين والمعاصي، وهو يعم جميع المعاصي والرذائل والدناءات على اختلاف أنواعها، ومنها الضرب الشديد والقتل، ونحو ذلك.

وأما البغي: فهو ظلم الناس، والكبر والاستعلاء عليهم، والحقد والتعدي، وحقيقته تجاوز الحد، وهو داخل تحت المنكر، ولكن خصه بالذكر اهتماماً به لشدة ضرره، كما بدأ بالفحشاء

([1]) صحيح البخاري (١١٥/٦)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: [إن الله عنده علم الساعة] {لقمان: ٣٤}، ح (٤٧٧٧).

([2]) انظر: القرطبي، الجامع (١٦٧/١٠).

([3]) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (٥٨/٦).

([4]) صحيح البخاري (٥/٨)، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، ح (٥٩٨٧).

اهتماماً بها لما يترتب عليها من الفساد، لعل الناس تتدبر وتتعظ، فتغير كل ما فيها من فساد، وتصلح من شأنها، وتسعى لمرضاة ربها.

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي: الوجوب، فقد "اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم"(١).

وكما نرى فإن الله ﷻ أمر بالعدل وأتبعه بالإحسان، والإحسان يشمل العدل وزيادة، لأن العدل إيتاء كل ما هو فرض، والإحسان الزيادة على الفرض، ويترتب على العدل والإحسان زيادة الإيمان، وإشاعة الأمان والتنعم بالاطمئنان، والحفاظ على حقوق الإنسان، والقضاء على الظلم والطغيان، والقيام بهما قمة الأخلاق الحسنة حيث الاعتراف بفضل الله ﷻ علينا، بالديمومة على طاعته، والخضوع لعبوديته، ثم أمر بصلة الرحم، مع ذوي القربى، لما له من أثر إيجابي عظيم على النفس، يؤدي إلى التكافل الاجتماعي، وتوطيد العلاقة الحميمة بين الأهل، وإشاعة الألفة والمحبة بينهم، والقضاء على البغضاء والعداوة بين الأقارب حيث قال ﷻ: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الأعراف:٢٤]، وهذا من صميم الأخلاق الإسلامية الحفاظ على الأقارب وحمايتهم من ذل السؤال، وأيضاً يترتب على الصدقة والصلة مع ذوي القربى أجران أجر الصدقة وأجر صلة الرحم، ثم النهي عن كل ما هو فاحش ومنكر وبغي، وهذا هو خلق كل إنسان مسلم إشاعة الفضيلة بين الناس والحفاظ عليها، والبعد عن الرذيلة ومحاربتها حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ﴾ [النور:١٩]، وبهذه الأوامر والنواهي يكتمل الدين بإذن الله ﷻ، وتتحقق العظة، ويتذكر الإنسان ربه، فيسعد في الدنيا والآخرة، ويتحقق صلاحه بأمر الله ﷻ.

والأمر بالمعروف والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي أساس الدعوة إلى الله ﷻ، وهو من أعظم أصول الدين، ومن صفات الرسول الكريم ﷺ، حيث قال ﷻ: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وأمر عباده المؤمنين بذلك فقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ

(١) أبو محمد الأندلسي، الفصل في الملل (١٣٢/٤).

﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون باليد واللسان والقلب[١]، وقد جاء ذلك في حديث رسول الله ﷺ فيما رواه عنه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[٢].

حيث قال ﷻ: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:٩٠]، ويجب على كل مسلم اتباع هذا المنهج وفهمه، والعمل بما فيه من أوامر، واجتناب النواهي، فإنكم إذا تذكرتموه وعقلتموه عملتم بمقتضاه فسعدتم سعادة لا شقاوة معها، فكل ما في هذه الآية للعبرة والعظة لعل الناس يتذكرون[٣].

وترى الباحثة: أن الله ﷻ قد ختم هذه الآية بهذه الفاصلة حتى تكون هذه الآية بما تضمنته من شريعة هي منهج للتغيير والإصلاح الذي يجب على الأمة أن تتبعه في كل زمان ومكان، ولا تحيد عنه مهما كانت الضغوط حتى لو وصلت عنان السماء، فهذه هي دعوة الحق إلى الخلق، والحق منتصر بأمر الله ﷻ.

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: بيان أن منهج القرآن الكريم في الإصلاح والتغيير قائم على الأمر بالمعروف، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٩٠].

ثانياً: توطيد أواصر المحبة بين الأقارب، حيث قال ﷻ: ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾[النحل: ٩٠].

ثالثاً: الدعوة إلى التذكر والتفكر والتدبر، لأخذ العبرة والعظة، حيث قال ﷻ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٩٠].

---

(١) انظر: أبو الحسن علي، رسالة إلى أهل الثغر (ص: ١٦٨).

(٢) صحيح مسلم (٦٩/١)، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ح(٤٩).

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم (ص: ٤٤٧).

المطلب الثاني : الوفاء بالعهد والحفاظ على الأيمان المنعقدة

١. الوفاء بالعهد:

قال ﷻ: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ [النحل: ٩١].

٢. الحفاظ على الأيمان المنعقدة:

قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ ... مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[النحل:٩١-٩٢].

٣. نقض الأيمان هلاك:

قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل:٩٤].

٤. عهد الله ﷻ لا يقدر بثمن:

قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٩٥].

والعهد: اسم للجنس، يشمل جميع العهود، وهو كل ما يعاهد الناس به غيرهم، فعليهم الوفاء بما عقدوه على أنفسهم وعدم نقضه؛ من الاعتراف بربوبية الله ﷻ، وبالمواثيق بينهم وبين ربهم، وبينهم وبين العباد[١].

فالعهد نوعان:

١. عهد عام يشمل ما بينك وبين الله ﷻ، وعهد الله ﷻ: هو كل ما قام الدليل على صحته من الأدلة العقلية والسمعية، فعلى المكلفين الوفاء بجميع فروض الله ﷻ، وهي أوامره ونواهيه التي وصى بها عبيده، ويدخل فيه التزام جميع الفروض، وتجنب جميع المعاصي.

فقد أخذ الله ﷻ العهد على عباده جميعاً أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً لأنه ربهم وخالقهم حيث قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٢].

---

(١) انظر: القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري (١٠٨٠/١)

٢. وعهد خاص مع عباد الله ﷻ، ومنه العهود التي تقع بين الناس؛ بين الإنسان وبين أخيه المسلم، وبين المسلمين وبين الكفار، وغير ذلك من العهود المعروفة.

والعهد كما تراه الباحثة: وعد ويمين يوجبه المرء على نفسه ويلزمها بالوفاء به، سواء كان مع الله ﷻ أو مع العبد، لأنه جعل الله ﷻ عليه كفيلا.

وقد أمر الله ﷻ بالوفاء بالعهد فقال ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١]، يعني ولا تخلفوا العهد، وقال ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّف:٣]، والإنسان إذا عاهد ولم يف فقد قال ما لا يفعل، والله ﷻ يبغض الغادر الذي ينكث العهد، ويحب الموفين بالعهد إذا عاهدوا، والعهد مسئول أمام الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٤][١]، وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (قال الله ﷻ: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعط أجره)[٢].

والغادر الذي ينقض العهد ولا يوفي به ويخون من عاهده، ينصب له راية خلفه تشهيراً له بالغدر وفضحاً له على رؤوس الأشهاد، فينادى عليه يوم القيامة، هذه غدرة فلان بن فلان أي هذه الهيئة التي تليق به مجازاة غدرته[٣]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (إن الغادر يرفع له لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان بن فلان)[٤].

١. **الوفاء بالعهد:**

قال ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١].

إن الوفاء بالعهد والحفاظ على الأيمان المنعقدة من أهم منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة النحل، حيث إن أهل قريش كانوا ينكثون العهود والمواثيق التي عقدوها مع غيرهم وأكدوها بكفالة الله ﷻ لهم، إذا كانت العشيرة التي عقدوا معها العهد ضعيفة

([١]) انظر: الزحيلي، التفسير المنير(١٥٢/١٣)، الحجازي، التفسير الواضح (٣٧٢/٢)، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين (٤٤/٤، ٤٥)، محمد علي، دليل الفالحين (١٥٨/٥، ١٥٩).

([٢]) صحيح البخاري (٨٢/٣)، كتاب البيوع، باب إثم من باع حرا، ح (٢٢٢٧).

([٣]) انظر: العظيم آبادي، عون المعبود (٣٠٩/٧).

([٤]) صحيح البخاري (٤١/٨)، كتاب الأدب، باب ما يدعى الناس بآبائهم، ح (٦١٧٧).

ووجدوا أخرى أكثر منها في المال والعدد، فجاء القرآن الكريم ليحرم هذا الفعل ويقبح مرتكبه في الدنيا والآخرة، ويأمر بالوفاء بالعهد، والحفاظ على الأيمان المنعقدة.

والمأساة التي يعيشها العالم اليوم هي بسبب نقض العهود بعد إبرامها وتوكيدها، فتظلم شعوب وتنتهك حقوق، ويستبد القوي على الضعيف، إن كانت أمة أربى من أمة، فتنتزع الثقة، لذلك كان منهج القرآن الكريم له الصدارة في العالم بأسره في الدعوة إلى الحفاظ على الحقوق والعهود والأيمان المغلظة التي يوجبها المرء على نفسه، ولما أمر ﷻ بما هو واجب في أصل الشرع، أمر بوفاء ما أوجبه العبد على نفسه؛ وأكده بعهد الله ﷻ، وهذا يشمل جميع ما عاهد العبد عليه ربه من العبادات والنذور والأيمان المؤكدة، التي عقدها إذا كان الوفاء بها براً لا يترتب عليه مفسدة، ويشمل أيضاً ما تعاقد عليه هو وغيره كالعهود بين المتعاقدين، وكالوعد الذي يعده العبد لغيره ويؤكده على نفسه، فعليه الوفاء بجميع العهود وإتمامها مع القدرة، فإن الله ﷻ أمر بالوفاء بالعهود والوعود، وحرم نقضها، وعظم شروطها وبنودها، وحذر من اتخاذ الأيمان الداخلة في العهود والمواثيق وسيلة للخداع والمكر(1)، فالوفاء بالعهد فضيلة من الفضائل الإسلامية العليا، وخلف الوعد رذيلة من الرذائل، وصفة من صفات المنافقين (2)، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)(3).

سبب نزول الآية: عن مزيدة بن جابر رضي الله عنه(4) أن هذه الآية نزلت في بيعة النبي ﷺ، فقد كان من أسلم يبايع على الإسلام، فقال ﷻ: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ [النحل:٩١]، فنزلت الآية تحث على

---

(1) انظر: السعدي، تيسير الكريم (ص: ٤٤٨)، الزحيلي، التفسير المنير(١٤/٨١).

(2) انظر: الحجازي، التفسير الواضح (٢/٣٧٢).

(3) صحيح البخاري (١/١٦)، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ح(٣٤).

(4) العبدي الْعصْرِيّ، عداده فِي أعراب البصرة، كذا نسبه ابن منده وَأَبُو نعيم، وكان قاضي الخوارج في زمان قطري بن الفجاءة في زمن بني أميّة، انظر: ابن الأثير، أسد الغابة (٤/٣٧٤)، يوسف بن عبد الرحمن، تهذيب الكمال (٢٧/٤٢١) ابن حجر العسقلاني، الإصابة (٦/٦٩).

الوفاء بالعهود، وتحذر من الغدر ونقض الأيمان بعد توكيدها، وتحذرهم من أن تحملهم قلة محمد ﷺ وأصحابه، وفي المقابل كثرة المشركين على نقض البيعة التي بايعوها للنبي ﷺ على الإسلام، لأن الله ﷻ مطلع عليهم ويعلم أسرارهم(1).

٢. **الحفاظ على الأيمان المنعقدة:**

قال ﷻ: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل:٩١-٩٢].

يأمر الله ﷻ بالوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأَيمان المؤكدة بالقسم باسم الله ﷻ أو أحد صفاته، وينهى عباده عن نقضها، لأن الغادر يستوجب بذلك ما لا يحتمله من أليم عقابه، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَلا تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[النحل:٩١]، بعقدها على اسم الله ﷻ، وقد جعلتم أيها المتعاقدون الله عليكم كفيلا، وضامنا لكم، وقد رضي الطرف الآخر منكم بهذا اليمين المغلظ، فيكون نقضه ترك تعظيم الله ﷻ واستهانة به، فكما ائتمنك وأحسن ظنه فيك فلتف له بما قلته وأكدته، والله ﷻ يجازي كل عامل بعمله على حسب نيته ومقصده، لأنه المطلع عليكم، والله ﷻ يعلم ما تفعلون في العهود التي تعاهدون الله ﷻ على الوفاء بها، والأيمان التي تؤكدونها على أنفسكم، أتبرّون فيها أم تنقضونها وغير ذلك، وهو مسائلكم عنها وعما عملتم فيها، فيحذركم أن تلقوه وقد خالفتم فيها أمره ونهيه، وقد ضرب ﷻ لذلك أسوأ الأمثال وأقبحها وأدلها على سفه متعاطيها، بناقضة غزلها من بعد إبرامه وناكثته من بعد إحكامه، وهي امرأة حمقاء من مكة، كانت تغزل طول يومها، ثم تنقضه، ولم تستفد سوى الخيبة والعناء وسفاهة العقل ونقص الرأي، فكذلك من نقض ما عاهد عليه؛ فهو ظالم جاهل سفيه ناقص الدين والمروءة، وهذا تهديد لهم، فمن يفعل ذلك حاله كحالها، فلا تكونوا مثلها في اتخاذكم أيمانكم مكراً وخديعة، فيظهر المرء الوفاء بالعهد ويبطن النقض(2)، فلا تنبغي هذه الحالة منكم تعقدون الأيمان المؤكدة وتنتظرون فيها الفرص، فإذا كان العاقد لها ضعيفا غير

---

(1) السيوطي، الدر المنثور (٥/١٦١).

(2) انظر: الطبري، جامع البيان (١٧/٢٨٣).

قادر على الآخر لقوته، أتمها لا لتعظيم العقد واليمين واحترام المواثيق والعهود، بل لعجزه، وإن كان قويا يرى مصلحته الدنيوية في نكثها، نقضها غير مبال بعهد الله ويمينه، وكل ذلك تلبيةّ لهوى النفوس، وتقديماّ لها على مراد الله ﷻ منكم، وعلى المروءة والإنسانية، والأخلاق المرضية؛ لأجل أن تكون أمة أو دولة أو حزب أو طائفة أو عشيرة أو عائلة أكثر عدداّ وقوةً ومكانةً وأعلى شأناً من الأخرى، فهذا الفعل منقصة في حقكم(١).

٣. **الابتلاء سنة:**

قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[النحل: ٩٢].

إن من سنة الله ﷻ أن يبتلي الناس حتى يميز الخبيث من الطيب، والفاسد من المصلح، وهذا ابتلاء من الله ﷻ وامتحان يبتليكم به، فالوفاء بالعهد ابتلاء من الله ﷻ، لينظر من المطيع منكم، ومن العاصي، فيختبركم بكون أمة أربى من أمة في العدد والقوة والشرف، ليختبركم هل توفون بالعهود أم لا؟. حيث قيض أسباب المحن ليمتحن به الصادق الوفي، من الفاسق الشقي؛ الخارج عن حدود الله ﷻ، فمن جعل الله ﷻ كفيلاً له، عليه أن يُري الله ﷻ منه موقفاً حسناً، وأن يعظم كفالة الله ﷻ، ولا يستهين بها، ويثبت إيمانه بالله ﷻ وتعظيمه لكفالة الله ﷻ أمام من ائتمنه، ولا يجعل الدين يؤتى من قبله، فيخزى يوم القيامة بالعذاب العظيم، فهي الفيصل في تبيان الحقائق حيث قال ﷻ: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ٩٢]، فيجازي كلا بما عمل، ويخزي الغادر(٢).

٤. **نقض الأيمان هلاك:**

قال ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:٩٤].

نهى الله ﷻ عن الفساد بكل صوره، ومنها التلاعب في الأيمان والعهود التي أشهدوا الله ﷻ عليها، فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل: ٩٤]، أي لا تتخذوا عهودكم ومواثيقكم تبعا لأهوائكم متى شئتم وفيتم بها، ومتى شئتم نقضتموها، وكرر ذلك تأكيداً

---

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم (ص:٤٤٨).

(٢) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (٢٠/٢٦٥).

ومبالغةً في تقبيح المنهي عنه، وهو تصريح بالنهي عنه بعد التضمين، فإنكم إذا فعلتم ذلك تزل أقدامكم عن محجة الإسلام، بعد ثبوتها على الصراط المستقيم، وإنما وحد ونكر القدم للدلالة على أن زلل قدم واحدة عظيم، فما بالكم بزلل أقدام كثيرة؟، إن هذا العمل خطره عظيم على الإسلام، وبهذا تضيع الثقة بالمسلمين، لأن الكافر إذا رأى أن المؤمن قد عاهده ثم غدر به، لم يبق له ثقة بالدين، فيبتعد بسبب الغادر عن الدخول في الإسلام، لذلك عظم ﷻ العذاب على من فعل ذلك، فإذا ذل مسلم بعد استقامته فعليه في الآخرة العذاب المضاعف الذي يسوءكم ويحزنكم حيث ضللتم وأضللتم غيركم في الدنيا بصدودكم عن الوفاء بالعهد، لأنه يستن بكم[1].

٥. عهد الله ﷻ لا يقدر بثمن:

قال ﷻ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٩٥].

إنه تحذير تلو الآخر، فبعد أن حذرهم الله ﷻ من نقض العهود التي قطعوها على أنفسهم مع الآخرين وأكدوها بكفالة الله لهم، جاءت هذه الآية لتحذرهم من نقض أيمان مخصوصة، وهي نقض عهد رسول الله ﷺ على الإيمان به، واتباع شرائعه، طمعاً في خيرات الدنيا ومغرياتها، فلا تنقضوا عهد الله وبيعة رسوله من أجل عرضٍ يسيرٍ من الدنيا، وكيف تستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، وعهد الله ﷻ لا يقدر بثمن حيث قال ﷻ: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٦]، فما عندكم من أعراض الدنيا وأمتعتها يفنى وينقضي، وتبقى خزائن رحمته تدوم ولا تنفد، فيجازي بفضله ومنته الصابرين على الوفاء بالعهود، وأذى الكفار ومشاق التكاليف، بجزاء أحسن من أعمالهم، فقد كان رؤوس الكفر وما زالوا من أهل قريش وغيرهم ينفقون أموالهم في سبيل الصد عن دين الله ﷻ، ويعدون ضعاف المسلمين بوسائل الإغراء المتعددة لترك ما عاهدوا عليه رسول الله ﷺ لإحباطه والقضاء على

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(٤/٦٠٠)، انظر: السعدي، تيسير الكريم (ص:٤٤٨)، الزحيلي، التفسير المنير (١٤/٢١٣، ٢١٤).

دعوته، فماذا فعل المسلمون اليوم في المقابل من أجل الدعوة إلى دين محمد ﷺ ونصرته[1]، فعلى المسلمين أن يكونوا العلم والنبراس الذي يقتدى به في الوفاء بالعهود والمواثيق، وإتمام الأيمان، وإن ذلت قدم أحدهم فعليه أن يسارع في التوبة إلى الله ﷻ.

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: وجوب الوفاء بالعهد، حيث قال ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١].

ثانياً: الحفاظ على الأيمان المنعقدة، حيث قال ﷻ: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١].

ثالثاً: تمييز المؤمن الصادق من الكاذب الفاسق بالابتلاء، حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[النحل: ٩٢].

رابعاً: التحذير من نقض الأيمان فهي سبب للهلاك، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:٩٤].

خامساً: بيان أن عهد الله ﷻ لا يقدر بثمن، حيث قال ﷻ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٩٥].

المطلب الثالث : التنفير من الكذب

١. عاقبة المكذبين في الدنيا:

قال ﷻ: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

٢. الكافرون كاذبون:

قال ﷻ: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ [النحل:٣٩].

٣. كشف عورتهم وفضح خباياهم:

قال ﷻ: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ... أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[النحل: ٥٥ – ٥٩].

---

(1) انظر: فيصل بن عبد العزيز، تطريز رياض الصالحين (ص:٤٤١)، الزحيلي، التفسير المنير (١٤/٢١٣، ٢١٤).

٤. **للكافرين مثل السوء:**

قال ﷻ: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ ... ﴾[النحل:٦٠].

٥. **الله ﷻ يمهل ولا يهمل:**

قال ﷻ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ...﴾[النحل: ٦١].

٦. **ألسنتهم موصوفة بالكذب:**

قال ﷻ: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ...﴾ [النحل:٦٢] .

٧. **التحذير من الشيطان:**

قال ﷻ: ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ.. .﴾[النحل: ٦٣].

٨. **ندم بعد فوات الأوان:**

قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا ... وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [النحل:٨٦، ٨٧].

٩. **هم الكاذبون:**

قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل:١٠٥].

١٠. **عاقبة تكذيب الرسول:**

قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ...﴾ [النحل:١١٣].

١١. **لا يفلح الكاذبون:**

قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ...﴾ [النحل:١١٦] .

الكذب لغة: الكاف والذال والباء أصل صحيح يدل على خلاف الصدق[١].

الكذب اصطلاحاً: عدم مطابقة الخبر للواقع[٢].

وقيل: الكذب الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه في الواقع، مع السهو والعمد[٣].

---

(١) بن فارس، مقاييس اللغة (١٦٧/٥) بتصرف.

(٢) الجرجاني، التعريفات (ص: ١٨٣) بتصرف.

(٣) انظر: الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه (٧٧/٦)، الموسوعة الفقهية (٢٥٥/١١)، مصيقر، غذاء الألباب (١٤٢/١).

وقال الجمهور في الكذب: "هو من قبائح الذنوب، وفواحش العيوب"(١).

الفرق بين الكذب والافتراء:

الكذب: ١. قد يقع على سبيل الإفساد.

٢. وقد يكون على سبيل الإصلاح، كالكذب للإصلاح بين المتخاصمين.

أما الافتراء: فإن استعماله لا يكون إلا في الإفساد(٢)، حيث قال ﷻ: ﴿**تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ**﴾[النحل:٥٦]، وقال ﷻ: ﴿**وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ [النحل:٨٧]، وقال ﷻ: ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ**﴾ [النحل:١٠٥]، وقال ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ**﴾ [النحل:١١٦]، وقد ذم الله ﷻ الكذب كثيراً في هذه السورة.

وترى الباحثة أن الكذب: هو الكلام المفترى، المخالف للحقيقة والواقع، الملفق والمزين بالباطل، مع الإصرار عليه، بهدف تكذيب الحق وتصديق الباطل لإغواء الآخرين وخداعهم وإفسادهم.

* **حكم الكذب:** وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ كفر يخرج عن الملة، ولا ريب أن الكذب على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ في تحليل حرام، وتحريم حلال كفر محض(٣)، وقد توعدهم الله ﷻ بالقتل حيث قال ﷻ: ﴿**قُتِلَ الخَرَّاصُونَ**﴾ [الذاريات:١٠]، "أي الكاذبون"(٤)، وقال ﷻ: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ [غافر:٢٨]، وعن عبد الله ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب كذابا)(٥).

---

(١) محمد بن محمد، بريقة محمودية (١٦٩/٣).

(٢) الموسوعة الفقهية (٢٧٧/٥) بتصرف.

(٣) انظر: الذهبي، الكبائر (١/ ٧٠)، عدد من المختصين، نضرة النعيم (٥١٣/١).

(٤) الذهبي، الكبائر (١٢٥/١).

(٥) صحيح مسلم (٢٠١٢/٤) كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ح (٢٦٠٧).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)[1].

فالقول بالكذب هو افتراء على الله تعالى؛ ولذلك كان الكذب مجانبَ الإيمان، ولو أبيح الكذب لما استقرت القلوب على شيء عند سماع الأخبار، ولا اطمأنت لقول؛ لأنها لا تدرى أصدق المخبر أم كذب، فلما حرم الله تعالى الكذب بان الصدق، واستقرت القلوب على أخبار القائلين، وظهرت علامات للكاذب، فافتضح أمره، وانتهك ستره، وهانت كرامته، وذلت مروءته، فوقع الحذر من الكذب، واطمأنت القلوب لأخبار المخبرين[2].

من سنن الله عز وجل في المجتمعات البشرية إهلاك الظالمين المكذبين ولو بعد حين، والكذب آفة ورذيلة، حرمه الله تعالى على الناس جميعاً، ونفى النبي ﷺ عن المؤمنين صفة الكذب، وهو من أبرز صفات إبليس، لأنه يستخدمه لتنفيذ مخططه بكل سهولة، لإغواء بني آدم، وهو أول وسيلة استخدمها مع آدم عليه السلام حيث قال تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف:٢١]، وكان قسم إبليس كذباً محضاً، واستخدم هذا الأسلوب مع بني آدم في كل زمان ومكان، فمخططه لا ينجح إلا بالكذب[3]، حيث قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء:١٢٠]، وعلى أصحاب العقول المنتفعين بها ألا ينخدعوا بألاعيب الشيطان، وألا يمروا على هذه الآيات دون أخذ العبرة والعظة مما آل إليه حال المكذبين.

١. **عاقبة المكذبين في الدنيا:**

حيث قال تعالى: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

إنها رسالة تهديد لمشركي قريش الذين كذبوا الرسول ﷺ فيما أخبرهم بـه عـن الأمـم السابقة، فحلّ بهم العذاب بسبب كفرهم بالله تعالى، وتكذيبهم للرسل، فسيروا في الأرض يا كفار قريش، فانظروا إلى آثارهم في البلاد التي كانوا يعمرونها، وآثار سخطه النازل بهم، وكيف

(١) صحيح البخاري (١/١٦)، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ح (٣٤).

(٢) انظر: محمد بن علي، المنهيات (١/٩٤).

(٣) انظر: البلالي، البيان في مداخل الشيطان (١/٦٠).

كانت عاقبة تكذيبهم، فإنكم ترون حقيقة ذلك، وتعلمون صدق محمد ﷺ، فعليكم أخذ العبرة والعظة من مصير المكذبين[1].

وترى الباحثة: أن المنهج الإصلاحي ظهر جلياً من خلال التذكير بمصير الأمم السابقة لإصلاح العصاة وإصلاح من حولهم، وإقامة الحجة عليهم، ولكن هؤلاء الكفرة الذين أصروا على الكفر لا أمل من إصلاحهم أو تغيير معتقداتهم الفاسدة.

٢. **الكافرون كاذبون:**

حيث قال ﷻ: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ [النحل:٣٩].

أنكر كفار قريش البعث، وهذا ما حملهم على الاستمرار في كفرهم، وأكد ﷻ قدرته بأنه يبعث من يموت وعداً عليه حقاً، وأنهم كانوا كاذبين في ادعائهم، وسيعلمون ذلك علم اليقين عندما يبعثهم الله ﷻ من القبور[2].

وترى الباحثة: أن الكاذبين من كثرة كذبهم وإصرارهم عليه وتفانيهم في نصرته ينسون أنهم كاذبين، وأن هذا من اختلاقهم، وأنه عاري عن الحقيقة، فأصبح معتقد لديهم، فبين لهم ﷻ حقيقة كذبهم، وشاهدوا بأم أعينهم عاقبة سوء صنيعهم، وعلموا أنهم كانوا كاذبين.

٣. **كشف عورتهم وفضح خباياهم:**

حيث قال ﷻ: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[النحل: ٥٥ – ٥٩].

إن المشركين الذين كفروا بما أنزل على محمد ﷺ من أجل هدايتهم وإصلاحهم وتغيير عقيدتهم الفاسدة، متاعهم قليل كمتاع البهائم، وسيعلمون في الآخرة قيمة هذا المتاع، لأنهم أشركوا بالله وهم يعلمون أن الله ﷻ خلقهم، ويعلمون أنه يضرهم وينفعهم، ثم يجعلون للأوثان التي عبدوها مع الله ﷻ نصيباً مما رزقهم من الحرث والأنعام، ويسمون عليها أسماءها

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (٢٠١/١٧).

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان (٢٠٤/١٧)، القرطبي، الجامع (١٠٦/١٠).

ويذبحونها لها، وهم يعلمون أنها لا تضرّهم ولا تنفعهم، وهذا افتراء محض ليسألن عنه يوم القيامة[1]، ثم ينسبون لله ﷻ ما يكرهون من الأبناء ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[النحل: ٥٨ – ٥٩].

وترى الباحثة: أنها لجرأة على الله ﷻ لا تصدر إلا من غافل يحيى حياة البهائم، فلا يتزن في حكمه ولا في عبادته، فعندما حكم تجرأ على الله ﷻ، وعندما عبد، عبد من دون الله ﷻ، وعندما تقرب قدمها لغير الله ﷻ، فبئس العبد من دون عباد الله.

٤. للكافرين مثل السوء:

حيث قال ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[النحل:٦٠].

فهؤلاء الكافرون الذين لا يؤمنون بالآخرة الواصفون لله البنات لهم مثل السوء، لأن الجهل والكفر صفتان تميزوا بهما، فهؤلاء الذين جحدوا توحيد الله ﷻ لهم صفة السوء[2]، ولله ﷻ الوصف الأعلى من الإخلاص والتوحيد، لأنه الخالق والرازق والقادر، والمثل الأعلى صفة تليق بجلال الله ﷻ، لا شبيه له ولا نظير له تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، له الأسماء الحسنى والصفات العليا، وهو العزيز الحكيم[3].

٥. الله ﷻ يمهل ولا يهمل:

حيث قال ﷻ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[النحل: ٦١].

وترى الباحثة: أن من منهج الله ﷻ الإصلاحي مع العباد الإمهال، ولا يسرع لهم العذاب عسى أن يتوبوا إلى الله ﷻ، ولو عجل لهم العذاب لأهلكهم جميعاً بذنوبهم، ولكن من رحمته ﷻ تأخيرهم، وهذا يدل على ذنوبهم الكثيرة، ورحمته الواسعة.

---

(١) انظر: الطبري،جامع البيان (٢٢٧،٢٢٦/١٧).

(٢) انظر: القشيري، لطائف الإشارات (٣٠٤/٢).

(٣) انظر: القرطبي، الجامع (١١٩/١٠).

٦. **ألسنتهم موصوفة بالكذب:**

حيث قال ﷻ: ﴿**وَيَجْعَلُونَ للهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ**﴾ [النحل:٦٢] .

وقد وصل الإفراط في الكذب، وفي المعصية، وفي عدم الحياء إلى نسبة ما يكرهونه من البنات لله ﷻ، فزعموا أن الملائكة بنات الله، وجعلوا لأنفسهم الذكور من الأولاد، وهم يشتهون الذكور ويتمنونهم حيث قال ﷻ: ﴿**وَيَجْعَلُونَ للهِ البَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ**﴾ [النحل:٥٧]، ويكرهون الإناث من أولادهم، فإذا جاءت لأحدهم الأنثى اسود وجهه، وتوارى من القوم، يستحي ويستاء من الأنثى، فيئدونها بدون ذنب، ويعيرون بعضهم بها، وبعد كل هذا يقولون: لنا الذكور ولله البنات [1]!!.

إن الله ﷻ أخبر عن نفسيتهم القبيحة، فكشف عورتهم، وأظهر حقيقة افترائهم، فهم الذين عبدوا مع الله غيره من الأصنام والأوثان، وجعلوا لها نصيباً مما رزقهم الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿**وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ**﴾ [النحل:٥٦]، وقالوا: كما أخبر عنهم ﷻ: ﴿**هَذَا للهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ**﴾ [الأنعام:١٣٦]، فجعلوا لآلهتهم نصيباً مع الله ﷻ وفضلوهم أيضاً!!، فأقسم الله ﷻ باسمه الأعظم ليسألنهم عن هذا الكذب ﴿**تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ**﴾ [النحل:٥٦]، ليجازيهم في النار بالعذاب المفرط، كما أفرطوا في الكذب ﴿**لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ**﴾ [النحل:٦٢].

فقد أخبر ﷻ عنهم أنهم:

١. جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً.

٢. وجعلوها بنات الله .

٣. وعبدوها معه.

فأخطأوا خطأً كبيراً في كل مقام من هذه المقامات الثلاث، صنفوا الملائكة بالإناث، وهم لا يتصفون بالذكورة ولا بالأنوثة، ونسبوا إليه تعالى الولد، ولا ولد له! ثم أعطوه أخس

([1]) انظر: الطبري، جامع البيان (٢٣١/١٧) الزمخشري، الكشاف (٦١٤/٢).

القسمين من الأولاد وهو البنات، وهم لا يرضونها لأنفسهم، كما قال ﷻ: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ [النَّجم:٢١-٢٢]، فكانت قسمة جائرة حقاً، لأنهم كما أخبر عنهم ﷻ: ﴿يَجْعَلُونَ للهِ البَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل:٥٧]، والله ﷻ تعالى عن إفكهم علواً كبيراً(١)، حيث قال ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى البَنَاتِ عَلَى البَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصَّفات: ١٥١-١٥٤].

وترى الباحثة: أن هذا الكذب الخطير جرأة على الله ﷻ، وإمعان كبير فيه، لدرجة أن ألسنتهم أصبحت موصوفة فيه، معتادة عليه، ومتقنة له، فمثل هؤلاء يستحيل إصلاحهم، أو تغيير معتقداتهم الفاسدة، ولا يثنيهم عن كفرهم إلا العذاب الأليم يوم القيامة، وسيعرفون حينئذٍ أن الله حق.

٧. **ندم بعد فوات الأوان:**

حيث قال ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ القَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ * وَأَلْقَوْا إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [النحل:٨٦، ٨٧] .

وأتي يوم القيامة كما وعد الله ﷻ، واستسلم العابد والمشرك للمعبود، وأقروا لله بالوحدانية والربوبية، والبراءة من الشركاء والأنداد، وذلّوا واستسلموا لله جميعاً، وغاب وذهب عنهم افتراؤهم بنسبة الشركاء لله ﷻ، وأنها أنصارهم وشفعاؤهم، وحل بهم عذاب الله ﷻ، وباشروا نقمته(٢)، وعندما رأوا ما عبدوا من دونه ظنوا في ذلك فرجا؛ إذ يتحول جزء من العذاب الذي نزل بهم على آلهتهم التي عبدوها من دون الله ﷻ، فيخفف عنهم العذاب، ولكنهم كانوا بذلك ضالين في الآخرة، كما كانوا ضالين به في الدنيا، فقالوا للأنبياء عندما شاهدوهم: هؤلاء شركاؤنا الذين كنا نعبدهم من دون اللَّه، ونلجأ إليهم، فردوا عليهم بأنهم ليسوا شركاء في العذاب، وعليكم وحدكم وزر ما صنعتم وارتكبتم، وألقى الشركاء القول لمن عبدهم من دون الله ﷻ إنكم لكاذبون، والشركاء فيها أحجار وأشخاص، وملائكة، وشياطين، وكل هؤلاء

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٧٧/٤).

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (١٢٩١/٢).

ألقوا تبعة ادعاء غير الله ﷻ على المشركين؛ لأن أحدًا من هؤلاء الشركاء لم يدع إلى عبادته، فالأحجار لَا تنطق ولا تدعو، والأشخاص الذين عبدوهم كعيسى والملائكة يتبرأون منهم، والشيطان وإن أغواهم فهم الذين اتبعوه بمحض إرادتهم، وعليهم تبعة غوايتهم[١]، فعليهم العذاب وعليهم اللعنة من الله ﷻ، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ(...يجمع الله الناس، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت)[٢].

٨. **الكافرون هم الكاذبون:**

حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ﴾ [النحل:١٠٥].

إن رسول الله ﷺ منزه عن الكذب، وإنما من يختلق الكذب ويكذب فعلاً هو الكافر بآيات الله ﷻ، لأنه لا يرجو ثواب الله ولا يخاف عقابه، فلذا لا يمنعه شيء عن الكذب، أما المؤمن الذي يرجو ثواب الصدق ويخاف عقاب الكذب لا يكذب أبداً، وبهذا تعين أن النبي ﷺ لم يفتر الكذب، وإنما يفترى الكذب أولئك المكذبون بآيات الله ﷻ، وهم حقاً الكاذبون، فهذه أخلاقهم تستسيغ الكذب وترضاه[٣]، وتكذيب آيات الله ﷻ أعظم الكذب، وتكذيب وحدانية الله ﷻ لا يغتفر، والذين من عادتهم الكذب لا يبالون به في أي شيء كان، ولا تحجبهم عنه مروءة ولا دين، ولا ينفعهم تغيير ولا يفيدهم إصلاح[٤].

٩. **عاقبة تكذيب الرسول:**

قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل:١١٣].

إن الله ﷻ أرسل سيدنا محمداً ﷺ ليتمم رسالة إخوانه الأنبياء بتغيير ما فسد من عقائد الناس، وإصلاحها بالعقيدة الصحيحة، عقيدة التوحيد، وبذلك أصبحت النعمة تامة على أهل مكة، وقد تمثلت هذه النعمة في كَوْنها آمنةً مطمئنةً حيث قال ﷻ: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ بِمَا كَانُوا

---

(١) انظر: أبي زهرة، زهرة التفاسير (٤٢٤٣/٨، ٤٢٤٤).

(٢) صحيح البخاري (١١٨/٨)، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، ح(٦٥٧٣).

(٣) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (١٥٩/٣).

(٤) انظر: الزمخشري، الكشاف (٦٣٦/٢).

يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢]، وهذه نعمة مادية يحفظ الله بها القالب الإنساني، لكنهم ما يزالون في حاجة إلى ما يحفظ لهم دينهم وأخلاقهم، وهذه هي نعمة النعم، وقد امتنَّ الله ﷻ عليهم بذلك حينما أرسل فيهم رسولاً منهم حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل:١١٣]، فما فائدة النعم المادية في بلد مهزوزة القيم، مُنْحلة الأخلاق، تعبد الأوثان، فجاءهم رسول الله ﷺ من قريش أفضل العرب وأوسطها، ليُقوِّم ما اعوجّ من سلوكهم، ويُصلح ما فسد من قِيَمهِم ومبادئهم، فكذبوه، وكان المفترض فيهم أن يستقبلوه بما علموا عنه من صفات الخير والكمال، وبما اشتهر به بينهم من الصدق والأمانة، ولكنهم كما كفروا بالنعم المادية كفروا أيضاً بالنعم القيمية المتمثلة في رسول الله ﷺ(١)، فأخذهم العذاب في حال تلبسهم بالظلم(٢).

١٠. **الكاذبون لا يفلحون:**

حيث قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل:١١٦].

فيا من تتصف ألسنتكم بالكذب لا تحلوا ما حرم الله، ولا تحرموا ما أحل الله اتباعاً لأهوائكم، من غير حجة(٣)، واعلموا أن الله ﷻ لما حصر المحرمات في تلك الأربع بالغ في تأكيد ذلك الحصر، وكشف كذب الكفار في الزيادة على هذه الأربع، وفي النقصان عنها أخرى، فإنهم كانوا يحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وكانوا يقولون ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا، ومحرمٌ على أزواجنا، فزادوا في المحرمات، وزادوا في المحللات، وذلك لأنهم أحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ﷻ، فبين ﷻ أن المحرمات هي هذه الأربعة، وبين أن الأشياء التي يقولون إن هذا حلالٌ وهذا حرامٌ كذبٌ

(١) انظر: تفسير الشعراوي (١٣/٨٢٥٥، ٨٢٥٦).

(٢) الأبياري، الموسوعة القرآنية (١٠/٢١٣) بتصرف.

(٣) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (٧/٢٩٧).

وافتراءٌ على الله ﷻ، ما أنزل الله به من سلطان، ثم ذكر الوعيد الشديد على هذا الكذب، الذي لا يستند إلى أمرٍ رباني بل يتخرصونه ويختلقونه[1].

١١. عاقبة الكاذب:

حيث قال ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾[النحل: ١١٦].

وللكاذب شديد العقاب لما يتركه من أثرٍ سلبي في كل أمر يكذب فيه فهؤلاء ﴿ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ بالبقاء في الدنيا، فهم إلى زوالٍ، ومتاعهم فيها قليل حيث قال ﷻ: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:١١٧]، وهي إلى نهايةٍ لا محال[2].

وعلى هؤلاء الذين كفروا أن يعلموا جيداً أنهم كذبوا عندما ادعوا أن لله ﷻ شركاء، وكذبوا عندما اتهموا نبيه بالكذب، وكذبوا عندما أحلوا الحرام وحرموا الحلال، والكذب على الله ﷻ ورسوله ﷺ ليس كالكذب على غيرهما، لأنه كبيرة من الكبائر، فالكذب رذيلةٌ محضةٌ وخصلةٌ ذميمةٌ، وهو من أقبح الذّنوب وأفحش الصّفات والعيوب، يقلب الموازين، ويمسخ الحقائق، ويشوّه وجه الجمال في كلّ شيء يداخله، وينبيء عن تغلغل الفساد في نفس صاحبه، ويجرّ به إلى الفجور والنّفاق، لأنّه افتراء في الدّين، وتلاعب بشرائع الله لعباده، وتجرّؤ عظيم على الله ﷻ مصيره النّار[3].

وقد كثرت التنبيهات والتوجيهات في منهج القرآن الكريم للإصلاح والتغيير لالتزام الصدق في كل شيء، والتنفير من الكذب، فقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩] .

فالأمر يصل في أهميته إلى جعل الصدق أحد الصفات الأساسية للمسلم؛ لأن الإسلام في حقيقته يحرم الكذب، لأنه يتنافى مع الصدق، ومن افتراه انتفت عنه صفة الإيمان كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ﴾ [النحل:١٠٥] .

---

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (٢٨١/٢٠)، دروزة محمد عزت، التفسير الحديث (١٩٥/٥، ١٩٦).

(2) انظر: أبو محمد مكي، الهداية الى بلوغ النهاية (٤١٠٨/٦).

(3) انظر: عدد من المختصين، نضرة النعيم (٥٣٨٥/١١).

وإن كان هذا شأن المسلم على إطلاقه، فما بالك بالداعية الذي هو في أشد الحاجة إلى أن يُتَّبَعْ، وبغير الثقة في صدقه لا يكون هناك اتباع؟! ألا ترى إخوة سيدنا يوسف ﷺ حينما احتجز أخوهم "بنيامين" لجأوا إلى الصدق عندما ذهبوا إلى أبيهم قاصين عليه ما حدث، ومن أجل أن يثق في قولهم قالوا: حيث أخبر عن قولهم ﷻ: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [يوسف:٨٢]، بل إن رسل الله ﷻ إلى لوط ﷺ قالوا له: حيث أخبر عن قولهم ﷻ: ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الحجر:٦٤]، فتجدهم يظهرون صفة الصدق لمحدثهم على وجه التأكيد فيها؛ ليكون ذلك أدعى إلى السماع، وأسرع في الموافقة، ولا فرق كما هو مذكورٌ بين الملائكة والبشر؛ لأن الإقناع لا يتم إلا بالقول الصادق، ويستمر التصديق دائماً مع الحق والثبات، ومن يحتاج إلى الإقناع والثبات أكثر من الدعوة!، فيجب على الداعية أن يتحلى بالصدق، وهي صفةٌ ضروريةٌ، لينال الثقة فيه؛ ويترفع عن الكذب، لكي تصغي له الآذان، وتسمع العقول، وتفكر الأفئدة، وبعدها يكون قد أدى ما عليه[1].

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: التنفير من الكذب، وبيان عاقبة المكذبين، والتغيير بالصدق حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ﴾ [النحل:١٠٥]، وقال ﷻ: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ [النحل:٦٢] .

ثانياً: بيان حقيقة المكذبين وفضح أمرهم حيث قال ﷻ: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ [النحل:٣٩].

ثالثاً: بيان أن مصير الأمم التي كذبت الرسل كان الدمار والهلاك لأخذ العبرة والعظة حيث قال ﷻ: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦].

رابعاً: بيان عقاب الكذب على الله ﷻ، وعلى الرسول ﷺ، للتنفير منه حيث قال ﷻ: ﴿وَيَجْعَلُونَ للهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ [النحل:٦٢]، وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل:١١٣].

([1]) انظر: غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي (ص: ٥٨٥، ٥٨٦).

المبحث الثالث

منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة النحل.

ويشتمل على تسعة مطالب :

المطلب الأول : مدح العلم وأهله

المطلب الثاني : النية محلها القلب .

المطلب الثالث : التوبة .

المطلب الرابع : الجزاء من جنس العمل .

المطلب الخامس : الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

المطلب السادس : الجدل بالتي هي أحسن .

المطلب السابع : العدل في العقاب والعفو عند المقدرة .

المطلب الثامن : الصبر في الدعوة .

المطلب التاسع : معية الله ﷻ للمتقين .

المبحث الثالث

منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة النحل

المطلب الأول : مدح العلم وأهله

قال ﷻ: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

إن الله ﷻ جعل للعلم مكانة عظيمة، حيث أمر به وامتدحه وأهله في مواطن كثيرة، وبين أهمية العلماء من أهل القرآن في رفع الجهل عن الناس، لأن العلماء هم ورثة الأنبياء في الدعوة إلى دين الله ﷻ، ولأن أهل العلم هم الذين يخافون الله ﷻ، فيتبعون منهج الإصلاح والتغيير الذي تضمنه القرآن الكريم على علم وهدى حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]، فمن أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في الداعية هي العلم بكتاب الله ﷻ، وسنة نبيه محمد ﷺ، مع الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن حيث قال ﷻ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل، فإن الله ﷻ أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وتتضمن الآية تعديلاً لأهل العلم وتزكية لهم حيث جعلهم أهل القرآن وخاصته، وأمر بسؤالهم، وبذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ﷻ ائتمنهم على وحيه وتنزيله، فهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والتحلي بصفات الكمال، وأفضل أهل الذكر على الحقيقة هم أهل هذا القرآن العظيم، وهم أولى من غيرهم بهذا الاسم، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ [النحل:٤٤]، أي: القرآن الكريم الذي فيه منهج الإصلاح والتغيير لما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة حيث قال ﷻ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤]، وهذا شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه حيث قال ﷻ: ﴿وَلَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤]، فيه فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه[1]، لكي يهدوا الناس على علم وبصيرة أسوة بسيدنا محمد ﷺ حيث قال ﷻ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨]، فكان علاج الجاهل السؤال، وعندما كفر أهل مكة بسبب جهلهم أمرهم ﷻ بسؤال أهل العلم لإصلاح حالهم وتغيير معتقدهم الفاسد بما هو صحيح، لرفع الجهل عنهم، فلا يحلوا حراماً ولا يحرموا حلالاً، إنما يتبعون منهج الله ﷻ في الأمر والنهي حيث قال ﷻ: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ١١٤-١٢٤].

وترى الباحثة: أن العلماء هم الذين يعبدون الله ﷻ عبادةً صحيحةً بعيدةً عن الشرك، قائمةً على العلم بشرع الله ﷻ، خالصةً لوجه الله ﷻ ابتغاء مرضاته، فيحلون حلاله ويحرمون حرامه، ويأتمرون ويأمرون بأمره، وينتهون وينهون بنهيه، فهم همزة الوصل بين العباد وربهم، حيث إنهم يدعون إلى سبيل الله ﷻ بكل الوسائل والطرق المشروعة، بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتي هي أحسن، متحلين بالعلم، باذلين الغالي والنفيس في سبيل الله ﷻ، من أجل هداية الناس وإرشادهم إلى المنهج القويم.

([1]) انظر: السعدي، تيسير الكريم (ص: ٤٤١).

فأمر الناس بالتوجه إليهم للسؤال عن أمور دينهم إن كانوا لا يعلمون حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، وهي دعوة لمشركي قريش أن يسألوا أهل العلم من اليهود والنصارى عن بشرية الرسل، وعن رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل، ليعلموا أن الله ﷻ ما أرسل إلى قومك إلا كما أرسل إلى من قَبلهم من الأمم رجالاً بشراً من جنسهم وعلى منهاجهم[1]، فلا يعذر أحد بجهله إذا قصر عن سؤال أهل العلم.

وقد أمركم بالسؤال حيث وهبكم ﷻ الحواس التي تعينكم على ذلك، فأعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعقلون شيئاً ولا تعلمون، فرزقكم عقولا تفقهون بها، وتميزون بها الخير من الشرّ وبصَّركم بما لم تكونوا تبصرون، وجعل لكم السمع الذي تسمعون به الأصوات، فيفهم بعضكم من بعض ما تتحاورون به بينكم، والأبصار التي تبصرون بها الأشخاص فتتعارفون بها وتميزون بها، والقلوب التي تعرفون بها الأشياء فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها، فاشكروا الله ﷻ على ما أنعم به عليكم، ولا تجعلوا لله ﷻ شركاءً وأنداداً في الشكر، وهي لا فضل لها فيما أنعم به عليكم[2]، حيث قال ﷻ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

وترى الباحثة: أن الذين يعاندون ويستكبرون عن السؤال وأصروا على الكفر سوف يخزيهم الله يوم القيامة، ويشهد أهل العلم عليهم حيث قال ﷻ: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل:٢٧]، فأهل العلم هم أهل الطاعة والإيمان، وأهل الشرك هم أهل الجهل والخزي والعصيان، في الدنيا والآخرة.

والله ﷻ منَّ على الناس بأنه خلق لهم ما يتناسب مع كل عصر يعيشونه حيث قال ﷻ: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٨]، ولاشك أن الله ﷻ يعلم خفايا نفوسهم ونوايا قلوبهم ولا يحب

---

(1) انظر:الطبري، جامع البيان (٢٠٧/١٧)، جزء أبي الطاهر (ص:٤٢).

(2) انظر: الطبري، جامع البيان (٢٦٥/١٧).

من يتكبر منهم على السؤال فيبقى على جهله ترفعا عن السؤال حيث قال ﷻ: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[النحل: ٢٣]، والعلم صفة من صفات الله ﷻ، يفتح أسراره لمن شاء من عباده، والذين يصدون الناس عن الدين الحق بغير علم وبجهل منهم سيجازون العذاب مضاعفاً بسبب جهلهم والتغرير بالناس بغير علم حيث قال ﷻ: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[النحل: ٢٥]، وكان حرياً بهم أن يسألوا أهل العلم ولا يستكبرون حيث قال ﷻ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، والله عليم بفعل هؤلاء ولكنه يمهل ولا يهمل حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٢٨]، وأكثر الناس لا يعلمون حيث قال ﷻ: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣٨]، ولو علموا لحرصوا على أجر الآخرة حيث قال ﷻ: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١]، ولكنهم بجهلهم جعلوا لأصنامهم التي عبدوها من دون الله ﷻ نصيباً مقسوماً من الرزق الذي منَّ الله ﷻ به عليهم حيث قال ﷻ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦]، ونسوا أن الله ﷻ هو الذي خلقهم وهو الذي يميتهم وهو الذي يشيخهم وهو الذي يضعف ذاكرتهم حيث قال ﷻ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٠]، ومن صفات الكمال لله ﷻ أنه يعلم، ومن صفات النقص لهم أنهم لا يعلمون حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، وهو الذي أعطاكم الحواس التي تتعلمون من خلالها عساكم تشكرون الله ﷻ على هذه النعم حيث قال ﷻ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النحل:٧٨]، والله ﷻ بقدرته المطلقة يعلم جميع ما تفعلون حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[النحل: ٩١]، وهو الذي يعلم ما يصلح لكم من الأحكام فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء، وأكثركم لا يعلمون الحكمة من ذلك حيث قال ﷻ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[النحل: ١٠١].

وبعد كل ذلك تدعون أن هذا القرآن من كلام البشر، وأن الذي علمه رجل أعجمي ونسيتم أن هذا القرآن نزل بلسانٍ عربيٍ واضحٍ فصيحٍ بليغ حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[النحل: ١٠٣].

فمن كانت هذه صفاتهم من الجهل والعناد والتكبر لا يفيدهم تغييرٌ ولا ينفعهم إصلاحٌ، ولكن الله ﷻ يقيم عليهم الحجة.

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: إبراز المكانة الرفيعة للعلم، حيث أمر الله ﷻ به، وامتدحه وأهله في مواطنَ كثيرةٍ حيث قال ﷻ: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل:٢٧]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

ثانياً: وجوب سؤال الناس لأهل العلم عن كل أمور الدين التي يجهلونها من عقيدةٍ وتشريعاتٍ وعبادةٍ وحكم[١]، حيث لا يعذر أحد بجهله إذا قصر عن سؤال أهل العلم حيث قال ﷻ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

المطلب الثاني: النية محلها القلب

قال ﷻ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ...﴾ [النحل:١٠٦].

النية لغة: (نوى) النون والواو والحرف المعتل أصل صحيح يدل على معنيين: أحدهما مقصد لشيء، والآخر عجم شيء، والأمر ينويه، إذا قصد له[٢].

النية اصطلاحاً: عزم القلب وتوجهه وقصده إلى الشيء، كعقد القلب على فعل العبادة تقرباً إلى الله تعالى[٣].

---

(١) انظر: أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (١٢١/٣).

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة (٣٦٦/٥) بتصرف.

(٣) انظر: الزَّبيدي، تاج العروس (١٣٩/٤٠)،الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٢٨/٢٢).

وترى الباحثة أن النية اصطلاحاً: هي ما يقصده الإنسان في قلبه، عازماً على فعله، ولا يطَّلع عليه أحدٌ، أو يعرف حقيقته إلا الله ﷻ، سواء كان خيراً أو شراً، ولا يحاسب عليها إلا الله ﷻ، وما للناس إلا الظاهر.

محل النية: وقد اتفق العلماء على أن النية محلها القلب، وجعلوا ذلك شرطاً في قبول العمل أو رفضه، والحساب عليه، ولا يكفي للنية التلفظ باللسان[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[2]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)[3].

الله ﷻ يحاسب على النية:

قال ﷻ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِّ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِّ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَّ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [النحل:١٠٦-١٠٩].

وترى الباحثة: أن من عظم عدل الله ﷻ أنه حاسب الإنسان على نيته، وجعل أمر النية مخفياً، لا يطلع عليها إلا هو ﷻ، ولم يحاسب عليها إلا هو، وجعل للناس الظاهر حيث قال ﷻ ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:١٠٦].

وخلق للإنسان كل ما في الوجود ليتسنى له عبادته، فلا يبقى له حجة بعد ذلك، ولكن ضعاف الإيمان سيطر الشيطان عليهم وأصبح سلطانهم، فارتدوا إلى الكفر بعد الإيمان، حيث قال ﷻ: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِّ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:١٠٦].

---

(1) انظر: أحمد بن محمد، غمز عيون البصائر(١٦١/١)، القحطاني، مجموعة الفوائد البهية (ص: ٣٨).

(2) صحيح مسلم (١٩٨٧/٤)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله،ح (٢٥٦٤).

(3) صحيح البخاري (١٤٠/٨)، كتاب الأيمان والنذور، باب النية في الأيمان،ح (٦٦٨٩).

فما نفعهم تغيير ولا أفادهم إصلاح، والنص هنا يغلظ جريمة من كفر بالله من بعد إيمانه، لأنه عرف الإيمان وذاقه، ثم ارتد عنه إيثاراً للحياة الدنيا على الآخرة، فرماهم بغضبٍ من الله ﷻ، وبالعذاب العظيم، والحرمان من الهداية ووصمهم بالغفلة وانطماس القلوب والسمع والأبصار وحكم عليهم بأنهم في الآخرة هم الخاسرون، ذلك أن العقيدة لا يجوز أن تكون موضع مساومةٍ، وحساباً للربح والخسارة، ومتى آمن القلب بالله لا يجوز أن يدخل عليه مؤثرٌ من مؤثرات الغفلة والضلال، والعقيدة ليست هزلاً، ولا صفقةً قابلةً للأخذ والرد فهي أغلى من هذا وأعز.

واستثنى من ذلك الحكم الدامغ من أكره وقلبه مطمئنٌ بالإيمان،﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:١٠٦]، أي من أظهر الكفر بلسانه نجاة لروحه من الهلاك، وقلبه ثابتٌ على الإيمان مرتكنٌ إليه مطمئنٌ به، فأولئك لا يخدش إيمانهم، لأن الله ﷻ يحاسبهم على نواياهم، وقد روي أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر بأنه أعطى المشركين ما أرادوا بلسانه، فأخبر النبي ﷺ بأن عمارا كفر، فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي(1)، فعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه، قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ، وذكر آلهتهم بخيرٍ ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ قال: (ما وراءك؟) قال: شر يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير قال: (كيف تجد قلبك؟) قال: مطمئنٌ بالإيمان قال: (إن عادوا فعد)(2)، فكانت رخصةٌ في مثل هذه الحال.

وقد أبى بعض المسلمين أن يظهروا الكفر بلسانهم مؤثرين الموت على لفظه باللسان، ولقد لقي المسلمون الأوائل في مكة من الأذى ما لا يطيقه إلا من نوى الشهادة، وآثر الحياة الآخرة، ورضي بعذاب الدنيا عن العودة إلى ملة الكفر والضلال، كذلك صنعت سمية أم ياسر، وهي تطعن بالحربة في موضع العفة حتى تموت وكذلك صنع أبوه ياسر.

وقد كان بلال ﷺ يفعل المشركون به الأفاعيل حتى ليضعون الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر، ويأمرونه بالشرك بالله العظيم، فيأبى عليهم وهو يقول: أحد أحد،

---

(1) انظر: أبو الحسن الواحدي، أسباب النزول (ص: ٢٨١).

(2) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣٨٩/٢)، تفسير سورة النحل، ح(٣٣٦٢)، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، [التعليق – من تلخيص الذهبي] على شرط البخاري ومسلم.

ويقول: والله لو أعلم كلمةً هي أغيظ لكم منها لقلتها، وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري لما قال له مسيلمة الكذاب: أتشهد أن محمدا رسول الله فيقول: نعم. فيقول: أتشهد أني رسول الله؟ فيقول: لا أسمع! فلم يزل يقطعه عضواً عضواً، وهو ثابتٌ على ذلك(١).

والله ﷻ يخبر عن شناعة حال ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ [النحل:١٠٦]، فعمى بعد ما أبصر، ورجع إلى الضلال بعد ما اهتدى، وشرح صدره بالكفر راضياً به مطمئناً له، فعليه الغضب الشديد من الرب القادر الجبار المنتقم الذي إذا غضب لم يقم لغضبه شيء، وغضب عليه كل شيء، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:١٠٦]، في غاية الشدة دائماً أبداً بسبب كفرهم حيث قال ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾[النحل:١٠٧]، فارتدوا على أدبارهم طمعاً في شيءٍ من حطام الدنيا، ورغبة فيه وزهداً في خير الآخرة، فلما اختاروا الكفر على الإيمان منعهم الله ﷻ الهداية، فلم يهدهم لأن الكفر صفتهم، فطبع على قلوبهم فلا يدخلها خيرٌ، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا ينفذ منها ما ينفعهم ويصل إلى قلوبهم، فشملتهم الغفلة وأحاط بهم الخذلان، وحرموا رحمة الله ﷻ التي وسعت كل شيء، وذلك أنها أتتهم فردوها، وعرضت عليهم فلم يقبلوها، حيث قال ﷻ: ﴿لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [النحل:١٠٩]، فلاشك أن الذين خسروا أنفسهم وأموالهم وأهليهم يوم القيامة وفاتهم النعيم المقيم وحل بهم العذاب الأليم أنهم خسروا خسارةً أبدية.

وهذا بخلاف من أكره على الكفر وأجبر عليه، وقلبه مطمئن بالإيمان؛ راغب فيه فإنه لا حرج عليه ولا إثم، ويجوز له النطق بكلمة الكفر عند الإكراه عليها، فقد اتفق العلماء على أنه يجوز ذلك للمكره على الكفر، إبقاءً لمهجته(٢).

ونقيس على ذلك كل المعذبين في سبيل الله ﷻ في جميع بقاع الأرض لا سيما في سجون الاحتلال في الأراضي المحتلة في فلسطين.

---

(١) انظر: يوسف بن عبد الله، الاستيعاب (١٧٩/١، ١٨٢)، (٩١٣/٣)، جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (١٢/٥)، انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (٢١٩٦/٤)،السعدي، تيسير الكريم(ص:٤٥٠).

(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٦٠٥/٤، ٦٠٦)، السعدي، تيسير الكريم (ص: ٤٥٠).

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: استشعار رقابة الله ﷻ المطلع على نوايا الخلق حيث قال ﷻ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:١٠٦].

ثانياً: محل النية يحجم تحكم العباد برقاب العباد، لأنه لا يطلع على القلوب إلا خالقها، ولا يحاسب عليها إلا هو حيث قال ﷻ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:١٠٦].

ثالثاً: التماس العذر، ورفع الحرج والوزر عن المؤمنين إن فعلوه مكرهين حيث قال ﷻ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:١٠٦].

المطلب الثالث: التوبة

١. التوبة أساس الإصلاح والتغيير، والعمل الصالح دليل التوبة

حيث قال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:١١٩].

٢. الإصرار على المعصية ظلم للنفس:

حيث قال ﷻ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[النحل: ٣٣- ٣٤].

٣. عقاب المصرين على المعصية:

حيث قال ﷻ: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٥ – ٤٧].

التوبة لغة: أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة، وهو تائب، وتواب : من تاب يتوب، كثير التوبة والرجوع، إذا رجع من الذنب، والندم توبة[1].

التوبة اصطلاحاً: الرجوع من معصية الله ﷻ إلى طاعته، ورجلٌ تواب: تائبٌ إلى الله.

وقوله ﷻ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا﴾ [النور:٣١]؛ أي عودوا إلى طاعته وأنيبوا إليه، والله التواب: يتوب على عبده بفضله إذا تاب إليه من ذنبه، فرجع وندم على ما فرط منه[2].

وهي: "رجوعُ العبد إلى الله ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين"[3].

وترى الباحثة أن التوبة اصطلاحاً: أن يقلع المذنب عن الذنب الذي اقترفه، ويعقد النية ألا يعود إليه ثانية، مع الإخلاص والشعور بالندم، والخوف من الله ﷻ، والتذلل إليه، راجياً منه قبول التوبة، مقبلاً على صالح الأعمال، ابتغاء مرضاة الله ﷻ، لا رياءً ولا سمعةً.

حكم التوبة: "التوبة من المعصية واجبةٌ شرعاً على الفور باتفاق الفقهاء؛ لأنها من أصول الإسلام المهمة وقواعد الدين، وأول منازل السالكين"[4].

مراتب التوبة:

المرتبة الأولى: أعظمها وأوجبها التوبة من الكفر إلي الإيمان، حيث قال ﷻ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال:٣٨].

المرتبة الثانية: التوبة من كبائر الذنوب.

المرتبة الثالثة: التوبة من صغائر الذنوب.

شروط التوبة:

الشرط الأول: الإخلاص لله ﷻ، بأن يكون قصد الإنسان بتوبته وجه الله ﷻ، فالواجب علي المرء، أن يتوب إلي الله ﷻ من كل ذنب، لكي يتوب الله عليه، ويتجاوز عما فعل من المعصية، لا يقصد بذلك مراءاة الناس والتقرب إليهم، ولا يقصد بذلك دفع الأذية من

---

(1) انظر: تاج العروس (٢/٧٧).

(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب (١/٢٣٣)، الفيروز آبادى، القاموس المحيط (١/ ٦٢).

(3) أحمد فريد، تزكية النفوس (١/١١٦، ١١٧).

(4) الموسوعة الفقهية (١٤/١٢٥).

السلطات وولاة الأمر، وإنما يقصد بذلك وجه الله والدار الآخرة، وأن يكون كل همه أن يغفر الله ذنوبه.

الشرط الثاني: الندم على ما فعل من المعصية؛ لأن شعور الإنسان بالندم يدل علي صدق توبته؛ فيتحسر على ما سبق منه، وينكسر من أجله، ولا يري أنه في حل منه حتى يتوب منه إلي الله ﷻ.

الشرط الثالث: أن يقلع عن الذنب الذي اقترفه، ويعقد النية ألا يعود إليه ثانية، وهذا من أهم شروطه.

الشرط الرابع: أن يبرأ من حق صاحبها إن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي[١].

أهمية التوبة: إن الله ﷻ خلق آدم عليه السلام من أجل عبادته، ولكن آدم عليه السلام عصى ربه وأكل من الشجرة، إلا أنه تاب من الذنب حيث قال ﷻ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]، وهذه الكلمات تعلمها من ربه ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧]، وهكذا علم آدم عليه السلام أبناءه كيفية التوبة، حيث لم يسلم أحدٌ من أبناء آدم عليه السلام من المعصية سوى المعصومين من الأنبياء والمرسلين، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)[٢]، ولكن دواء الذنوب الاستغفار، بالتوبة والرجوع إلى الله ﷻ، والحمد لله غافر الذنب وقابل التوب، وفي الأثر أن الشيطان يقول "أهلكت بني آدم بالخطايا والذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار" فالاستغفار سبب للمغفرة [٣]، فمهما عظمت الذنوب هناك رب أعظم منها حيث قال ﷻ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمر:٥٣]، فلا يأس من رحمة الله طالما هناك توبة حيث قال ﷻ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:١١٠].

---

(١) انظر: النووي، رياض الصالحين (ص: ٣٤)،
محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين (١/٨٥، ٨٦).

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/٢٧٢)، كتاب التوبة والإنابة، ح (٧٦١٧) "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" [التعليق - من تلخيص الذهبي] علي بن مسعدة لين.

(٣) انظر: محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين (٦/٧١٢).

والتوبة وظيفة العمر فيجب على الإنسان أن يتبع كل معصية توبة، ويتبع كل تقصير توبة حتى يمحو الله العظيم عنه خطيئته، ويكفر عنه سيئاته، ويضمن بذلك إن شاء الله رحمته، ومن لم يلازم التوبة لازمه الذنب، ومن لازمه الذنب أهلكه وكان مصيره النار(1).

١. **التوبة أساس الإصلاح والتغيير والعمل الصالح دليل التوبة:**

حيث قال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[النحل:١١٩].

هذه بشارة من الله ﷻ لعظيم غفرانه، وواسع رحمته للذين ارتكبوا الذنوب والمعاصي، سواء ارتكبوها وهم يجهلون أنها سيئة، أو ارتكبوها وهم يعلمون بأنها سيئة ولكن غلبتهم الشهوة، أو ارتكبوها وأقبلوا عليها طمعاً منهم بمغفرة الله ﷻ، ووعداً منهم لأنفسهم بالتوبة، فأرادوا أن يغييروا ما بأنفسهم من فساد، حيث قال ﷻ: ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ [النحل:١١٩].

فكلمة (تابوا) تدل على التغيير، وكلمة (أصلحوا) تدل على الإصلاح، فأكدوا التوبة بالعمل الصالح، فلا يدل على حقيقة التوبة إلا العمل الصالح، لأن مجرد التوبة من الذنوب السالفة إذا لم تترجم بصالح العمل في المستقبل لا تعتبر توبة.

ولا يستحق المصر على الذنب المغفرة ولا الثواب(2)، لأن الله ﷻ غافر الذنب وقابل التوب للذين عصوه بجهلهم، وسفاهتهم، ثم رجعوا إلى طاعته وندموا على ما اقترفوا من الذنوب، فاستغفروا وتابوا، وأسفوا على كثير مما أسلفوا وفيه أسرفوا، ومحا صدق عبرتهم آثار عثرتهم، سيجدون أن الله ﷻ ينظر إليهم بالمغفرة والرحمة، فيتوب عليهم إذا أصلحوا، وينجّيهم إذا تضرّعوا فيعملوا بما يحبّ الله ويرضاه(3)، حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، **والمتطهر** الذي نقى نفسه من الشرك والكبر والخطيئة.

(1) انظر: سعود بن عبد العزيز، المباحث العقدية (١/ ١١٦، ١١٧).

(2) انظر: الماوردي، النكت والعيون (٢١٩/٣).

(3) انظر: الطبري، جامع البيان (٣١٦/١٧)، القشيري، لطائف الإشارات (٣٢٧/٢).

٢. **الإصرار على المعصية ظلم للنفس:**

حيث قال ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[النحل: ٣٣- ٣٤].

إنه إنذار من الله ﷻ لمشركي قريش الذين رفضوا التوبة والرجوع إلى الله ﷻ والإيمان بدعوة الرسول محمد ﷺ، ماذا ينتظرون حتى يصدقوا ما جاء به رسول الله ﷺ، ينتظرون أن تأتيهم الملائكة بالموت حين تتوفاهم، أو يأتي أمر ربك فيعاينون الأهوال يوم القيامة، فهؤلاء حالهم حال أسلافهم ونظرائهم وأشباههم من المشركين الذين من قبلهم، تمادوا في شركهم فأحاط بهم عذاب الله ﷻ، وما ظلمهم الله؛ لأنه ﷻ أعذر إليهم، وأقام حججه عليهم، بإرسال رسله وإنزال كتبه، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون عندما خالفوا الرسل، وكذبوا ما جاءوا به، وأصروا على المعصية، فلهذا أصابتهم عقوبة الله ﷻ على ذلك، لأنهم كانوا يسخرون من الرسل عندما توعدوهم بعقاب الله(1)؛ فلهذا يقول الله ﷻ يوم القيامة: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الطُّور:١٤].

٣. **عقاب المصرين على المعصية:**

حيث قال ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٥ – ٤٧].

يخبر الله ﷻ عن حلمه وإمهاله وإنظاره للعصاة الذين يعملون السيئات ويدعون إليها، ويمكرون بالناس في دعائهم إياهم وحملهم عليها، ويترفعون عن التوبة، مع قدرته ﷻ على أن ينزل بهم العذاب من حيث لا يعلمون مجيئه إليهم حيث قال ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل:٤٥]، وقوله ﷻ: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ ﴾ أي: في تقلبهم في المعايش واشتغالهم بها، في أسفارهم ونحوها من الأشغال الملهية.

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان (١٧/٢٠٠)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(٤/٥٦٩).

وقال الضحاك[1]: (في تقلبهم) في الليل والنهار، كما قال ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧- ٩٨]، وإنها لتدل على قدرة الله ﷻ عليهم فهم لا يعجزونه على أي حال كانوا عليه، سواء كانوا في حلهم أو ترحالهم، وفي ليلهم أو نهارهم.

وقوله ﷻ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ يدل على ضعف وعجز العصاة المصرين على الشرك، وشدة خوفهم، فحياتهم خوف وضنك حيث قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه:١٢٤]، فيأخذهم الله في حال خوفهم من أخذه لهم، فإنه يكون أبلغ وأشد حالة الأخذ؛ فإن حصول ما يتوقع مع الخوف شديد؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ يقول: إن شئت أخذته على أثر موت صاحبه وتخوفه بذلك[2].

ثم قال ﷻ: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٧]، حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (ليس أحد، أو: ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولدا، وإنه ليعافيهم ويرزقهم)[3]، وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢] [4]، وقال ﷻ: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [الحج:٤٨].

فهذا مصير من يصر على المعصية ويرفض التوبة، فلا يقبل تغيير ولا ينفعه إصلاح.

---

(١) ثابت بن الضحاك الأشهلي الأوسي، أبو زيد: صحابي، بايع تحت الشجرة، كان رديف النبي ﷺ يوم الخندق ودليله إلى حمراء الأسد، له ١٤ حديثا، انظر: بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب (٨/٢)، بن حجر العسقلاني، الإصابة (٥٠٧/١)، الزركلي، الأعلام (٩٨/٢).

(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٧٥/٤).

(٣) صحيح البخاري (٢٥/٨)، كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى، ح(٦٠٩٩)، وصحيح مسلم (٢١٦٠/٤)، باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل، ح(٢٨٠٤).

(٤) صحيح البخاري (٧٤/٦)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد} [هود: ١٠٢]،ح(٤٦٨٦)، وصحيح مسلم (١٩٩٤/٤)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ح(٢٥٨٣).

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: التوبة أساس الإصلاح والتغيير، والعمل الصالح دليل التوبة حيث قال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ٩١].

ثانياً: الإصرار على المعصية ظلم للنفس حيث قال ﷻ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[النحل: ٣٣- ٣٤].

ثالثاً: ردع المصرين على المعصية بالعقاب حيث قال ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٥ – ٤٧].

المطلب الرابع : الجزاء من جنس العمل

١. **جزاء ظن الكفار بربهم:**

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ... فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[النحل:٢٤-٢٩].

وقال ﷻ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ... مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [النحل:٣٣-٣٤].

٢. **هل يؤمن مكر الله ﷻ:**

قال ﷻ:﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا ... فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[النحل: ٤٥ – ٤٧].

٣. **جزاء الصد عن دين الله ﷻ:**

قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا...﴾ [النحل:٨٨] .

٤. **جزاء ظن المؤمنين بربهم:**

قال ﷻ: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ .بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النحل:٣٠-٣٢].

٥. **جزاء المهاجرين:**

قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ... وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[النحل: ٤١- ٤٢].

٦. **جزاء الصابرين:**

قال ﷻ: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ..﴾ [النحل:٩٦].

٧. جزاء الأعمال الصالحة:

قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ ...﴾ [النحل:٩٧].

إن منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة النحل جزاء الناس من جنس أعمالهم، حيث إن الله ﷻ العدل اسمه لم يظلم أحداً من الناس حيث قال ﷻ: ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[النحل: ١١١]، فهو يحاسب الناس على أعمالهم في الدنيا والآخرة، إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ حيث قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية:١٥]، وقد انقسم الناس بين مكذب ومصدق لدعوة سيدنا محمد ﷺ، فكان جزاء كل فريق من جنس عمله.

١. جزاء ظن الكفار بربهم:

حيث قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ * قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[النحل:٢٤-٢٩]، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [النحل:٣٣-٣٤].

إن الذين كفروا وكذبوا بما أنزل على محمد ﷺ كان موقفهم من القرآن الصد والتكذيب، فعندما سألهم الناس عن القرآن الكريم قالوا إنه أساطير الأولين، حيث قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل:٢٤]، وعندما سألوهم عن النبي محمد ﷺ الذي أنزل عليه القرآن قالوا كما أخبر عنهم ﷻ: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦]، وادعوا أن هذا القرآن الذي فاق قدرتهم البشرية علمه إياه أحدهم حيث قال ﷻ:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[النحل: ١٠٣]، فكذبوا على الناس ليصدوا عن دين الله ﷻ، فكان جزاؤهم أن كتب الله ﷻ عليهم العذاب مضاعفاً، بسبب ذنوبهم وذنوب من أطاعوهم حيث قال ﷻ: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[النحل: ٢٥]، وعن جرير بن عبد الله ﷺ[١] قال: ... فقال رسول الله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء)[٢]، لأنهم كانوا السبب في إضلالهم عن الحق، وصدهم عن سبيل الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ٩٤]، فهؤلاء لهم في الدنيا حياة مليئة بالشقاء والمكاره والمصائب حيث قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه:١٢٤]، وفي الآخرة عذاب عظيم في نار جهنم وسكنى دائمة أبدية للمتكبرين[٣]، حيث قال ﷻ: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[النحل: ٢٨-٢٩]، لأنهم رفضوا العقيدة الصحيحة، وبقوا على فساد معتقدهم مصرين عليه، تكبراً وجهلاً منهم بإقرار عقيدة فاسدة ودعوة الناس إليها، والصد عن العقيدة الصحيحة، وكل ذلك بغير علم حيث قال ﷻ: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٣٨]، وحال هؤلاء كحال من كان قبلهم؛ دبروا الحيل ونصبوا الحبائل ليمكروا برسل الله ﷻ، فأبطلها الله ﷻ وجعلها سبيلاً لهلاكهم حيث قال ﷻ: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ

([١]) ابن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عوف، الأمير، النبيل، الجميل، أبو عمرو جرير بن عبد الله (؟ – ٥١هـ)، وقيل: أبو عبد الله – البجلي، القسري، وقسر: من قحطان، من أعيان الصحابة، انظر: ابن قانع، معجم الصحابة (١٤٧/١، ١٤٨)، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (٥٣٠/٢)، الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٤٦/٦).

([٢]) صحيح مسلم (٢٠٥٩/٤)، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ح (١٠١٧).

([٣]) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(٦٠٠/٤).

مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل:٢٦]، فهم قوم بنوا بنياناً، فحصنوا أساسه ورفعوا بنيانه، فتضعضع أساسه، وسقط عليهم السقف، وانهار بنيانه، فهلكوا تحته من حيث لا يشعرون بسقوطه، فما ظنوه سبب القوّة والتحصين صار سبباً للهلاك، كذلك هؤلاء كانت عاقبة مكرهم وبالاً عليهم، حيث إنهم ظنوا أنه بصدهم عن دين الله ﷻ ستكون المنعة والرفعة لهم، ولكنهم خسروا الدنيا والآخرة، فأحبط الله ﷻ بقدرته أعمالهم وجعلها وبالاً ونقمةً عليهم، وآتاهم العذابَ فجأةً وهم لا يشعرون، فلا يجدون من ينصرهم من دون الله ﷻ، ويسألهم الله ﷻ على سبيل التهكم والاستهزاء والتبكيت والاحتقار لشأنهم فيقول لهم: أين الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي؟!، هلا تحضرونهم اليوم ليدفعوا عنكم العذاب؟، فقد كنتم تعبدونهم في الدنيا وتتولّونهم، والولي ينصر وليّه، ثم يسخر منهم أهل العلم من الأنبياء والمؤمنين ويقولون إن الذل والهوان والعذاب اليوم على الكافرين بالله وآياته ورسله، على سبيل التهكم والشماتة وزيادة الإهانة للكافرين حيث قال ﷻ: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[النحل:٢٧]، وتقبض ملائكة الموت أرواحهم وهم ظالمو أنفسهم ومعرّضوها للعذاب المخلّد بكفرهم حيث قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[النحل: ٢٨-٢٩]، وحالهم حينئذٍ الخضوع والمذلة، فاستسلموا وانقادوا حين عاينوا العذاب معترفين بوحدانية الله ﷻ، ولكن بعد فوات الأوان حيث لا ينفعهم هذا الاعتراف، ولا يرفع عنهم العذاب الأليم، وهم قد كذبوا على ربهم واعتصموا بالباطل طمعاً في النجاة، ولكن لا سبيل إليها، وجزاؤهم اليوم من جنس أعمالهم، طبقات من نار جهنم، خالدين فيها أبداً، وألوانٌ من العذاب، وبئس المقيل والمقام في دار الذل والهوان لمن كان متكبراً عن اتباع الرسل والاهتداء بالآيات التي أنزلت عليهم، وما أفظعها من دار، بما دنستم به عقيدتكم من الإشراك بربكم، واجتراحكم عظيم الموبقات والمعاصي(١)، حيث قال ﷻ:

(١) انظر: البغوي، معالم التنزيل (٧١/١٤).

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [النحل:٣٣-٣٤]، وما ظلمهم الله ﷻ بهذا العذاب الأليم المضاعف، ولكنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم، فجزاهم الله ﷻ من جنس أعمالهم من السيئات، فأحاط بهم عقاب استهزائهم، فهؤلاء الذين رفضوا الإصلاح بكل صوره، كما رفضوا التغيير للأفضل، مآلهم العذاب الأليم.

٢. **هل يؤمن مكر الله ﷻ:**

قال ﷻ: ﴿ **أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[النحل: ٤٥ – ٤٧].

إن الله ﷻ يجازي الناس من جنس أعمالهم، وهم لا يعجزونه، فكيف أمن الذين مكروا السيئات فأشركوا بالله ﷻ وكذبوا رسوله وقالوا عن القرآن أساطير الأولين، أن يخسف الله الأرض فتغور بهم، حتى يدخلوا فيها إلى الأرض السفلى أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون فلا يعلمون من أين أتاهم هلاكهم، أو يأخذهم في سفرهم، في ذهابهم، ومجيئهم في تجارتهم فما هم بمعجزين ولا فائتهم العذاب، أو يأخذهم على تخوفٍ فينتقص منهم فيموتون واحداً تلو الآخر، فيأخذ قريةً بالعذاب، ويترك أخرى قريبةً منها فيخوفها بمثل ذلك[1]،

وترى الباحثة: أن الختم بهذه الفاصلة بعد هذا الاستعراض المهيب لقدرته وعظمته وجبروته يذكرهم أن لهم رباً رحيماً حيث قال ﷻ: ﴿ **فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[النحل: ٤٧]، بهم رغم قدرته من ناحية، واستحقاقهم لغضبه وانتقامه من ناحية أخرى، إلا أن الله العظيم يعطيهم الفرصة تلو الأخرى للتوبة والرجوع، فبعد أن ذكرهم بنعمه عليهم التي لا يحصيها عدد، خوفهم بمصير من سبقهم في الكفر والتكذيب، لأخذ العبرة والعظة لعلهم يرشدون، فينتفعون ويتغيرون للأحسن ويصلحون من أنفسهم، فيتحقق مراد الله ﷻ من هدايتهم.

---

(١) انظر: السمرقندي، بحر العلوم (٢/٢٧٥).

٣. **جزاء الصد عن دين الله ﷻ:**

قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ العَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل:٨٨].

إن الله ﷻ أنزل القرآن وأرسل نبي الأنام محمداً ﷺ لإصلاح الناس وتغيير عقيدتهم الفاسدة وتغيير أخلاقهم البذيئة وإصلاحها بالأخلاق الفاضلة، ولكن كفار مكة جحدوا نبوة سيدنا محمد ﷺ، وكذبوه وصدوا عن دين الله ﷻ فزادهم ﷻ العذاب مضاعفاً يوم القيامة في جهنم بسبب إفسادهم في الأرض فكان جزاؤهم من جنس أعمالهم وبسببها[١].

٤. **جزاء ظن المؤمنين بربهم:**

قال ﷻ: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النحل:٣٠-٣٢].

أما الذين آمنوا وصدقوا بالقرآن، عندما سألهم الناس عن دعوة سيدنا محمد ﷺ قالوا خيراً حيث قال ﷻ: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ [النحل: ٣٠]، وظن المؤمنون بربهم الظن الحسن فآمنوا به، ودعوا إلى سبيله، ونصروا نبيه ﷺ، وضحوا في سبيل ذلك بأموالهم وأرواحهم، فجزاهم الله ﷻ الجزاء الحسن، في الدنيا والآخرة جناتٌ تليق بمقام الذين آمنوا بالله ﷻ، وعندما تتوفاهم الملائكة تأتيهم بالوجه الحسن، والسلام الطيب، تبشرهم بالجنة جزاء أعمالهم الصالحة في الحياة الدنيا.

٥. **جزاء المهاجرين:**

قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[النحل: ٤١- ٤٢].

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (١٧/٢٧٦).

إن الله ﷻ جزى المهاجرين خير الجزاء، فهم الذين تركوا أوطانهم وأهليهم وأموالهم في سبيل الله ﷻ من بعد ما ظلمهم مشركو قريش وحاولوا صدهم عن دين الله ﷻ بشتى الطرق، ففروا بدينهم إلى الله ﷻ ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات:٥٠]، وآثروا الهجرة في سبيل الله ﷻ على ثمانية؛ هي من أغلى وأحب الأشياء على قلب كل إنسانٍ ولكن هؤلاء المهاجرين فضلوا محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله والدعوة إلى دينه عليها ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]، فجزاهم الله ﷻ في الدنيا خير الجزاء من بعد ما نيل منهم في أنفسهم من الظلم والطرد والقتل والسجن والإبعاد ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]، فأعطاهم مسكنا يرضونه صالحاً، حيث هاجرت طائفةٌ إلى الحبشة، ثم أسكنهم الله ﷻ المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين، وجزاهم الله ﷻ على هجرتهم في سبيل نصرة دينه أكبر من ذلك في الآخرة، لأن ثوابه إياهم هنالك الجنة التي يدوم نعيمها ولا يبيد أبداً[1].

٦. جزاء الصابرين:

قال ﷻ: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[النحل:٩٦].

وترى الباحثة: أن الذين صدوا عن سبيل الله ونقضوا عهودهم مع رسول الله ﷺ ليشتروا به ثمناً قليلاً من عرض الحياة الدنيا، سوف ينفذ هذا الثمن وينتهي، ويبقى وزره عليهم دائماً لا ينتهي، أما ما أعده الله ﷻ من عظيم فضله لمن صبر وشكر باقٍ لا ينفذ ولا ينتهي، جزاءً لهم لما كانوا يعملون من الأعمال الصالحة.

([1]) انظر: الطبري، جامع البيان (٢٠٧/١٧)، البغوي، معالم التنزيل (٨٠/٣).

٧. **جزاء الأعمال الصالحة:**

قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

الإيمان شرط قبول الأعمال الصالحة، لأن الله ﷻ طيبٌ ولا يقبل إلا الطيب، فبين أنه لا يقبل عملا إلا بالإخلاص له، فمن عمل بطاعة الله ﷻ من ذكر أو أنثى من بني آدم وهو مؤمن، وأوفى بعهود الله إذا عاهد سوف يكرمه ربه بالحياة الطيبة، التي تشمل جميع وجوه الراحة من أي جهة كانت(١)، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، قال: "قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا، وقنعه الله بما آتاه" (٢).

وترى الباحثة: أن هؤلاء المؤمنون أهلٌ للتغيير والإصلاح، استجابوا لأمر ربهم، فانتهجوا طريق الإصلاح والتغيير، فعملوا الأعمال الصالحة، فجزاهم الله ﷻ أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون.

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: تحميل المفسدين في الأرض أوزار الذين يضلونهم مع أوزارهم حيث قال ﷻ: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

ثانياً: الجزاء من جنس العمل، فلا يحيق المكر السيئ إلا بأهله حيث قال ﷻ: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل:٢٦].

ثالثاً: مضاعفة الأجر للذين آمنوا وهاجروا وصبروا وعملوا صالحاً، حيث قال ﷻ: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]، وقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (٢٨٩، ٢٩٠)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٦٠١/٤).

(٢) صحيح مسلم (٧٣٠/٢)، كتاب الكسوف، باب في الكفاف والقناعة،ح(١٠٥٤).

﴿الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[النحل: ٤١- ٤٢]، وقال ﷻ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[النحل:٩٦]، وقال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

رابعاً: جزاء الله ﷻ للناس من جنس أعمالهم في الدنيا والآخرة؛ إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ حيث قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية:١٥]، فجزاء أهل الخير الإحسان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان حيث قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]، أما جزاء أهل الشر فالويل والثبور والخذلان، بسبب الكفر والصد والنكران حيث قال ﷻ: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [النحل:٣٤]، وقال ﷻ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل:٨٨] .

خامساً: تخويف وردع المفسدين بمصير أسلافهم الذين سبقوهم في الكفر والتكذيب، لأخذ العبرة والعظة لعلهم يرشدون حيث قال ﷻ: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[النحل: ٤٥ – ٤٧].

سادساً: مضاعفة العذاب لرؤوس الفساد، جزاء صدهم عن دين الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل:٨٨].

المطلب الخامس: الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة

قال ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥].

إن منهج القرآن الكريم بما يحتويه من إصلاحٍ وتغييرٍ قائمٍ على الدعوة إلى الله ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ثم بعد ذلك تَرْكَ أمرهم إلى الله ﷻ، فهو الذي يعلم من هو الضال عن الحق، ومن المهتدي.

الدعوة لغة: دعو: الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت الله أدعوه دعاء ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، والجمع دعاة وداعون، والنبي داعي الخلق إلى التوحيد، ودعاه إلى المذهب: حثه على اعتقاده وساقه إليه[1].

الدعوة إلى الله اصطلاحاً: الرغبة إلى الله والعبادة، وهي دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والعمل[2].

وترى الباحثة أن الدعوة إلى الله اصطلاحاً: هي دعوة الناس جميعاً إلى دين الله ﷻ، دين محمد ﷺ دين الإسلام وهو دين الحق، بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتي هي أحسن دون إكراه.

معنى الحكمة:

١. هي الفقه في دين الله فقد قال ﷻ: ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٩].

٢. وهي العقل، لقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩]، وقال النبي ﷺ: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)[3]، وقوله ﷺ يحمل على التفسير لقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرً﴾ [البقرة:٢٦٩].

فالحكمة هي العقل والعلم والفهم، لأن الفقه لا يكون إلا بالفهم، والفهم لا يكون إلا بالعقل[4].

٣. وهي الكتاب والسنة، بجانب اختيار القول المناسب في الوقت المناسب، والأسلوب المناسب بالقدر المناسب والتدرج المناسب، وهذا لا ينافي الشريعة مطلقاً، بل إن هذا أمرٌ مطلوب، وتدعو إليه الشريعة.

([1]) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (٢٧٩/٢)، أبو العباس، المصباح المنير (١٩٤/١).

([2]) انظر: الكفوي، الكليات (ص:٤٤٧)، نضرة النعيم (١٩٤٥/٥).

([3]) صحيح البخاري (٢٥/١)، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ح(٧١).

([4]) انظر: أبو الوليد، البيان والتحصيل (٤١٢/١٧، ٤١٣).

ومعنى الموعظة الحسنة: هي دعوة الناس إلى شريعة الله ﷻ بالمقالة المحكمة الصحيحة، والدليل المُوَضِّح للحق المزيل للشبهة، والموعظة الحسنة التي لا تخفى عليهم أنك تناصحهم بها، وتقصد ما ينفعهم فيها رحمةً بهم، وإسماعهم الكلام الصواب القريب الواقع في النفس أجمل موقع، بالعبر الجميلة التي جعلها الله ﷻ حجةً عليهم في كتابه، وتذكيرهم بآلائه.

وأن تخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها؛ بأن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى[١]، وهذه الآيةُ حجةٌ لترك الغِلظة والفظاظة عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستعمال اللين واللطف فيهما، لأنه أجدر أن يلين له قلب المدعو، وأحرى أن تصل الموعظة إليه[٢].

وهذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأَمْرِ النبي ﷺ أن يدعو إلى دين الله ﷻ وشرعه بتلطفٍ ولين دون مخاشنةٍ وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يدع المسلمون الناس إلى يوم القيامة، فهي محكمةٌ في جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخةٌ بالقتال في حق الكافرين، وقد قيل: إن من صلحت معه هذه المنهجية من الكفار، ورجي إيمانه بها دون قتالٍ فهي محكمةٌ في حقه[٣].

وعن أبي ليلى الأشعري رضي الله عنه[٤] أن رسول الله ﷺ قال:(... فإن الله إنما بعثني أدعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فمن خالفني في ذلك فهو من الهالكين وقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله، ومن ولي من أمركم شيئاً فعمل بغير ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)[٥].

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (٣٢١/١٧)، الزمخشري، الكشاف (٦٤٤/٢)، ابن عطية، المحرر الوجيز (٤٣٢/٣).

(٢) انظر: القصَّاب، النكت الدالة على البيان (١٠٥/٢).

(٣) انظر: أبو الحسن الواحدي، أسباب النزول (ص: ٢٨٣)، النحاس، الناسخ والمنسوخ (ص:٥٤٣)، القرطبي، الجامع (٢٠٠/١٠).

(٤) اسمه عامر بن لدين، له صحبة، ذكره الطّبرانيّ في الصحابة، انظر: ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني (٤٥٦/٤)، ابن حجر العسقلاني، الإصابة (٢٩٣/٧).

(٥) الطبراني، المعجم الكبير (٣٧٣/٢٢)، مسند من يعرف بالكنى، باب من يكنى أبا ليلى أبو ليلى الأشعري، ح (٩٣٥)، السيوطي، الدر المنثور (١٧٨/٥).

١. مظاهر الدعوة في سورة النحل:

قال ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥].

هذه الآية هي أكبرُ دليلٍ على منهجيات الإصلاح والتغيير التي قام بها القرآن الكريم، وقد نزلت بمكة في وقت أمر النبي ﷺ بمهادنة قريش، وأمر أن يدعو إلى دين الله ﷻ وشرعهِ بتلطفٍ ولينٍ ورحمةٍ، دون فظاظةٍ وتعنيف حيث قال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، فاستخدم معهم أسلوب الترغيب بالحكمة والموعظة الحسنة، حيث ابتدأت السورة بلفت أنظار منكري الوحدانية إلى إثباتها لله ﷻ، وتغيير العقيدة الفاسدة التي اتصف بها هذا المجتمع الجاهلي الذي وضع أصناماً في حجر الكعبة وقدموا لها القرابين، وعبدوها من دون الله حيث قال ﷻ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾[النحل:٥٦]، واستبدالها بالعقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد التي أثبتها الله ﷻ لنفسه، كما لفتت أنظارهم إلى قضية البعث والحشر والنشور، فبدأت بإثبات الحشر والبعث واقتراب الساعة ودنوها، وقد عبر عنها ﷻ بصيغة الماضي الدال على التحقق والوقوع قطعاً، فقال ﷻ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:١]، فهؤلاء أنكروا البعث كما أنكروا الوحدانية، لذلك جعل الله ﷻ الإيمان به مقترناً بالإيمان باليوم الآخر في أكثر من موضعٍ من السورة حيث قال ﷻ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٣٨]، وقال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل:٨٤]، ثم أثبتت الوحي الذي أنكره المشركون كما أنكروا البعث، وكانوا يستعجلون العذاب الذي هددهم به الرسول ﷺ.

كما عرض ﷻ آيات القدرة على خلق كل ما في هذا الوجود من سماواتٍ وأرضٍ وإنسانٍ وخلق الأنعام وما فيها من المنافع والنعم، وما في المراكب من التجمل والزينة، وتسخير

الشمس والقمر، وتثبيت الأرض والجبال، وهداية الكواكب في السفر والحضر، والنعم الزائدة عن العد والإحصاء، مما يدل على وجود الخالق لهذا الكون البديع بكل ما فيه(١).

وهكذا ينبغي أن يكون منهج الدعاة إلى الله ﷻ في وعظهم للمسلمين وغير المسلمين ممن يرجى إيمانهم إلى يوم القيامة؛ التحلي بالحكمة والموعظة الحسنة، واستخدام جميع الأدلة المتاحة التي تؤدي إلى تحقيق الهدف المنشود.

فالرسالة الإسلامية تمتاز بالشمول والاستمرارية والمرونة والخلود طول المدى، فيتوجب على المسلمين في كل زمانٍ ومكانٍ أن تكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة هي منهج كل داع إلى مبادئ الحق والخير، مبادئ الإصلاح والتغيير(٢).

والدعوة إلى الله ﷻ بالتي هي أحسن من أعظم وأرفع المراتب التي يصل إليها الداعية حيث قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصّلت:٣٣]، لكي يصل بعباد الله إلى عبادة الله ﷻ، فالله ﷻ خلق الإنسان من أجل عبادته، وهذا هو الهدف الأسمى الذي خلق الإنسان من أجله، حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، فأرسل ﷻ الأنبياء بالرسالات لكي تتحقق عبادة الله في الأرض، كما بين ﷻ منهج الدعوة إليه، فهذه الدعوة قائمةٌ على الوضوح والبيان، والحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن(٣)، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام قاموا بواجبهم بالدعوة على الوجه الأكمل، حتى بُعث النبي محمدٌ ﷺ، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، ودعا إلى الله على بصيرةٍ سرًّا وجهرًا حيث قال ﷻ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨]، فهذا منهجه ومسلكه وسنته، يدعو إلى الله ﷻ على بصيرةٍ ويقينٍ، وبرهانٍ عقليٍ وشرعي(٤).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤٥٧/٢) أبو حيان، البحر المحيط (٦١٢/٦).

(٢) انظر: دروزة، التفسير الحديث (٢٠٢/٥).

(٣) انظر: ابن باز، الدعوة إلى الله (٣٠/١)، أبو المجد سيد نوفل، أساليب الدعوة (١٢٧/٤٩).

(٤) انظر: صالح بن عبد الله، الحكمة في الدعوة (٨/١).

فأول داعية في هذه الآية كان سيدنا محمد ﷺ حيث أمر النبي ﷺ بالدعوة إلى سبيل الله وشرعه بتلطف ولين، بأن يسمع المدعو الكلام الصواب القريب الواقع من النفس أجمل موقع، بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادل الناس بالحسنى، ويفوض الأمر بعد ذلك إلى الله، فهو الذي يعلم من هو الضالّ عن سبيله ومن هو المهتدي.

وعلى الداعية في كل عصرٍ وزمنٍ أن يتبع هذا المنهج في دعوة الناس المسالمين إلى الله ﷻ، سواء كانوا من المسلمين الذين ضلوا الطريق، أو من غيرهم، مع الأخذ بالأسباب، وعلى الله ﷻ تحديد النتائج.

٢. **حكم الدعوة:** والدعوةُ فريضةٌ من فرائض الله المحكمة، التي تجب على كل مسلمٍ بالغٍ عاقلٍ، لأن بها يستمر الدين الإسلامي، ويعبد الله في الأرض على الوجه الذي شرع[١]، حيث قال ﷻ: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾ [آل عمران:١١٠].

فالدعوة واجب الجميع، وإن لم يستيقظ المسلمون من هذا السبات العميق، سوف يأتي الله ﷻ بمن يحمل أعباءها، وينشرها في مشارق الأرض ومغاربها حيث قال ﷻ: ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ [محمد:٣٨]، فالداعية أولى بالبذل، والتضحية والتحمل، وحمل أعباء الدعوة على عاتقه ليلاً ونهاراً، حتى يُظهر الله هذا الدين على يديه، أو على أيدي من بعده، المهم أن يشارك في وضع لبنة يقوم عليها بناء هذا الصرح العظيم.

والدعوة عامة ومجالاتها كثيرة، وسبيلها واحدٌ، وأساليبها متنوعةٌ، وطرقها متعددةٌ[٢].

٣. **أجر الداعية:** وإن مما يدفع المسلم إلى الدعوة الإسلامية؛ إيمانه بالله ﷻ الواحد الأحد، وحبه له، وطمعه بأن يحظى بمرضاته، وبالأجر والمثوبة منه في الدنيا والآخرة، وأن ينجو من النار، والدعوة من أكثر الأعمال أجراً، حيث إن أجر الداعية يستمر حتى بعد وفاته قال ﷺ: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله)[٣].

---

(١) انظر: عبد الله بن عبد المحسن، مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة (ص: ١٧).

(٢) انظر: السلطان، دليل الداعية (ص:١٤٣-١٤٨).

(٣) صحيح مسلم (١٥٠٦/٣)، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير، ح (١٨٩٣).

ويقول الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: (فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمر النَّعم)[1]، ومعلومٌ أن حُمر النَّعم هي الإبل، وهي أنفس وأغلى الأموال عند العرب.

٤. **الدعوة بالقدوة الحسنة:** وقد أمر جل جلاله أن يكون الداعية المثل الأعلى للمدعوين حيث قال تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ﴾ [هود:٨٨]، فشرط الأمر بالمعروف أن تكون القدوة فيما تأمر به، وتنهى عنه، كما فعل النبي ﷺ، ما أمر بأمرٍ إلا وكان السباق إليه، وما نهى عن فعل إلا وكان أبعد الناس منه، وهذا هو عين الدعاء بالحكمة، دعوة الناس إلى سبيل الله وطاعته، وزجرهم عن مخالفة أمره، بالقدوة الحسنة.

٥. **كيفية التعامل مع المدعوين:** الداعية الحكيم هو الذي يدرس واقع الناس، وأحوالهم، ومعتقداتهم، وينزلهم منازلهم، ثم يدعوهم على قدر عقولهم وأفهامهم، وطبائعهم وأخلاقهم، ومستواهم العلمي والاجتماعي، ويستخدم الوسائل التي تؤثر فيهم[2]، فعن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: (أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم)[3]، وقال علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس، بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله)[4]، ورسول الله ﷺ هو القدوة الأولى في هذا المجال.

*** وينقسم الناس في دعوتهم إلى ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: الدعاة، وهم العلماء أصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثاقبة الذين يطلبون معرفة الأشياء على حقيقتها، فهؤلاء المقصودون بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ [النحل:١٢٥]، يعني ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الأشياء بحقائقها، فينتفعوا وينفعوا الناس، وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم.

---

(١) صحيح البخاري (٤/٤٧)، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أربابا من دون الله، ح (٢٩٤٢).

(٢) انظر: صالح بن عبد الله، الحكمة (١/٣٣٥).

(٣) صحيح مسلم (١/٦)، مقدمة الإمام مسلم رحمه الله.

(٤) صحيح البخاري (١/٣٧)، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، ح (١٢٧).

القسم الثاني: هم أصحاب الفطرة السليمة، والخلقة الأصيلة وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حدّ الكمال، ولم ينزلوا إلى حضيض النقصان فهم القسم الوسط، وهم الذين نستخدم معهم ﴿الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥]، أي ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة.

القسم الثالث: هم أصحاب جدالٍ وخصامٍ ومعاندةٍ، وهم الذين نستخدم معهم الجدال حيث قال ﷻ: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥]، حتى ينقادوا إلى الحق ويرجعوا إليه، فأعرض عن أذاهم، ولا تقصر في تبليغ الرسالة لهم، ودعوتهم إلى الحق، فعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير: هذا منسوخ بآية السيف حيث نسخه الأمر بالقتال في سورة براءة(١).

٦. **إيمان الداعية بدعوته:** لدى الداعية اعتقادٌ جازمٌ أن الإسلام هو صمامُ الأمان في إنقاذ البشرية من كفرها وإباحيتها وانحرافها، وأنه هو الذي يخلص العالم الإسلامي مما يعانيه من تأخرٍ وانحطاط، وما يصيبه من ميوعةٍ وانحلالٍ، فالأمر يتطلب من كل داعية أن يدعو إلى الله ﷻ على بصيرة، وأن يعلي من شأن دعوته، وأن يهب من رقدته، وأن يضاعف من نشاطه، وأن يتحمل المسئولية، ليردوا هذا العالم الضائع، والبشرية المنكودة، والأمم التائهة والشعوب الإسلامية المتمزقة إلى نور الحق، وحقيقة التوحيد وآفاق المعرفة وهدي الإسلام، وأن يقولوا للدنيا، كما قال ربعي بن عامر ؓ (٢) من قبل لرستم: (ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام)(٣).

٧. **كن قوياً في دعوتك ولا ترضَ الدنية في دينك:** إن الدين الإسلامي هو دين الحق، الذي اختاره الله ﷻ للناس جميعاً، فعلى الداعية إليه أن يعي يقيناً أنه يدعو إلى الحق، ومن هذه القناعة يستمد قوته، فلا يرضى الدنية في دينه، ولا يرضى مواقف الذل في حياته، فلا

---

(١) انظر: النحاس، الناسخ والمنسوخ (ص: ٥٤٣)، الخازن، لباب التأويل (١٠٧/٣).

(٢) أدرك النبي ﷺ، وشهد فتح دمشق ثم خرج إلى القادسية مع هاشم بن عتبة وشهد فتوح خراسان، انظر: ابن حجر: الإصابة (٣٧٨/٢)، ابن عساكر، تاريخ دمشق (٤٩/١٨).

(٣) انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك (٥١٩/٣، ٥٢٠)، ابن كثير، البداية والنهاية (٤٦/٧، ٤٧).

يساوم على العقيدة، ولا يتنازل عن تشريعاتٍ كثيرةٍ، وأحكام عديدة من أحكام الدين باسم المرونة، أو التطور أوما شابه ذلك [1].

فالدعوة إلى الله ﷻ تحتاج إلى قوةٍ، والقوة عنصرٌ هامٌ ومن أهم الأسباب لإنجاح الدعوة بالحكمة والفهم، بكل جدٍ واجتهاد، والعمل بما أمر الله ﷻ، والكف عما نهى عنه، وهذا يحتاج إلى قوة قلب، لا قوة يد[2]، وقد امتدح ﷻ القوة في الدعوة في مواطن كثيرةٍ حيث قال ﷻ: ﴿ **خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[البقرة:٦٣]، و[الأعراف:١٧١]، وقال ﷻ: ﴿ **يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا** ﴾ [مريم:١٢]، وقال ﷻ: ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [الحجر:٩٤]، أي: اجهر بدعوتك ولا تبالي بأحد، وأعلن هذا الدين بكل قوة، وأما قوله ﷻ: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ** ﴾ [الأنفال:٦٠]، فحسب ما أوضح المفسرون فإن لفظ قوة عام يشمل قوة العقيدة والإيمان، وقوة الصف والتلاحم، وقوة السلاح والساعد، والقوة في هذه الآية تحتمل قوة الدعوة وقوة الرمي.

٨. **حصن الداعية:** وعلى الداعية أن يتحصن بالاستغفار لأنه سبب في زيادة القوة ﴿ **وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ** ﴾ [هود:٥٢]، والداعية الذي لا يتصف بالقوة يطمع به الأعداء ﴿ **قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ** ﴾ [هود:٨٠]، فهذا موقف نبي الله لوط عليه السلام أمام قومه عندما استضعفوه انتهكوا حرمة بيته، وحاولوا الاعتداء على ضيوفه، فاعتصر قلبه الحسرة والألم، وتمنى لو أنه كان قوي، أو لديه جُنْدٌ شديدٌ لقاتلهم، لما تجرءوا على ما فعلوا [3]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)[4].

---

(1) انظر: دروس للشيخ محمد المنجد (١٣/١١).

(2) انظر: الماوردي، النكت والعيون (٣/٣٦٠،٣٥٩)، القشيري، لطائف الإشارات (٢/٤٢٢)، الواحدي، الوسيط (٣/١٧٨).

(3) انظر: الطبري، جامع البيان (١٥/٤١٨)،(١٩/٤٥٣)، السعدي، تيسير الكريم (ص: ٤٣٥)، الصَّلاَّبي، تبصير المؤمنين (ص: ٢٤٨).

(4) صحيح مسلم (٤/٢٠٥٢)، كتاب البر والصلة والآداب، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ح (٢٦٦٤).

"لأن القوة هنا تشمل جوانبها المختلفة من القوة البدنية، والقوة الفكرية والعقلية، والقوة الدينية، والقوة العلمية، وهذه القوى تستلزم بالضرورة القوة في المال"[1].

٩. **أسلوب المداراة:** وإن استدعى الأمر اتباع أسلوب المداراة لموقفٍ يحتاج ذلك، فلدَّاعيةُ مندوحةٌ في هذا الأمر، ليصل إلى المقصود، بشرط أن يحفظ الداعية دينه وكرامته ومروءته.

فعن عائشة رضي الله عنها أنه "استأذن على النبي ﷺ رجل فقال: (ائذنوا له فبئس ابن العشيرة، أو بئس أخو العشيرة، فلما دخل ألان له الكلام، تقول عائشة رضي الله عنها: فقلت يا رسول الله: قلت ما قلت ثم ألنت له القول؟ فقال: أي عائشة رضي الله عنها، إن شر الناس منزلة عند الله من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه)[2].

فيجب على المصلحين من الدعاة والعلماء والمربين أن يفرقوا بين المداهنة والمداراة ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[القلم:٩]، فيخاطبون الناس في رقةٍ وأدبٍ وشجاعةٍ، دون مداهنةٍ وضعفٍ واستكانةٍ واستحياءٍ في غير موضعه.

١٠. **واجب الداعية النصيحة لا الفضيحة:** إن أسلوب الداعية في قمة الهرم من الأهمية، لإنجاح الدعوة وتحقيق الأهداف المنشودة، لذلك يجب على الداعية أن يكون حذراً عند الدعوة إلى سبيل الله ﷻ، فالنصيحة في الدعوة تحتاج إلى حنكةٍ في التعامل مع المدعوين، حتى لا تصبح فضيحة، فنجاح الدعوة قائم عليها، إن لم تكن هي الدعوة كلها، فهي مظهر من مظاهر الحكمة في الدعوة، فيجب على الداعية أن يكون همه الأكبر قبول الناس لدعوته، وأن يبتغي بذلك مرضاة الله ﷻ، وأن يحافظ على مشاعر المنصوح عندما يقدم له النصيحة، لئلا ينقلب النصح مخاصمةً وجدالاً وشراً ونزاعاً[3].

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: الإصلاح والتغيير بالحكمة والموعظة الحسنة.

---

(1) علي علي صبح، التصوير القرآني (ص:٢٥٠).

(2) صحيح البخاري (٣١/٨)، كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس،ح (٦١٣١).

(3) انظر: صالح بن عبد الله، مفهوم الحكمة في الدعوة (ص:٤٩).

ثانياً: تحلي الداعية بالعلم والحلم والحكمة والقوة.

ثالثاً: إنزال الناس قدر منازلهم، ومراعاة ظروفهم وأحوالهم.

رابعاً: مراعاة آداب الدعوة.

المطلب السادس : الجدل في الدعوة

١. **الجدل بالتي هي أحسن:**

قال ﷻ: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥].

٢. **إفحام الخصم المجادل بالباطل:**

قال ﷻ: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل:٤].

٣. **الجدل صفة ثابتة في الإنسان:**

قال ﷻ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ...﴾ [النحل:١١١].

٤. **إهمال المجادلين في الباطل وتهميشهم:**

قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ ...فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ١١٥- ١٢٤].

١. **الجدل بالتي هي أحسن:**

قال ﷻ: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥].

الجدل أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله ﷻ، ولكنه يحتاج إلى حنكة في التعامل، لأنه يستخدم مع شريحة معينة من الناس، وهم أصحابُ جدالٍ وخصامٍ ومعاندةٍ، فعلى الدعاة أن يجادلوهم بالتي هي أحسن حتى ينقادوا إلى الحق ويرجعون إليه[١].

معنى الجدل بالتي هي أحسن: قال عنه مجاهد ؓ أي "أعرض عن أذاهم إياك"[٢]، وجادلهم بالحجة الأقوى، والطريقة الأوضح، سواء كان المدعوون مسلمين أو كفاراً، ومثلها قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦]، وأهل الكتاب هم الكفرة

---

(١) انظر: الخازن ، لباب التأويل (١٠٧/٣)، أبو حيان، البحر المحيط (٦١٣/٦).

(٢) السيوطي، الدر المنثور (١٧٨/٥).

من اليهود والنصارى، فلا يجوز جدالهم إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم، فالظالم يعامل بما يستحقه(١).

ولأن الداعية في الجماعة المسلمة همَّه الأسمى هو تسيير الناس لهذا الدين، فعليه أن يستخدم كافة الوسائل المشروعة والمتاحة لتحقيق هدفه؛ والوصول إلى النتائج المرجوة. وعليه أن يتأسى بهذا المنهج في الدعوة إلى الله ﷻ.

وعليه أن يكون واسع الصدر وأن يتميز بالحنكة والحكمة والعلم الواسع المنظم، والقدرة على الإفحام والإقناع، والابتعاد عن التعصب الأعمى، والغضب الشديد عندما يجادل أهل الخصومة والعداوة، لأن التعصب والغضب يفقد الداعية السيطرة على أعصابه، وبالتالي يفقده الحلم والتأني، فلا يستطيع كبح جماح نفسه، ويضيع الجدل بالتي هي أحسن، ويحل مكانه التعصب والعداوة والبغضاء، ويضيع الهدف.

٢. **إفحام الخصم المجادل بالباطل:**

قال ﷻ: ﴿**خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾ [النحل:٤].

ووصل التكبر والتجبر بهذا الإنسان أن خاصم ربه حيث قال ﷻ: ﴿**خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾ [النحل:٤]، وأصبح خصماً ونداً للذي خلقه وهو أحقر من أن يخاصم ويجادل، وهو الذي خلق من نطفةٍ، فجعل الله ﷻ من الماء المهين خلقاً عجيباً، في ظلماتٍ ثلاث، ثم أخرجه إلى ضياء الدنيا بعد ما تمّ خلقه ونفخ فيه الروح، فغذاه ورزقه القوت ونماه، حتى إذا استوى على سوقه كفر بنعمة ربه وجحد مدبره وعبد من لا يضرّ ولا ينفع، وخاصم إلهه، فقال ﷻ: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾ [يس:٧٨]، فنسِي الذي خلقه فسوّاه خلقاً سوياً من ماء مهين، وخاصم بمنطقه، وجادل بلسانه، وجاء الرد عليه حيث قال ﷻ: ﴿**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾ [يس:٧٩](٢)، فمن كانت هذه صفاته، وجب له أسلوبٌ خاصٌ في الإقناع، وتغيير هذا الفكر الجائر، وإصلاحه بما ينفعه ولا يضره ويحقق مصالحه في الدنيا والآخرة، ولكن هناك أناسٌ طبع الله على قلوبهم بسبب

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٢٥٦/٢٤، ٢٥٧).

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان (١٦٧/١٧).

كفرهم، فلا يرتدعون إلى يوم القيامة حيث قال ﷻ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل:١١١].

٣. الجدل صفة ثابتة في الإنسان:

قال ﷻ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل:١١١].

الجدل صفة ثابتة في الإنسان إلى يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل:١١١]، فكل نفس تجادل عن نفسها سواء كانت مؤمنةً أو كافرةً، فهي تدافع وتخاصم عن نفسها، وتحتجّ عنها بما أسلفت في الدنيا من خيرٍ أو شرٍّ أو إيمانٍ أو كفرٍ، وتحاسب حسب عملها في الدنيا من طاعة ومعصية دون ظلم، وهم لا يفعل بهم إلا ما يستحقونه ويستوجبونه بما قدّموه من خيرٍ أو شرٍّ، فلا يجزى المحسن إلا بالإحسان ولا يجزى المسيء إلا بالذي أسلف من الإساءة، ولا يعاقب محسن ولا يبخس جزاء إحسانه، ولا يجازى مسيءٌ إلا جزاء عمله، ففي ذلك اليوم يفتقر العبد إلى حصول مثقال ذرةٍ من الخير[1]، فيبدأ بالجدال عن نفسه ليبرءها مما اقترفته في الحياة الدنيا.

٤. إهمال المجادلين بالباطل وتهميشهم:

قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ *

([1]) انظر: الطبري، جامع البيان (٣٠٨/١٧)، السعدي، تيسير الكريم (ص:٤٥٠).

إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ١١٥- ١٢٤].

ويتضح أن هناك صلة بين هذه الآية وبين سابقاتها، فموضوع التحليل والتحريم، بتشريعٍ ما هو حلالٌ وما هو حرامٌ، وإثبات وحدة الرسالات، وأن ملّة إبراهيم ﷺ هي ملّة الإسلام، وأنه يجب اتباعها، وحقيقة الأمر في يوم السبت، كل ذلك مما يكثر فيه الجدل، والناس في ذلك أقسامٌ، منهم صاحب القابلية الحسنة والقلب السليم، فهؤلاء لابدّ من أن يدركوا الحقّ ويهتدوا به، دون جدالٍ لا طائلَ منه، وأضدادهم لا يدركون لأنهم يتعمدون المكابرة والعناد والجدل بالباطل، وليس على النبي ﷺ من تبعتهم شيءٌ وليس عليه إلّا أن يدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإذا صار جدالٌ فينبغي أن يكون في نطاق الرفق واللين والحسنى[1]، فكفار قريشٍ تركوا ملة إبراهيم ﷺ، وهي الديانة التي كانوا يدينون بها في شبه جزيرة العرب، فتركوها وعبدوا الأصنام من دون الله ﷻ، وجادلوا سيدنا محمداً ﷺ في دينه وكذبوه وهو من نفس مشكاة إبراهيم ﷺ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠]، فقد كان إبراهيم ﷺ أمةً حيث آمن بالله ﷻ وحده فقام مقام الأمة، وكان معلّماً للخير، واجتمع فيه من الخصال المحمودة ما يكون في أمةٍ متفرقاً، وكان مستقيماً في الدّين، مائلاً إلى الحق بالكلية[2]، شاكراً لنعم الله ﷻ شاعراً بها، لإيمانه به واعتقاده أنه هو الذي خلقه، وهو الذي وفّقه لشكره، وهو الذي رزقه الشكر، وهو الذي اجتباه حتى كان بالكلية له ﷻ، فنال شرف العبودية لله ﷻ، ورقّاه ربه ﷻ إلى محلّ الأكابر، وآتاه في الدنيا حسنةً حيث اصطفاه للنبوة والرسالة، ومنحه المكانة العلية، فهو خليل الرحمن وأبو الأنبياء، وفي الآخرة نال مرتبة الصالحين، فهو ممن صلح أمره وعظم شأنه عند الله ﷻ، وحَسُنت منزلته وكرامته، فجعله لسان صدق، فليس من أهل دين إلا يتولاه ويرضاه، فاتبع يا محمد ﷺ ملة إبراهيم ﷺ الحنيفية المسلمة، لأنه كان بريئاً من الأوثان والأنداد التي يعبدها قومك، فرسالتكم من مشكاة واحدة وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ

(1) انظر: دروزة محمد عزت، التفسير الحديث (٢٠٢/٥).
(2) انظر: الثعلبي، الكشف والبيان(٥٠/٦)، القشيري، لطائف الإشارات (٣٢٧/٢).

الْمُشْرِكِينَ﴾[النحل:١٢٣]، فكان نبينا ﷺ في اتباعه لإبراهيم مؤتمراً بأمر الله ﷻ، وكانت ملة إبراهيم عليه السلام الإسلام وحُسن الخلق والسخاء والإيثار والوفاء، فاتبعه الرسول ﷺ وزاد عليه، فقد زاد على الكافة شأنه، وبانت مزيّته[1].

ولكن كفار قريش كان حالهم في التكبر والعناد والجدال العقيم بالباطل كحال من سبقهم في الكفر، فكذبوا نبي الله محمد ﷺ وهو على ملة إبراهيم عليه السلام التي ما تزال آثارها باقيةً في قريش. ثم جادلوا بالكذب في الحلال والحرام حيث قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:١١٦]، فالآية جدالٌ لهم، ونهيٌ عن الكذب، لأنهم حرموا البحائر والسوائب وأحلوا ما في بطون الأنعام وإن كان ميتةً، فلا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة من غير استناد ذلك الوصف إلى الوحي أو إلى القياس المستنبط منه، فهم يجادلون بالباطل، وألسنتهم موصوفة بالكذب حتى أصبحت عين الكذب، فكذبت ثم صدقت ما كذبت به، فلا تقولوا هذا حلال وهذا حرام، ولا تحرموا ولا تحلوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول في خواطركم، لا لأجل حجة وبينة، ولكن قول ساذج ودعوى بلا برهان، وجدالٌ بالباطل[2]، كحال بني يهود والنصارى، الذين جادلوا أنبياءهم فيما فرض عليهم من حلال وحرام فاتبعوا أهواءهم، وجادلوا في السبت حيث عبر عن حالهم ﷻ بقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل:١٢٤]، فقوم حرّموا العمل في السبت، وقوم أحلوه معصية منهم، وجدالاً بغير علم، وقيل: جعل الجمعة لهم فقالوا: لا نريد إلا يوم السبت ... فهذا اختلافهم فيه، والإشارة من ذلك أنهم حادوا عن موجب الأمر، ومالوا إلى جانب هواهم، ثم إنهم لم يرعوها حق رعايتها فصار سبب عصيانهم[3].

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان (٣١٩/١٧)، جمال الدين، زاد المسير (٥٩٢/٢).

(2) انظر: النسفي، مدارك التنزيل (٢٣٩/٢)، القرطبي، الجامع (١٩٦/١٠).

(3) انظر: القشيري، لطائف الإشارات(٣٢٨/٢).

فعن أبي هريرة، وعن ربعي بن حراش[1]، عن حذيفة ﷺ، قالوا: قال رسول الله ﷺ: (أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة، والسبت، والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق)[2].

ففرض الله ﷻ تعظيم يوم السبت على الذين اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو أعظم الأيام، لأن الله ﷻ فرغ من خلق الأشياء يوم الجمعة، ثم سَبَتَ يوم السبت، وقال آخرون: بل أعظم الأيام يوم الأحد، لأنه اليوم الذي ابتدأ فيه خلق الأشياء، فاختاروه وتركوا تعظيم يوم الجمعة الذي فَرَض الله ﷻ عليهم تعظيمه واستحلوه، فهم أرادوا الجمعة فأخطأوا، فأخذوا السبت مكانه، واستحله بعضهم، وحرّمه بعضهم، فوقعوا في الجدال بالباطل وحادوا عن الحق، وانكبوا على المعاصي، فمثل هؤلاء لايجدي معهم تغيير ولا ينفعهم إصلاح[3].

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: وجوب اتباع منهج المجادلة بالرفق واللين من غير فظاظةٍ ولا تعنيفٍ في الدعوة إلى الله ﷻ ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥].

ثانياً: إفحام الخصم المجادل بالباطل، والرد عليه بالأدلة والبراهين المقنعة حيث قال ﷻ: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل:٤]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٩].

ثالثاً: بيان أن الجدل صفةٌ ثابتةٌ في الإنسان إلى يوم القيامة حيث قال ﷻ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل:١١١].

---

(1) ربعيّ بن حراش بن جحش بن عمرو العبسيّ، أبو مريم: تابعيّ مشهور، من أهل الكوفة، ثقة في الحديث، كان أعور، يقال إنه لم يكذب قطّ، انظر: الأصبهاني، حلية الأولياء (٣٦٧/٤)، الزركلي، الأعلام (١٤/٣).

(2) صحيح مسلم (٥٨٦/٢)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، ح (٨٥٦).

(3) انظر: الطبري، جامع البيان(٣١٩/١٧، ٣٢٠).

رابعاً: إثبات أن الذين يجادلون في الباطل يحيدون عن الحق، ويتبعون أهواءهم في التحليل والتحريم حيث قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل:١١٦]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل:١٢٤].

خامساً: إهمال المجادلين في الباطل وتهميشهم، إن أصروا عليه، وتعزيز الحق والدفاع عنه حيث قال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[النحل:١٢٣].

المطلب السابع: العدل في العقاب والعفو عند المقدرة

قال ﷻ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦].

أَمْرُ الله ﷻ بالعدل في العقاب يدل على مدى رحمته بعباده، وإعطائهم الفرص العديدة للتغيير والإصلاح، فبالرغم من بقاء هؤلاء الكفرة على العقيدة الفاسدة ومحاربتهم لأهل الإيمان، والتمثيل بهم، إلا أن الله ﷻ أمر النبي ﷺ كما أمر المؤمنين أن يعدلوا في العقاب إن مكنهم من رقاب الأعداء، وأن يعاقبوا بالمثل من ظلمهم واعتدى عليهم، ولئن عفوا عن عقوبتهم وصبروا واحتسبوا أجرهم على الله ﷻ حتى يكون هو الوكيل، لكان ذلك خيراً احتساباً لأهل الصبر، لأن الله ﷻ يعوّضهم بدل الانتقام ممن ظلمهم خيراً كثيراً، وعقوبة الجاني بمثل ما عوقب به عدل، والعفو عن المعاقبة بالمثل كما حدث بقتلى أُحد من باب التقوى[1]، فعلى الدعاة في الجماعة المسلمة أن يلتزموا بهذه المنهجية في حال تمكنهم من الأعداء، بهدف نشر تعاليم الإسلام، وبيان سماحته، فيعقد الناس مقارنة بين منهج الدين الإسلامي وبين القوانين الوضعية.

سبب النزول: أجمع جمهور أهل التفسير أن هذه الآية مدنية، نزلت في شأن التمثيل بحمزة في يوم أحد، أنَّ رسول الله ﷺ وأصحابه أقسموا أن يمثلوا بالمُشركين لما فعلوه بقتلى المسلمين وبحمزة ؓ من التمثيل بهم يوم أُحد، فلما رآه النبي ﷺ جزع عليه جزعاً شديداً فأمر به فغطي ببردة كانت عليه، فمدها على وجهه ورأسه وجعل على رجليه إذ خر وصلى

---

(1) انظر: العثيمين، شرح العقيدة الواسطية (ص: ٤١٤)، الماوردي، النكت والعيون (٣/٢٢١).

عليه، ثم قال رسول الله ﷺ: (لأمثلن بثلاثين من قريش)[1]، فأراد النبي ﷺ أن يجاوزوا فعلهم في المُثْلة بهم إن رزقوا الظفر عليهم يوماً، فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية وأمرهم أن يقتصروا في التمثيل بهم إن هم ظفروا على مثل الذي كان منهم، ثم أمرهم بعد ذلك بترك التمثيل، وإيثار الصبر عنه بقوله ﷻ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ﴾ [النحل:١٢٧]، فنسخ بذلك عندهم الإذن بالتمثيل، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل:١٢٦، ١٢٧]، فصبر رسول الله ﷺ وترك ذلك ولم يمثل، ثم أمره بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، واقتصر العقاب على المثل دون تجاوز ذلك[2] ثم نسخ الصَّبر بآية السيف[3].

العفو عند المقدرة: قال ﷻ: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل:١٢٦، ١٢٧].

العفو عند المقدرة شيمةٌ من شيم الكرام، يجب أن يتحلى بها الداعية، لأن طبيعة الدعوة مكللةٌ بالصعاب، وكثيراً ما يتعرض الداعية للأذى والاضطهاد والسخرية والاعتداء حيث قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦]، وفي بعض الأحيان يتطلب الموقف العفو والسماح بدلاً من الانتقام في سبيل تحقيق الهدف من دعوة الناس إلى دين الله ﷻ ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦]، وأيضاً إنه ﷻ لم يُرَغِّب في الانتقام بل بين أنه مشروع فقط، ثم بين بعده أن شرعه مشروطٌ برعاية المماثلة، ثم بين أن العفو أولى بقوله ﷻ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ [الشُّورى:٤٠][4].

---

(1) انظر: أبو الحسن الواحدي، أسباب النزول (ص: ٢٨٣)، تفسير يحيى بن سلام (٩٩/١)، البغوي، معجم الصحابة (٣٨٨/٤).

(2) انظر: الطبري، جامع البيان (٣٢٢/١٧)، القرطبي، الجامع (٢٠٠/١٠، ٢٠١)، تفسير يحيى بن سلام (٩٩/١)، الزحيلي، التفسير المنير (٨٢/١٤).

(3) المقري، الناسخ والمنسوخ (ص: ١١٤) بتصرف.

(4) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (٦٠٤/٢٧).

ألا ما أجمل العفو عند المقدرة، وما أعظم النفوس التي تسمو على الأحقاد وعلى الانتقام، بل تسمو على أن تقابل السيئة بالسيئة، ولكن تعفو وتصفح، مثل ما عفا النبي ﷺ عن قومٍ لطالما عذبوه وأصحابه، وهموا بقتله مراراً، وأخرجوه وأتباعه من ديارهم وأهليهم وأموالهم، ولم ينفكّوا عن محاربته والكيد له بعد الهجرة!!، فغاية ما يرجى من نفسٍ بشريةٍ كانت مظلومةً فانتصرت أن تقتص من غير إسراف في إراقة الدماء، ولكنه النبي ﷺ!! والنبوة من خصائصها كبح النفس ومغالبة الهوى، والعفو والتسامح، لأنه المبعوث رحمةً للعالمين حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، هدفه الأسمى هداية الناس إلى عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، وإصلاح عقيدتهم الفاسدة باللين والحكمة والموعظة الحسنة، أليس من صفاته التي بشّرت بها التوراة كما ورد في القرآن أنه ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا سخّابٍ في الأسواق، ولا يقابل السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح؟ حيث قال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، ولقد ضرب ﷺ للدنيا كلها، وللأجيال المتعاقبة بعفوه عن أهل مكة عظيم المثل في البر والرحمة، والعدل والوفاء وسمو النفس، والترفع عن الانتقام لم تشهده الدنيا بأسرها، ولن تعرفه في تاريخها الطويل.

والعصر الذي نحياهُ شاهدٌ على جرائم اليهود والنصارى ضد المسلمين، وهم يدعون أنهم أهل الحضارة والعدالة والحرية، لتعلم علم اليقين الفرق بين المسلمين وغيرهم من أهل الديانات الأخرى(١)، فقد كان الواحد من السلف الصالح ينازل خصمه ونده، حتى إذا أمكنه الله منه، عفا عنه وتركه، بل كان يأبى أن يجهز على جريح، فمثل هؤلاء أهل للتغيير والإصلاح، لأنهم أهل للعفو والصفح والصبر على الظلم، فالعفو عند المقدرة والصفح عن الإساءة خلق إسلامي رفيع من أخلاق المسلمين(٢).

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: ردع المجرم وكل من تسول له نفسه بأن يفعل مثله بالعقاب.

---

(١) انظر: أبو شُهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٤٤٨/٢).

(٢) انظر: المرجع السابق (٩٦/١).

ثانياً: تطهير المجتمع من الفاحشة والرذيلة بالعقاب.

ثالثاً: العدل في العقاب، والسبق في التسامح.

رابعاً: ترك العقوبة والتحلي بالصبر.

خامساً: العفو عند المقدرة.

المطلب الثامن: الصبر في الدعوة

١. **الدعوة تحتاج إلى صبر:**

حيث قال ﷻ: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ... ﴾ [النحل:١٢٧].

٢. **الصبر في الهجرة:**

حيث قال ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ... وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[النحل:٤١-٤٢].

٣. **الصبر في العقاب:**

حيث قال ﷻ: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ... ﴾[النحل:١٢٦].

٤. **أجر الصبر:**

حيث قال ﷻ: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ... ﴾ [النحل:٩٦].

وقال ﷻ: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا... ﴾ [النحل:١١٠].

الصبر لغة: المنع والحبس(١).

الصبر اصطلاحاً: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله، وحبس النفس عن الجزع، وحبس الجوارح عن المعاصي(٢).

أما حقيقته فهو خُلُق فاضل من أخلاق النفس يُمْتَنَع به من فعل ما لا يَحْسُن ولا يَجْمُل وهو قوة من قوى النفس التى بها صلاح شأنها وقوام أمرها(٣).

الصبر في الدعوة فهو كما تراه الباحثة: خلق رفيع عالي القيمة لا يدركه الكثير، يحتاج إلى مران وتهذيب، وحبس للنفس عن التضجر، وحبس للسان عن الفحش في القول، والتلطف

(١) انظر: أبو العباس، المصباح المنير (٣٣١/١)، الكفوي، الكليات (ص:٥٦٠).

(٢) انظر: الجرجاني، التعريفات (ص:١٣١).

(٣) انظر: بن القيم، عدة الصابرين (ص:١٦).

مع المدعوين، ولين الجانب معهم، والبعد عن محاسبتهم، لأن ذلك ينفرهم، وتحملهم مع التأني وعدم استعجال النتائج، حيث قال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤]، وهذا الصبر الذي ننحن بصدده في هذا المقام.

أقسام الصبر:

أولاً: صبرٌ على الأوامر: وهو صبر على الطاعة.

ثانياً: صبرٌ عن المحظورات من النواهي: وهو صبر عن المعصية.

ثالثًا: صبرٌ على القدر: وهو صبر على ما قدره الله عليك من المصائب والمحن والبلايا.

رابعاً: صبرٌ على الدعوة والمدعوين، كما بينت الباحثة سابقاً.

والصبر الجميل: هو الصبر الذي لا جزع فيه إلا إلى الله ﷻ، ويبتغي به العبد وجه الله الجليل، فيصبر واثقاً بالله، مطمئناً إلى قضائه وقدره، مستعلياً على الألم، مترفعاً على الشكوى للناس، متذللاً في الشكوى إلى الله ﷻ، وهذا لا يتنافى مع الصبر(1).

إن الصبر من أهم الأسباب التي تساهم في إنجاح الدعوة إلى الله ﷻ لتغيير ما في المدعوين من فساد وإصلاحها بكل ما يرضي الله ﷻ، وهؤلاء الدعاة إلى الله ﷻ إنما اصطفاهم الله ﷻ اصطفاءً، بسبب تحليهم بالصبر، وهم مأمورون من الله ﷻ به حيث قال ﷻ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ﴾ [النحل:١٢٧]، ولما كان الصبر مأموراً به جعل الله ﷻ له أسباباً تعين عليه وتوصل إليه، فهو إدراك ما في الدعوة من الخير والنفع واللذة والكمال وإدراك ما في تركها من الشر والضر والنقص والضياع، فإذا أدرك الداعية هذين السببين وأضاف إليهما العزيمة الصادقة والهمة العالية والنخوة والمروءة والإنسانية، فمتى فعل ذلك حصل له الصبر، وهانت عليه مشاقه وحلت له مرارته وانقلب ألمه لذة(2).

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان (٥٨٤/١٥)، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (٢١١٢/٧)، أبو محمد مكي، الهداية الى بلوغ النهاية (٣٥٢١/٥)، دروس للشيخ محمد حسان (١٣٢/٤).

(2) انظر: بن القيم، عدة الصابرين (٥٣/١).

والله ﷻ جعل من المؤمنين أئمة دعاة يهدون أتباعهم من المدعوين بإذن الله ﷻ إلى طاعته، مع الإيمان يقيناً بأن الدعوة إلى الله ﷻ هي الدعوة إلى الحق، فيجب على الداعية أن يعتز بدعوته، ويدافع عنها(١).

١. الدعوة تحتاج إلى صبر:

حيث قال ﷻ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل:١٢٧].

إن الدعوة إلى الله ﷻ تحتاج إلى صبرٍ وقوةِ تحملٍ واستيعابٍ للمدعوين، وقد سطر الأنبياء في دعوتهم إلى الله ﷻ أساطير في الصبر، فها هو نبي الله نوح ﷺ يضرب أروع الأمثلة في الصبر، حيث دعا قومه ألف سنة إلا خمسين، حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:١٤]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠]، وسيدنا إبراهيم ﷺ كان يدعوا قومه ولم يوجد غيره مسلم حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠]، ولا ننسى في هذا المقام صبر نبي الله أيوب ﷺ إذ لم يعقه ابتلاؤه عن الدعوة إلى الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣]، فأثنى عليه ربه فقال ﷻ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤]، وها هو نبي الله يونس ﷺ يؤدبه ربه ﷻ في الظلمات في بطن الحوت لأنه لم يصبر على قومه حيث قال ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم:٤٨]، فهذا أمر من الله ﷻ بالصبر على المدعوين، وحمل أعباء الدعوة وتحملها، وعدم التسرع في النتائج، لأنها على الله ﷻ، كما لا ننسى نبي الله يوسف ﷺ إذ صبر على ظلم ذوي القربى ﴿أَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ﴾ [يوسف:١٠]، ثم صبر على كيد الكائدين ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف:٤٢]، ولم يثنه السجن عن دعوته، بل دعا إلى ربه في السجن، وصبر وسامح من أجل تحقيق دعوته، ولو

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (٢٠/١٩٥).

ختمنا بنبي الله محمد ﷺ لوجدنا أروع الأمثلة في الصبر، ثلاث عشرة سنة يدعوا قومه إلى وحدانية الله، وهو ابنهم ومنهم وعرف بينهم بالصادق الأمين فكذبوه حيث قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل:١١٣]، فجعل المشركون يسخرون ويستهزءون به، ويؤذونه بالقول وبالفعل كما أخبر عنهم ﷻ: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦]، فقد قال النبي ﷺ لعائشة ﵂ لما سألته: هل مر عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: نعم، وذكر لها قصة ذهابه إلى الطائف؛ لأن النبي ﷺ لما دعا قريشاً في مكة، ولم يستجيبوا له خرج إلى الطائف؛ ليبلغ كلام الله ﷻ، وذهب لأهل الطائف ليدعوهم إلى الإيمان، لكنهم كانوا أسفه من أهل مكة، حيث اجتمعوا هم وسفهاؤهم، وصاروا صفين متقابلين في طريق النبي ﷺ، فسلطوا عليه صبيانهم يضربونه بالحجارة حتى أدمَوْا قدميه الشريفتين، وخرج مغموماً مهموماً، فبعث الله ﷻ ملك الجبال لينتقم منهم، ولكن الذي بعث رحمة للناس وكان كل هدفه تعبيد الناس لله ﷻ، ونجاتهم من النار، رفض عذابهم، عسى أن يخرج من أصلابهم من يؤمن بالله ﷻ، واشتد أذى قريش بمحمد ﷺ؛ حتى حبسوه في الشعب ثلاث سنوات وأكل ورق الشجر، وألقوا عليه فرث الناقة وسلاها من القذارة الموجودة في أحشائها، وهو ساجد ﷺ بجوار بيت الله الحرام، فلم يقدر أحد أن يرفعه عنه، ولم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة ﵂ فألقته عن ظهره الشريف ﷺ(١).

والمواقف التي تدل على صبر رسول الله ﷺ أكثر من أن تحصى، حتى صبر على أذى قومه إلى أن نهاه ربه ﷻ عن الحزن عليهم حيث قال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الحجر:٨٨]، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل:١٢٧]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل:٧٠]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل:١٢٧].

كما أمره أيضاً بألا يضيق صدره ذرعاً وهمًّا بسبب شدة عداوتهم، وبما يقولون من الجهل، بأنه ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون، أو أن يجزع لما يخططون ويمكرون،

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٤٧، ٤٨)، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين (٣/٦٠٣– ٦٠٥).

ليحتالوا على الناس ويخدعوهم ويصدّوهم عن سبيل الله ﷻ، لأنّ الله ﷻ كافيه، وضامن حمايته، فلا يشمتهم به، ولا يجعل لهم عليه سبيلا[1].

وترى الباحثة: أنه لا يتوقع بأي حال من الأحوال أن يستجيب جميع المدعوين لما تدعو إليه، فلابد أن يقابلك السفهاء والمتكبرون والمعاندون والجهال المتشدقون بالعلم، فيصدون عن دعوتك، ويحاربونك بكل ما أوتوا من قوة، ويمكرون بك، وهنا تظهر قوة الفارس وجلده وصبره، فعليه بالصبر والشجاعة وعدم التقهقر والحزن والشعور بالأسى، وعليه أن يترفع عن أذاهم ولا يخف من مكرهم، لأن الله حاميه وكافيه إياهم، فقد يتعرض الداعية إلى الشتيمة والإهانة والإحراج، فعليه في هذه الحالة ألا يقضي وقتاً طويلاً في الحزن والتأثر بما ألم به، لأن هؤلاء أعداءً لا يتوقع منهم الخير ولا النفع ولا المحبة، ولا يتوقع منهم سوى المكر والضغينة والحقد والسوء.

فعلى الداعية أن يكون حذراً متزناً في مشاعره، مع الأخذ بالأسباب، والتوكل على الله ﷻ لأنه كافيه، فهؤلاء العصاة ممن ختم الله ﷻ على قلوبهم، فلا ينفعهم تغييرٌ ولا يفيدهم إصلاحٌ.

وعلى الداعية أن يستمر في دعوته، وأن يوفر الجهد والقوة لدعوة غيرهم عسى أن يبدله الله ﷻ بأفضل منهم، ممن يستجيب لدعوته ويشد من أزره، ويتحمل معه أعباء دعوته.

٢. الصبر في الهجرة:

حيث قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[النحل:٤١-٤٢].

إن الإيمان بالله ﷻ والدفاع عن دينه والدعوة إلى سبيله تحتاج إلى صبر، وقد سطر صحابة رسول الله ﷺ أروع نموذج في التضحية، والصبر على الشدائد، فهم الذين هاجروا في سبيل الله ﷻ، فتركوا الأهل والمال والوطن، فارين بدينهم إلى الله ﷻ، حيث امتدحهم ﷻ في هذه الآية ووعدهم بالأجر العظيم جزاء صبرهم، فأقر أعينهم في الدنيا بالمأوى حيث

---

(1) انظر: القشيري، لطائف الإشارات (٢/٣٣٠).

أسكنهم الحبشة ثم المدينة، وفي الآخرة جنات تجري من تحتها الأنهار(١)، فقد يتعرض الداعية إلى الاضطهاد، فيضطر إلى ترك الأوطان في سبيل دعوته، حيث قال ﷻ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت:٥٦]، ومن يؤثرون الأوطان على الدين، فإنهم سيجازون على ذلك نار جهنم وبئس المقام والمآل، حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:٩٧]، فالهجرة إلى الله ﷻ ما تزال قائمة كلما خيف على الدين والعرض والنفس، حيث قال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:١١٠]، فالذين هاجروا في سبيل الله ﷻ من بعد ما تعرضوا للفتنة في دينهم، لكنهم صبروا وثبتوا على الدين، وجاهدوا في سبيله، سيغفر لهم ربهم ما بدر منهم ويرحمهم.

سبب نزول الآية: أنهم هاجروا في سبيل الله ﷻ فأدركهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنزلها الله ﷻ، وقال عكرمة(٢): نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي سرخ، وكان يكتب للنبي ﷺ فاستزله الشيطان فلحق بالكفار، فأمر النبي ﷺ أن يقتل يوم فتح مكة، فاستجار له عثمان وكان أخاه لأمه فأجاره رسول الله ﷺ، ثم أسلم وحسن إسلامه، فأنزل الله ﷻ فيه هذه الآية (٣).

٣. الصبر في العقاب:

حيث قال ﷻ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾[النحل:١٢٦].

وترى الباحثة: أنه كثيراً ما يتعرض الداعية للأذى بسبب دعوته التي تخالف أطماع المعادين وأهواءهم، فيتوجب عليه في هذه الحالة التحلي بالصبر، وعدم التعصب والانجرار

---

(١) انظر: أبو محمد مكي، الهداية الى بلوغ النهاية (٣٩٩٥/٦).

(٢) بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس،(٢٥ ــ ١٠٥ هــ)، وقيل لم يزل عبدا حتى مات ابن عباس وأعتق بعده، وهو تابعي مفسر ومحدث، انظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب (٢٦٣/٧)، الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٦١/١).

(٣) انظر: الواحدي، أسباب النزول (ص: ٢٨٢)، الثعلبي، الكشف والبيان (٤٧/٦).

وراء الأهواء والرغبة في الانتقام، لئلا يفقد السيطرة على نفسه فيفرط في القصاص، ويصبح غضبه لنفسه لا لله ﷻ، فيترك الأثر السلبي في نفوس الآخرين عن الإسلام والمسلمين، فإذا اضطر الداعية للعقاب فإما المعاملة بالمثل، وإما المسامحة والصبر لوجه الله ﷻ وابتغاء مرضاته، فهو خير عند الله ﷻ.

٤. **أجر الصبر:**

حيث قال ﷻ: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ...﴾ [النحل:٩٦].

وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا...﴾ [النحل:١١٠].

وترى الباحثة: أن أجر الصابرين أجرٌ عظيمٌ على الله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٦]، فيثيبهم الله ﷻ على صبرهم وطاعتهم له بأحسن ما كانوا يعملُون من الأعمال الصالحة في الدنيا، ومسارعتهم في رضاه، في السّراء والضرّاء، فيغفر الله ﷻ لهم بفضله ومنته السيئات التي ارتكبوها، فهم الذين طردوا ومنعوا من الإسلام ففتنتهم المشركون ثم جاهدوا وصبروا على الإيمان والهجرة والجهاد، فإن ربك من بعد تلك الفتنة لغفور رحيم، يعطيهم أجرهم بغير حساب حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمر:١٠]، فلا يوجد مقارنةٌ بين صبرهم وبين جزائهم على صبرهم، لعظيم فضل الله ﷻ عليهم، فالمؤمن يحتاج إلى الصبر في جميع أموره، لا سيما الدعوة إلى الله ﷻ، فعلى الداعية أن يتسلح بالصبر، ليتحقق له النجاح في دعوته.

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:

أولاً: الأمر بالصبر، لأن الدعوة إلى الله ﷻ تحتاج إلى صبر وقوةِ تحملٍ واستيعابٍ للمدعوين، حيث قال ﷻ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل:١٢٧].

ثانياً: مدح الصبر، وبيان أهميته، لأنه من أهم الأسباب التي تساهم في إنجاح الدعوة إلى الله ﷻ في الهجرة حيث قال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ

﴿رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:١١٠]، والصبر خير من العدل في العقاب حيث قال ﷻ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦].

ثالثاً: بيان أجر الصابرين في أكثر من موطن للحث عليه، حيث قال ﷻ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٦].

المطلب التاسع: معية الله ﷻ للمتقين

١. حسن ظن المؤمنين بالله ﷻ:

قال ﷻ: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ... كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠، ٣١].

٢. التقوى خاصة لله ﷻ:

قال ﷻ: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ...﴾[النحل: ٥٢].

٣. المتقون محسنون:

قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

معنى التقوى لغة واصطلاحاً:

التقوى في اللغة: مشتقٌ التوقى واتقى بمعنى واحد، وقد توقيت واتقيت الشيء وتقيته وأتقيه تقى وتقية والاسم التقوى، التاء بدل من الواو والواو بدل من الياء، وأخذ الوقاية عما يضر، واتخاذ وقايةٍ تقيك مما تخافه وتحذره[1].

التقوى في الاصطلاح: حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور، وترك بعض المباحات طاعة الله ﷻ وخوفا من عقابه، واجتناب نواهيه حسب الطاقة[2].

والتقوى في الطاعة: يراد بها إخلاص العبادة لله ﷻ، على نور من الله ﷻ، رجاءً لثوابه.

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (٤٠٢/١٥).

(2) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص:٨٨١).

والتقوى في المعصية: يراد بها أن تترك معصية الله ﷻ على نورٍ من الله ﷻ، خوفاً من عقابه. وبما أن الإنسان يجعل لنفسه وقاية من حر الشمس بالاستظلال بمظلة، واللجوء إلى ظل، فعليه أن يأخذ لنفسه وقاية من عذاب الله وناره[1].

والتقوى: مأخوذةٌ من اتقاء المكروه واجتناب المعاصي، بما تجعله حاجزاً بينك وبينه.

والمتقي: فوق المؤمن والطائع، وهو الذي يتقي بصالح عمله وخالص دعائه عذاب الله ﷻ وغضبه[2].

وترى الباحثة أن التقوى اصطلاحاً: درجةٌ عاليةٌ من الإيمان، يتحقق بها اتقاء غضب الله ﷻ، والفوز برضاه، بصفاءٍ في النفس، وعلو في الهمة، وتجردٍ من الهوى، وعطاءٍ بلا حدود، ونشرٍ لدعوة الله ﷻ، بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واتقاء الشبهات حسب المقدرة حيث قال ﷻ: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن:١٦]، وقال ﷻ: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[البقرة:٢٨٦].

أ. **أهمية التقوى:** إن التقوى درجةٌ عاليةٌ من درجات الإيمان، لا يبلغها الكثير من المؤمنين، أعلى ثمارها معية الله ﷻ، فإن كان الله معك فمن عليك، وإن كان عليك فمن معك، والتقوى تحتاج لصفاتٍ سابقةٍ لها، حتى يصطبغ المؤمن بصبغتها، وينبغي على الداعية أن يتحلى بها، فمنها تنبعث الحكمة، ويتحقق المقصود من الإصلاح والتغيير، وهو تبليغ الحق على بصيرة.

ب. **طرق الوصول إلى التقوى:** ومن أهم طرق الوصول إلى التقوى فعل المأمورات، والأمر بها، وترك المنهيات، والنهي عنها، والتحلي بصفات أهل الإيمان، فتقوى الله ﷻ

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية (١٠٥/٤٣)، محمد بن سعيد، الولاء والبراء (٢٦/١)، فيصل بن عبد العزيز تطريز رياض الصالحين (٦٦/١)، عبد الحق بن سيف، مقدمة في أصول الحديث (٦١/١)، عبد الرحمن بن محمد، الأجوبة المفيدة (٧٧/١)، جمال الدين أبو الفرج، نزهة الأعين (٢١٩،٢٢٠/١)، ابن تيمية الإيمان (١٣٢/١)، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين (٥١٣/١).

(٢) انظر: القرطبي، الجامع (١٦١/١).

بشمولها إذا رزقها العبد، فإنها تنير القلب وتفتح المدارك، وتهدي إلى مواطن الحق، وترشد إلى الوسائل والأساليب الصحيحة الملائمة للظروف والأحوال والأشخاص[1].

ت. **صفات أهل التقوى:** وأهل التقوى هم أهل الصلاح، وأهل الصلاح هم أهل الإيمان، وأهل الإيمان هم أهل التقوى والإحسان حيث قال ﷻ: ﴿**إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**﴾ [النحل:١٢٨]، والتقوى هي ميزان التفاضل بين الناس، حيث قال ﷻ: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[الحجرات:١٣]، فهم أهل الكرم، عن أبي هريرة ﷺ: قال: قيل يا رسول الله: (من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم)[2]، والتقوى محلها القلب، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (التقوى هاهنا)، ويشير إلى صدره ثلاث مرات[3]، وسبحان من جعل العاقبة للمتقين: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [هود:٤٩]، وجعلهم أولياءه حيث قال ﷻ: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾[يونس: ٦٢، ٦٣]، وهل ينال الرحمة، ويظفر بالحكمة، ويحظى بالثواب العظيم، ويفوز بجنة النعيم إلا أهل الإيمان والتقوى والإحسان[4]، حيث قال ﷻ: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ *لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾[الحجر: ٤٥ – ٤٨]، الذين أحسنوا الظن بالله ﷻ حيث قال ﷻ: ﴿**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ**﴾ [النحل:٣٠، ٣١].

---

(1) انظر: صالح بن عبد الله، مفهوم الحكمة (١/١٥).

(2) صحيح البخاري (٤/١٤٠)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا} [النساء: ١٢٥]، ح (٣٣٥٣).

(3) صحيح مسلم (٤/١٩٨٦)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، ح (٢٥٦٤).

(4) انظر: حسين بن محمد، صيد الأفكار (٢/٧٩).

١. حسن ظن المتقين بالله ﷻ:

قال ﷻ: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠، ٣١].

إن الله ﷻ خلق الإنسان على هذه البسيطة لمرحلةٍ مؤقتةٍ، يعبد الله ﷻ فيها حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، يمر الإنسان من خلالها بالاختبار والابتلاء والتمحيص، حتى تقام عليه الحجة، ولذلك أرسل الله ﷻ الرسل وأيدهم بالدعاة من أهل التقوى، فالدعاة هم ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا، إنما ورثوا العلم والدين، والأنبياء عليهم السلام كغيرهم من البشر يحتاجون من يساعدهم في حمل أعباء الدعوة، وتبليغها إلى الناس، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: (ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى)[١]، حتى الأنبياء يحتاجون إلى بطانة مقربة منهم تعينهم على حمل أعباء الدعوة، والمتقون هم بطانة الخير المقربة من الرسل، والتي حملت معهم أمانة الدعوة، فأحسنوا الظن بالله ﷻ، وحملوا في أعناقهم أمانة التبليغ، وعندما سألهم الناس ماذا أنزل الله ﷻ، قالوا خيراً وأحسنوا التبليغ، ودعوا الناس إلى الإيمان بالله ﷻ، وبينوا لهم عظمة هذا الدين وزينوه في أعينهم، وصدقوا سيد المرسلين، وأعانوه على الخير، فأثابهم الله ﷻ على ذلك، وأجزل لهم العطاء، في الدنيا كرامة من الله ﷻ، رزقٌ واسعٌ، وعيشةٌ هنيةٌ، وطمأنينةٌ قلبيةٌ، وأمنٌ وسرورٌ وتمكينٌ حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨]، وفي الآخرة كرامةٌ أعدّها لهم ﷻ، وهي أعظم من الكرامة التي عجلها لهم في الدنيا، ولنعم الدار دار الآخرة، لهم فيها جنات عدن، فيها ما يشاءون مما تشتهي أنفسهم، وتلذّ أعينهم، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فأولئك سيمكن لهم ﷻ في الأرض، ويجعل الحاكمية والسيادة لأهل

([١]) صحيح البخاري (٧٧/٩)، كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته، ح (٧١٩٨).

هذا الدين العظيم[^1]، فهم الذين خافوا الله ﷻ في الدنيا، فاتقوا عقابه بأداء فرائضه، وتجنب معاصيه، وأحسنوا بدعوتهم إلى سبيله بتغيير العقيدة الفاسدة لدى الناس، واستبدالها بالعقيدة الصحيحة؛ العقيدة التي خلق هذا الكون من أجلها؛ عقيدة التوحيد [^2].

٢. التقوى خاصة لله ﷻ:

قال ﷻ: ﴿**وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ**﴾ [النحل: ٥٢].

فهؤلاء المتقون المؤمنون يتقون الله ﷻ، فلا تأخذهم فيه لومة لائم، أما من كفر وعاند ولوث فطرته بالشرك، وعميت عيناه عن الحقيقة، لم يتق الله ﷻ، وأعطى حق التقوى لغيره، وهو له ملك ما في السموات والأرض، لا شريك له في شيء من ذلك، فهو الذي خلق، وهو الذي رزق، وبيده الحياة والموت، فلابد أن تكون له الطاعة والإخلاص حقاً دائماً ثابتاً واجباً، لا ينبغي لأحد سواه، وله الدين قائمٌ، شئتم أم أبيتم، سيقوم هذا الدين ويبقى إلى قيام الساعة، إن لم يكن بكم فبغيركم، فكيف تتقون غير الله ﷻ، وترجون رحمة غيره، وترهبون غيره، وتحذرون غيره، وما أنتم إلا خلق من مخلوقاته، وما لكم من نافع سواه.

وكل ما بكم من نعمٍ وعافيةٍ وصحةٍ وسلامةٍ في أبدانكم فمنه وحده ﷻ، وما في أموالكم من نماءٍ، فهو المنعم عليكم به لا غيره، لأن ذلك إليه وبيده، وأنتم لا تتعظون إلا إذا أصابكم في أبدانكم سَقَمٌ ومرضٌ، وعلةٌ عارضةٌ، وشدّةٌ من عيشٍ فإليه تصرخون، وبالدعاء تستغيثون، ليكشف ذلك عنكم حيث قال ﷻ: ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**﴾ [النحل:٥٣]، فتعلو أصواتكم مثل أصوات الثيران!، لأنهم من فرط الشدة والكرب يتجردون من عنجهيتهم، وكبرهم، وإنكارهم لله ﷻ، فيقرون بوحدانيته رغم أنوفهم، ويطلبون الغوث منه[^3]، حيث قال ﷻ: ﴿ **ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ* لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾[النحل:٥٤، ٥٥]، وهذا هو ديدنكم أيها اللاجئون عند الشدائد، ما إن تزل عنكم، حتى تعودوا إلى سابق عهدكم، من الشرك والكفر والتكذيب والإنكار، فتعساً لكم

[^1]: انظر: الطبري، جامع البيان (٤٢/١٣، ٤٣).
[^2]: انظر: الطبري، جامع البيان (١٩٧/١٧، ١٩٨)، أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة (٥٤/١)، السعدي، تيسير الكريم (٤٣٩/١).
[^3]: انظر: الطبري، جامع البيان (٢٢١/١٧، ٢٢٣).

من قوم جاحدين، ملازمين لحياة البهائم، لبئس القوم أنتم، تمتعوا على هواكم، ولسوف تعلمون عندما يأتي العذاب الذي لا يصاحبه إمهال حيث قال ﷻ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:١].

٣. **المتقون محسنون:**

قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

أما الذين اتقوا ربهم وأحسنوا الظن به، وأحسنوا في دعوتهم إليه، فأولئك في معية الله ﷻ، وهي المعية المقصودة بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، وقال ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:١٩٤]، فهذه المعية هي معية التأييد والنصرة والتسديد، قال الله ﷻ: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[فصلت: ١٨]، فالله ﷻ سلم أهل الإيمان والتقوى من بين أظهر الكافرين دون أن يمسهم سوء، أو أن ينالهم من ذلك ضرر، بسبب إيمانهم وتقواهم لله ﷻ، لأن الله يدافع عن الذين آمنوا حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج:٣٨].

وهي معية الله ﷻ لأنبيائه وأوليائه، ومعيته للمتقين والصابرين، وهي تقتضي التأييد والحفظ والإعانة كما قال ﷻ لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[طه:٤٦].

ومن صفات المتقين أنهم لا يقترفون الكبائر، ولا يصرون على الصغائر، بل كلما وقعوا في صغيرةٍ رجعوا إلى الله بالتوبة والاستغفار، والعمل الصالح عملاً بقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِين اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[الأعراف:٢٠١]، إلا أنهم غير معصومين من الخطايا إلا من عصمه الله ﷻ من الأنبياء.

ولهذا لابد للدعاة العاملين والعلماء الراسخين من استحضار هذه المعاني العظيمة للتقوى، والالتزام بها، فإن أعمالهم مهما كان حجمها، وتضحياتهم مهما كانت ضخامتها، لا تقبل بدون تقوى، لأن المتقين هم الذين يستشعرون أن كل خيرٍ هو من الله وحده، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ

مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[المائدة:٢٧]، وتقوى الله ﷻ في الأمور كلِّها تعطي صاحبها نوراً يفرق به بين الحق والباطل، وبين دقائق الشبهات التي لا يعلمها كثيرٌ من الناس، وعندما تسيطر تقوى الله على الصف المسلم يصير متحركاً بفرقان رباني، لأنه يرى بنور الله قال ﷻ: ﴿إِن تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[الأنفال:٢٩]، وتقوى الله ﷻ كما تقدم لها ثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة، وهذه الثمرات تظهر على الأفراد، ومن ثمَّ على الجماعة المسلمة التي تسعى لتحكيم شرع الله والتمكين لدينه. وأهل السنة متفقون على أن الله ﷻ ينعم على عبده المطيع بنعمة دينية خاصة به دون الكافر، وهي هداية التوفيق والإعانة، فهو الذي أعانه على الطاعة، حيث أنبت في قلبه ثمرة حب الإيمان، وكرهه بالفسوق والعصيان(١)، قال ﷻ: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ﴾ [الحجرات:٧].

والحرص على تقوى الله ﷻ يكسب الداعية في الصف الإسلامي صفاتٍ رفيعةً، وأخلاقاً حميدةً، ومكارم نفيسةً تجعله أهلاً للدعوة إلى سبيل الله ﷻ، وتمكين شرع الله ﷻ، بتغيير العقيدة الفاسدة واستبدالها بالعقيدة الصحيحة ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطَّلَاق:٢،٣].

ومن أهم هذه الصفات التي تجعل الصف المسلم متماسكاً في حركته الدعوبة نحو تحكيم شرع الله ﷻ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة.

إن هذه الصفات عندما تتغلغل في نفوس الدعاة والعلماء وأبناء المسلمين، نستطيع أن نحقق الإصلاح والتغيير المنشود، وتصبح الأمة المسلمة جديرةً بنصر الله وتوفيقه، وبهذا نكون قد توصلنا إلى الإيمان بالله ﷻ، ومحاربة الشرك، والعمل الصالح بالدعوة إلى عبادته(٢).

---

(١) انظر: الذهبي، المنتقى من منهاج الاعتدال (١/ ١٢٧)، علي محمد، تبصير المؤمنين(١/ ٢٣٨).

(٢) انظر: علي محمد، تبصير المؤمنين (١/٢٤٤، ٢٤٧).

وما أحوجنا اليوم إلى لزوم التقوى، حتى نكون أهلاً لحمل الأمانة، ونكون ممن ساهم في نصرة هذا الدين العظيم، وممن أعاد المسلمين إلى ربوع الدين، حتى ينتشر في جميع أنحاء المعمورة. **أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه المنهجية:**

أولاً: بيان أهمية التقوى في حياة الدعاة، ووجوب الالتزام بها، حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

ثانياً: التقوى خاصة لله ﷻ، حيث قال ﷻ: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ﴾[النحل: ٥٢]، والمتقون المؤمنون يتقون الله ﷻ.

ثالثاً: كشف حقيقة الكافرين وبيان جحودهم، وإهانتهم ،حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل:٥٣]، فهم بعيدون عن التقوى، ولا يتقربون إلى الله إلا في الشدة.

رابعاً: جعل تقوى الله ﷻ ميزة، تميز بها المتقون عن غيرهم ،حيث قال ﷻ: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [النحل: ٣٠]، ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [النحل:١٢٨].

خامساً: بيان ثواب المتقين، ثناءً عليهم، وإكراماً لهم ،حيث قال ﷻ: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠، ٣١].

سادساً: معية الله ﷻ للمتقين المحسنين، حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

وفي النهاية تبين للباحثة: أن سورة النحل عالجت قضية العقيدة كما السور المكية، فالمحور الأساسي الذي دارت حوله منهجيات الإصلاح والتغيير في هذه السورة هو إقناع المشركين بإفراد الله ﷻ بالوحدانية، فأرست مبادئ العقيدة الصحيحة، ونبذت عقيدة الشرك العقيدة الفاسدة، وذمت أهلها من خلال بيان عجز آلهتهم التي عبدوها من دون الله ﷻ،

وكشف عورتهم، وسلطت الضوء على القدرة المطلقة لله ﷻ من خلال خلق الكون بما فيه من النعم، فمن يكفر بهذه النعم ويجحدها فهو كافرٌ بالله ﷻ الذي خلقه وخلقها.

ثم بين ﷻ منهج الدعوة إليه بالإصلاح والتغيير من خلال الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدل بالتي هي أحسن، كما أمر بالصبر في الدعوة، وبين أن معية الله ﷻ للمتقين المحسنين.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين على نعمة القرآن، المنهج القويم الذي أنزله الله ﷻ للأنام، والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها من نعمة، والحمد لله الذي تتم به الصالحات، حمد الصابرين الشاكرين، والحمد لله على النعم جميعاً التي لا تعد ولا تحصى، حمداً يليق بجلال قدره، وعظيم سلطانه، والحمد لله الذي وفقني لكتابة هذه الرسالة، راجية من جلاله أن تليق بمستوى العلوم التي تتعلق بكلام الله ﷻ -القرآن الكريم- والصلاة والسلام على رسول الأنام، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، ورضي الله عن الصحابة أجمعين، أما بعد:

شاء الله ﷻ أن تكون هذه الدراسة عن منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الحجر والنحل،

واجتهدت ما في وسعي لاستنباط بعض المنهجيات، فما أصبت به، فمن الله ﷻ فضلاً ومنةً، وكرماً وإحساناً، وما أخطأت به فمن نفسي والشيطان، وأرجو من الله ﷯ المغفرة والإحسان، وإني توصلت في هذا البحث إلى أهم النتائج والتوصيات التالية:

أولاً: أهم النتائج:

١. القرآن الكريم قائمٌ على منهج الإصلاح والتغيير، أنزله الله ﷻ على آخر الرسل سيدنا محمد ﷺ لتغيير الفساد الذي حاق بالناس، في جميع مجالات الحياة، وإصلاحها سواء كانت في المجال العقائدي أو التشريعي أو الدعوي أو الأخلاقي أو الاجتماعي، لتعبيد الناس لله الواحد القهار.

٢. إنزال منهج معجز واضح؛ بين للناس كافة طرق الوصول إلى الله ﷯، يتكفل بإصلاح جميع جوانب الحياة، لكل البشر بشكل تعجز عن مثله جميع القوانين الأرضية.

٣. بيان أن الغاية من إرسال الرسل وتنزيل الكتب؛ إصلاح الناس وهدايتهم، وتغيير ما فسد من عقائدهم.

٤. حفظ القرآن من الضياع، والخلط والتحريف، إلى يوم الدين.

٥. كشف حقيقة كفار قريش اتجاه القرآن الكريم.

٦. تسجيل موقف اليهود والنصارى اتجاه القرآن الكريم، وفضح نواياهم الخبيثة.

٧. التحذير من الكفر، وبيان حال الراغبين عن الإسلام.

٨. وجوب اتخاذ الإسلام دينا، وتحريم القبول بغيره.

٩. حفظ المنهج والتشريع الإسلامي، بحفظ القرآن الكريم، لأنه المعجزة الخالدة، للناس أجمعين.

١٠. الدين الإسلامي دين الأنبياء جميعاً إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

١١. إثبات الوحدانية لله ﷻ، من خلال القدرة على الخلق، والإبداع المتقن في هذا الكون، حيث أن المتفرد بالعبودية يتصف بالقدرة.

١٢. ضرب أروع الأمثلة من المعجزات، دعوة للتفكر والتدبر، بالآيات التي تدل على وحدانية الله ﷻ، مثل السماء، الأرض، الرزق بأنواعه، الرياح، الإحياء والإماتة، العلم المطلق، البعث والحشر.

١٣. القدرة على الحفظ فمن حفظ السماء، وطهرها من الشياطين، قادر أن يحفظ الأرض من المجرمين، ويطهرها من الكافرين ولو بعد حين.

١٤. إثبات عجز المخلوقين عن توفير رزقهم ناهيك عن رزق غيرهم دليل افتقارهم، وإثبات الوحدانية للرزّاق ﷻ.

١٥. إثبات الصفات العليا لله ﷻ، مثل الحكمة والعلم، يدل على كمال الوحدانية لله ﷻ.

١٦. إرساء المنهج العلمي الدقيق القائم على الاستدلال الصحيح.

١٧. التأكيد على أن الغاية من خلق السماوات والأرض توحيد الله ﷻ، ولم تخلق سدى، وأن الساعة هي الفيصل.

١٨. بيان أن مصير الظالمين الهلاك، والانتقام منهم بالعذاب؛ الذي يستحقون ولو بعد حين فإن الله يمهل ولا يهمل.

١٩. إعطاء المهلة الكافية للتفكر، والفرص العديدة للتدبر، وتأخير العقاب.

٢٠. قطع الحجج على الكافرين وكشف حقيقتهم وبيان عجز آلهتهم بمعجزات أقوى من التي طلبوها، دليل القدرة المطلقة لله ﷻ.

٢١. الدقة المتناهية في تسوية الأُمور.

٢٢. التركيز على قضية الإحياء والإماتة التي يستحيل نكرانها لإثبات الوحدانية لله ﷻ.

٢٣. إثبات القدرة المطلقة للخالق الذي خلق السماء، الأرض، الرزق بأنواعه، الرياح، والقادر على الإحياء والإماتة، والبعث والحشر.

٢٤. التدرج في استخدام الأدلة؛ المشاهَدَة مثل: السماء، والأرض، والرزق بأنواعه، والرياح، والغيبية مثل: البعث والحشر.

٢٥. إثبات أن الله ﷻ لديه القدرة المطلقة، وهو وحده المستحق للعبادة والمتفرد بالألوهية.

٢٦. بيان أن المنهج الرباني قائم على أساس العلم المطلق المتناهي في الدقة.

٢٧. تنوع الأسلوب القرآني من أجل الإصلاح والتغيير، باستخدام كافة الأساليب المتاحة، من الترغيب والترهيب، سواء كانت دنيوية، أو غيبية.

٢٨. النهي عن طول الأمل، والحرص على الدنيا، لأنه من الموبقات المهلكات، وعدم البكاء على ما فات، لأنها إلى زوال.

٢٩. التذكير بأن الأجل محدود؛ لأخذ العبرة والعظة وعدم الاغترار بطول العمر.

٣٠. استخدام أسلوب اللين بعد الشدة، والترغيب بعد الترهيب، لاستثارة العاطفة وتحقيق المراد.

٣١. الترهيب بذكر النار وعذابها، والترغيب بذكر الجنة ونعيمها.

٣٢. الترغيب والترهيب بذكر قصص الأمم الغابرة، لأخذ العبرة والعظة.

٣٣. إقامة الحجة على الناس، وإعطائهم الفرص العديدة للتوبة والرجوع.

٣٤. استخدام القرآن الكريم لأسلوب الحوار بهدف الإصلاح والتغيير.

٣٥. الحوار البناء يساعد على تحقيق الأهداف بأقصر الطرق، وهذا الأسلوب أدعى للفهم وأقوى في التأثير.

٣٦. الحوار بالباطل من أجل المصالح الشخصية هو حجة من ليس له حجة؛ وهو هروب من الحوار بالعقل والمنطق والدليل والبرهان إلى الاتهامات الباطلة.

٣٧. بيان أن العناد والتكبر وسوء الأدب في الحوار؛ يعيق الإصلاح والتغيير ويفوت فرص الهداية.

٣٨. تثبيت الله ﷻ للأنبياء والدعاة المؤمنين والصالحين، والعناية الربانية بهم، والدفاع عنهم بكافة الوسائل، مادياً و معنوياً، ونصرهم ولو بعد حين.

٣٩. حفظ الداعية، فهو محفوظ من الله ﷻ، ومدرج تحت مسمى عبادي.

٤٠. استثارة همة الداعية بالثواب الجزيل والفوز بالجنة.

٤١. بيان عدة الداعية، وحثه على التحلي بالصبر والصلاة، والذكر والتسبيح.

٤٢. رسم منهج الدعاة، من خلال القرآن الكريم، والبراهين والأدلة الكونية، لإثبات الوحدانية لله ﷻ، والنبوة لمحمد ﷺ، والبعث والجزاء يوم القيامة.

٤٣. تذكير المدعوين بأن طول الأمل يؤدي إلى سوء العمل، وأن الزهد واليقين يؤدي إلى الصلاح.

٤٤. الإنذار بمصارع الطغاة ومكذبي رسل الله الكرام، للعبرة والعظة، أمثال قوم لوط عليه السلام أصحاب الحجر والأيكة.

٤٥. استثمار جهود الداعية في مواطن الخير المثمرة، وعدم إضاعتها هدراً، لمن لا يستحقها، إذا ثبت عناده، وترك المعاندين وعدم الاكتراث بهم، لذا ابتدأت السورة بالإنذار والتهديد والتهويل والتوبيخ لمن رفض الدعوة.

٤٦. عقاب العصاة الذين لا يوجد أمل في إصلاحهم، أو تغيير ما ألفوه من المعاصي.

٤٧. عدم الاستجابة لمطالب الكافرين؛ إن كانت من باب السخرية، والاستهزاء والتكذيب.

٤٨. كشف حقيقة المشركين، وبيان أن مطالبهم تعجيزية حاقدة؛ لا تبغي الوصول إلى الحق.

٤٩. بيان أن تلبية مطالب المشركين لن تغير من مواقفهم المعادية، ولا ينفع معهم تغيير ولا يفيدهم إصلاح.

٥٠. الدعوة إلى الله ﷻ بكافة الوسائل، والتفنن في الدخول إلى قلوب الناس، وإنزالهم قدر منازلهم، ودعوتهم حسب أحوالهم.

٥١. اتباع منهج الأنبياء في إعطاء الفرص العديدة للتوبة والرجوع.

٥٢. الدعوة إلى الله ﷻ عن طريق الأسلوب القصصي، لما لها من أثرٍ فعالٍ ناجحٍ في هداية الناس، فالإنسان مفطور على حب القصص.

٥٣. استخدام الأسلوب القصصي، لأخذ العبرة والعظة، وقد ظهر ذلك جلياً في عرضه ﷻ للقصص السابقة.

٥٤. وجوب البدء بالنفس والأقربين في الدعوة إلى الله ﷻ، ثم الصدع للجميع.

٥٥. مراعاة مبدأ التدرج في الدعوة إلى الله ﷻ.

٥٦. مراعاة أحوال الناس، حسب معتقداتهم، وأفهامهم، ومعارفهم، والبدء بالأهم ثم المهم.

٥٧. الدعوة إلى عبادة الله ﷻ طول العمر إلى الممات.

٥٨. استخدام مبدأ الصفح الجميل، وهو من أرفع الأخلاق الحميدة، التي تساهم في الدعوة إلى الله ﷻ.

٥٩. شمول الصفح الإسلامي الجميل لأعداء الله ﷻ، وهو أعلى درجات الصفح، وللدين الإسلامي السبق والتفرد به.

٦٠. الصفح عند المقدرة، لتحقيق هدف الإسلام العظيم، وهو هداية الناس إلى الوحدانية، وحمايتهم من براثن الشرك.

٦١. بيان أن الحرام محصورٌ وقليلٌ، والحلال واسعٌ وكثيرٌ، والحلال يغني عن الحرام.

٦٢. الحث على التضحية في سبيل نصرة الأخلاق وإفشاء الحلال، والقضاء على الحرام.

٦٣. إنكار الحرام، ومحاربته بكافة الوسائل والطرق المتاحة.

٦٤. التنفير من الفواحش، والتشهير بأصحابها، المصرين عليها، لأخذ العبرة والعظة والحذر منهم.

٦٥. نجاة المؤمنين المتمسكين بدينهم، والقائمين على إشاعة الطهارة، والأخلاق العالية الرفيعة بين الناس.

٦٦. بيان أن الطمع وعدم الرضا والإعراض عن الحق يؤدي إلى ارتكاب الحرام، والقناعة كنز لا يفنى.

٦٧. استخدام القرآن الكريم لأسلوب الجدل بهدف الإصلاح والتغيير.

٦٨. بيان أن الجدال بالحق يحقق أهدافه، والحق دائماً يعلو ويؤتي ثماره.

٦٩. بيان أن الجدال بالباطل عقيم، عواقبه وخيمة، لا تبشر بخير، بل بسوء العاقبة، وفيه إغلاق للعقول، فلا يفيده تغيير ولا يثمر معه إصلاح.

٧٠. عرض الأدلة التي تؤكد القدرة المطلقة لله ﷻ على البعث والنشور .

٧١. تأكيد وحدانية الله ﷻ وتنزيهه عن الشريك.

٧٢. تنزيل المنهج الذي لا اعوجاج فيه ولا تناقض.

٧٣. اصطفاء الرسل لتبليغ الأمانة.

٧٤. إثبات الوحدانية لله ﷻ من خلال القدرة على الخلق والتفرد به.

٧٥. إثبات القدرة المطلقة لله ﷻ من خلال الأدلة والبراهين المتعددة.

٧٦. القطع بأن قدرة الله ﷻ لا حدود لها، وجميع الأدلة والبراهين التي عرضها ﷻ لم تعجزه.

٧٧. عرض الأدلة التي تؤكد القدرة المطلقة لله ﷻ على البعث والنشور.

٧٨. تأكيد وحدانية الله ﷻ وتنزيهه عن الشريك.

٧٩. تنزيل المنهج الذي لا اعوجاج فيه ولا تناقض.

٨٠. اصطفاء الرسل لتبليغ الأمانة.

٨١. إثبات الوحدانية لله ﷻ من خلال القدرة على الخلق والتفرد به.

٨٢. إثبات القدرة المطلقة لله ﷻ من خلال الأدلة والبراهين المتعددة.

٨٣. القطع بأن قدرة الله ﷻ لا حدود لها، وجميع الأدلة والبراهين التي عرضها ﷻ لم تعجزه.

٨٤. إبراز النعم الدالة على وحدانية الله ﷻ.

٨٥. وجوب نسبة النعم إلى الله ﷻ وحده.

٨٦. التحذير من نسبة النعم إلى غير الله ﷻ؛ لأنه شركٌ في الربوبية.

٨٧. بيان أن الهداية العامة تشمل جميع المخلوقات.

٨٨. هداية جميع الناس هداية الفطرة التي تُقِرُ في وقت الشدة أن الله ﷻ وحده النافع المنعم، وهو الذي يرفع الضر.

٨٩. هداية البيان والدلالة؛ يقوم بها الأنبياء والدعاة لهداية جميع الناس.

٩٠. هداية التوفيق والإعانة بيد الله ﷻ، خاصةً بعباده المؤمنين.

٩١. تسهيل وتوضيح سبل الهداية للناس، وبيان أسباب الضلال.

٩٢. الترغيب بالتمسك بالقرآن الكريم؛ لأنه الحصن المنيع من الشيطان.

٩٣. نفي سلطان الشيطان ونزع سيطرته عن المؤمنين، وحفظهم.

٩٤. إثبات سلطان الشيطان على أوليائه من أهل الشرك.

٩٥. التنفير من الكبر، والتحذير من تزيين الشيطان وإغوائه، فالكبر والإغواء يعيق الإصلاح.

٩٦. إثبات أن القرآن منهج إصلاح.

٩٧. الحث على التواضع والخضوع لله ﷻ فمن تواضع لله رفعه.

٩٨. ضرب المثل لإثبات وحدانية الله ﷻ، وإقناع هذه العقول المتحجرة به .

٩٩. النهى عن ضرب الأمثال لرب العزة ﷻ، المتضمنة للتسوية بينه وبين خلقه.

١٠٠. جواز ضرب المثل للمقابلة، لبيان أن الله ﷻ المتصف بصفات الكمال، لا يقارن بالمخلوق العاجز المتصف بصفات النقص والعيب.

١٠١. الموازنة والمحاكمة العقلية بين الله الواحد الأحد المتفرد بالوحدانية، المالك الحقيقي لكل شيء، وبين المملوك الذي لا يستوي مع عبد مثله.

١٠٢. ضرب المثل للعبرة والعظة، والرجوع إلى الله ﷻ قبل فوات الأوان.

١٠٣. بيان أن منهج القرآن الكريم في الإصلاح والتغيير قائم على الأمر بالمعروف، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي.

١٠٤. توطيد أواصر المحبة بين الأقارب.

١٠٥. الدعوة إلى التذكر والتفكر والتدبر، لأخذ العبرة والعظة.

١٠٦. وجوب الوفاء بالعهد.

١٠٧. الحفاظ على الأيمان المنعقدة.

١٠٨. تمييز المؤمن الصادق من الكاذب الفاسق بالابتلاء.

١٠٩. التحذير من نقض الأيمان فهي سبب للهلاك.

١١٠. بيان أن عهد الله ﷻ لا يقدر بثمن.

١١١.التنفير من الكذب، وبيان عاقبة المكذبين، والإصلاح والتغيير بالصدق.

١١٢.بيان حقيقة المكذبين وفضح أمرهم.

١١٣.بيان مصير الأمم التي كذبت الرسل من الدمار والهلاك، لأخذ العبرة والعظة.

١١٤.بيان عقاب الكذب على الله ﷻ، وعلى الرسول ﷺ، للتنفير منه.

١١٥.إبراز المكانة الرفيعة للعلم، حيث أمر الله ﷻ به، وامتدحه وأهله في مواطنَ كثيرة.

١١٦.وجوب سؤال الناس لأهل العلم عن كل أمور الدين التي يجهلونها من عقيدةٍ وتشريعاتٍ وعبادةٍ وحكم، حيث لا يعذر أحد بجهله إذا قصر عن سؤال أهل العلم.

١١٧.استشعار رقابة الله ﷻ المطلع على نوايا الخلق.

١١٨.محل النية يحجم تحكم العباد برقاب العباد، لأنه لا يطلع على القلوب إلا خالقها، ولا يحاسب عليها إلا هو.

١١٩.التماس العذر، ورفع الحرج والوزر عن المؤمنين إن فعلوه مكرهين.

١٢٠.التوبة أساس الإصلاح والتغيير، والعمل الصالح دليل التوبة.

١٢١.الإصرار على المعصية ظلم للنفس.

١٢٢.ردع المصرين على المعصية بالعقاب.

١٢٣.تحميل المفسدين في الأرض أوزار الذين يضلونهم مع أوزارهم.

١٢٤.الجزاء من جنس العمل، فلا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

١٢٥.مضاعفة الأجر للذين آمنوا وهاجروا وصبروا وعملوا صالحاً.

١٢٦.جزاء الله ﷻ للناس من جنس أعمالهم في الدنيا والآخرة؛ إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ، فجزاء أهل الخير الإحسان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، أما جزاء أهل الشر فالويل والثبور والخذلان، بسبب الكفر والصد والنكران.

١٢٧.تخويف وردع المفسدين بمصير أسلافهم الذين سبقوهم في الكفر والتكذيب، لأخذ العبرة والعظة لعلهم يرشدون.

١٢٨.مضاعفة العذاب لرؤوس الفساد، جزاء صدهم عن دين الله ﷻ .

١٢٩.الإصلاح والتغيير بالحكمة والموعظة الحسنة.

١٣٠.تحلي الداعية بالعلم والحلم والحكمة والقوة.

١٣١.إنزال الناس قدر منازلهم، ومراعاة ظروفهم وأحوالهم.

١٣٢.وجوب اتباع منهج المجادلة بالرفق واللين من غير فظاظةٍ ولا تعنيفٍ في الدعوة إلى الله ﷻ.

١٣٣.إفحام الخصم المجادل بالباطل، والرد عليه بالأدلة والبراهين المقنعة .

١٣٤.بيان أن الجدل صفةٌ ثابتةٌ في الإنسان إلى يوم القيامة .

١٣٥.إثبات أن الذين يجادلون في الباطل يحيدون عن الحق، ويتبعون أهواءهم في التحليل والتحريم.

١٣٦.إهمال المجادلين في الباطل وتهميشهم، إن أصروا عليه، وتعزيز الحق والدفاع عنه.

١٣٧.ردع المجرم وكل من تسول له نفسه بأن يفعل مثله بالعقاب.

١٣٨.تطهير المجتمع من الفاحشة والرذيلة بالعقاب.

١٣٩.العدل في العقاب، والسبق في التسامح.

١٤٠.ترك العقوبة والتحلي بالصبر.

١٤١.الأمر بالصبر، لأن الدعوة إلى الله ﷻ تحتاج إلى صبر وقوةِ تحملٍ واستيعابٍ للمدعوين.

١٤٢.مدح الصبر، وبيان أهميته، لأنه من أهم الأسباب التي تساهم في إنجاح الدعوة إلى الله ﷻ .

١٤٣.بيان أجر الصابرين في أكثر من موطن للحث عليه.

١٤٤.بيان أهمية التقوى في حياة الدعاة، ووجوب الالتزام بها.

١٤٥.التقوى خاصة لله ﷻ.

١٤٦.كشف حقيقة الكافرين وبيان جحودهم.

١٤٧.جعل تقوى الله ﷻ ميزة، تميز بها المتقون عن غيرهم.

١٤٨.بيان ثواب المتقين، ثناءً عليهم، وإكراماً لهم.

١٤٩.معية الله ﷻ للمتقين المحسنين.

التوصيات: أوصي بتفسير القرآن الكريم تفسيراً موضوعياً يستنبط من خلاله منهجيات الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم، وفق منهجيةٍ موحدةٍ، يسير عليها الباحث من أول القرآن إلى آخره، لما في ذلك من أهميةٍ بالغةٍ في حل المشاكل التي نواجهها، وإصلاح الحياة التي نحياها في جميع مجالاتها، وتغيير ما اعتراها من فساد.

ملخص الرسالة

إن الهدف من هذه الرسالة البحث في سورتي الحجر والنحل لاستنباط منهجيات الإصلاح والتغيير التي اشتملت عليها الآيات.

ومن المعلوم أن سورتي الحجر والنحل ركزت على تغيير العقيدة الفاسدة التي كانت عليها قريش، وإصلاحها بعقيدة التوحيد التي خلق كل شيء من أجل الإقرار بها.

فأنزل الله ﷻ المنهج الذي يهدي الناس إلى طريق الحق، وأقام الحجة على الكافرين؛ بالكتب والرسل والدعاة والعقل والنعم التي لا تعد ولا تحصى، فآمن من آمن وحقت له الهداية، وكفر من كفر وحقت عليه الضلالة، وعلى ذلك انقسم الناس قسمين؛ بين معتبر ناج، ومفرط هالك.

أبرز منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الحجر كالتالي:

في المجال العقائدي: إثبات أن القرآن الكريم معجزة الله العظمى، وأن الدين عند الله ﷷ الإسلام، والتأكيد على ذلك بأدلة العقيدة وبراهينها، وإثبات القدرة المطلقة لله ﷷ.

وفي المجال الدعوي: استخدام أساليب الترغيب والترهيب، والحوار، والقصص، وإثبات العناية الربانية للدعاة، وأن الدعوة منهج الأنبياء، وضرورة التدرج في الدعوة.

وفي المجال الأخلاقي: الحث على مبدأ الصفح الجميل، والأدب في الجدل، وبيان أن الحلال يغني عن الحرام.

منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة النحل:

في المجال العقائدي: وجوب النظر في البراهين والنعم الدالة على وحدانية الله ﷷ، واستحقاق الهداية والضلال، وإثبات الحصانة الربانية بالقرآن، وضرب المثل لإثبات وحدانية الله ﷻ.

وفي المجال الأخلاقي: اشتملت الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب الوفاء بالعهد واليمين المنعقدة، والتنفير من الكذب.

وفي المجال الدعوي: مدح العلم وأهله، ومحاسبة المرء على نيته، وأن الله ﷻ وحده المحاسب عليها، وأن العمل الصالح دليل التوبة، والتوبة أساس الإصلاح، وأن الجزاء من جنس العمل، وأن الدعوة إلى الله ﷻ تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدل بالتي هي أحسن، ووجوب العدل في العقاب والعفو عند المقدرة، والصبر في الدعوة، وأن الله ﷷ مع المتقين والمحسنين.

Abstract

The purpose of this study is to search in both (Koranic Sura) of; “Al hajer” and “Al Nahel” in order to explore methodologies of Change and Reform that exist in the verses.

It’s well known that the verses of “Al hajer” and “Al Nahel” focus on changing the rotten beliefs of Quraish and reforming those beliefs with the approach of Tawhid that was created by Allah (Mighty & Majestic) for all creatures to believe in.

And so Allah (Mighty & Majestic) had created the approach that leads humanity to the rote of truth, by that the argument was stated on the infidels through the holy books, the messengers, the preachers, the gift of thinking, and the other graces that are countless and even innumerable, by which some believed and deserved to be survivors, and some doubted and deserved to be doomed, by so people were divided into two parties; first believed and became virtuous, and second doubted and became sinful.

- ***The following are the most prominent methodologies of Change and Reform in surat “Al hajer”.***

The field of ideology: *proving that the holy Qur’an is Allah’s greatest miracle, and that Islam is the religion of Allah (Mighty & Majestic) , confirming that with the doctrine’s evidence and proofs, and last but not least proving the absolute power of Allah (Mighty & Majestic).*

The field of invitation to Islam: *using the techniques of; temptation and intimidation, discourse, tales, proving the Lord’s care for preachers and the significance of graduation in the invitation to Islam.*

The field of Morality: *urging on the principle of forgiveness, the politeness of debate and declaring that (Al-halal) is better than (Al-haram).*

- ***The following are the most prominent methodologies of Change and Reform in surat "Al Nahel".***

The field of ideology: *the necessity of looking into evidence and graces that indicates the oneness of Allah (Mighty & Majestic), the deserves of (Al-hedaya) and (Al-dalal), the proof of the divine's immunity of Qur'an and setting examples to prove the oneness of Allah (Mighty & Majestic)*

The field of Morality: *included the urging on Promotion of Virtue and Prevention of Vice, the necessity of fulfilling the covenant, and deterrent against lying.*

The field of invitation to oneness of Allah*:* *complementing the science and the scientists, held accountable for for one's intention, Allah alone can held accountable for intentions, righteous deeds evidence of repentance, repentance is the essence of righteousness, the reward is according to the actions, The invitation to oneness of Allah is by wisdom and good preaching, controversy is in the best manner, the justice in penalty, amnesty at power, patience, and that Allah is with those who are pious and righteous.*

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة			
١	﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾	٥	١٤٢
٢	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا ...﴾	٢٣	٢٣
٣	﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ...﴾	٢٥	١٢٠
٤	﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ...﴾	٢٧	٥٠
٥	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ ...﴾	٣٠	٧٨-٩٥
٦	﴿فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ...﴾	٣٧	٧٨-٩٤-١٩٢
٧	﴿خُذُوا مَا آَتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ...﴾	٦٣	٢١٢
٨	﴿...فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ...﴾	١٠٩	٨٩
٩	﴿قُولُوا آَمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا...﴾	١٣٦	٢٨
١٠	﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو...﴾	١٥١	٨
١١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ ...﴾	١٥٣	٦٥
١٢	﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾	١٥٥	٦١
١٣	﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾	١٩٤	٢٣٥
١٤	﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ...﴾	٢٢٢	١٩٣
١٥	﴿وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	٢٢٤	٤
١٦	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ ...﴾	٢٥٦	١٤١
١٧	﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾	٢٦٩	٢٠٥
١٨	﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾	٢٨٦	٩٩
سورة آل عمران			
١٩	﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ...﴾	١٨	١١٧
٢٠	﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ ﴾	١٩	٢٨

٢١	﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ...﴾	٨٥	٢٨
٢٢	﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ...﴾	٣٣	٧
سورة النساء			
٢٣	﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾	٤٠	٣٩
٢٤	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ...﴾	٧٦	١٠٦
٢٥	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ...﴾	٩٧	٢٢٨
٢٦	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ...﴾	١١٠	١٩٢
٢٧	﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ...﴾	١١٦	٢٦-١١٩
٢٨	﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ ...﴾	١١٩	٩٤
٢٩	﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾	١٢٠	١٧٢
٣٠	﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ...﴾	١٦٥	٦٦-١٤١
سورة المائدة			
٣١	﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾	٢٧	٢٣٦
٣٢	﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	٤٨	١-٦٦
٣٣	﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾	٦٧	٦٣
٣٤	﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ...﴾	٧٦	٢٦
٣٥	﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾	٩٨	٨١
سورة الأنعام			
٣٦	﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ...﴾	٢٧	٦٩
٣٧	﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ...﴾	٣١	٧-١٥
٣٨	﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ...﴾	٣٣	٧١
٣٩	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ...﴾	٨٢	١٢٠
٤٠	﴿هَذَا للهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا...﴾	١٣٦	١٧٥
سورة الأعراف			
٤١	﴿قَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ...﴾	٢٠-٢١	٩٤
٤٢	﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾	٢١	٩٤-١٧٢
٤٣	﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا...﴾	٢٣	١٩٢
٤٤	﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾	٢٤	٩٤-١٦١

٤٥	﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ...﴾	٢٧	٩٩
٤٦	﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ...﴾	٨٠	٧٩
٤٧	﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا...﴾	٩٧-٩٨	١٩٥
٤٨	﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾	١١٩	١٤٧
٤٩	﴿إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ...﴾	١٢٨	٢٣٣
٥٠	﴿يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ﴾	١٥٧	١٦١
٥١	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٢٢
٥٢	﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ...﴾	١٧١	٢١٢
٥٣	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ...﴾	١٧٢	١٤٠-١٦٣
٥٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾	٢٠١	٢٣٥
سورة الأنفال			
٥٥	﴿إِن تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾	٢٩	٢٣٦
٥٦	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ ....﴾	٣٠	٦٢-٢٠٢
٥٧	﴿اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ...﴾	٣٢	١٢٢
٥٨	﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ...﴾	٣٨	١١٩-١٩١
٥٩	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا....﴾	٥٣	٥-٦-٧-١٣٧
٦٠	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾	٦٠	٢١٢
سورة التوبة			
٦١	﴿فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ...﴾	٥	٩٢
٦٢	﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ...﴾	٢٤	٢٠٢
٦٣	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى ...﴾	٣٣	٢٢
٦٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾	١١٩	١٧٩
٦٥	﴿وَمَا كَانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ... ﴾	١٢٢	١٦١
٦٦	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ...﴾	١٢٨	٧٣
سورة يونس			
٦٧	﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ....﴾	٦٢-٦٣	٢٣٢
٦٨	﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾	٤٥	٧-١٥

٦٩	﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾	٥٤	٢٧
٧٠	﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾	٩٧	١٥
سورة هود			
٧١	﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ...﴾	٢٩	٧٣
٧٢	﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾	٤٠	٢٢٥
٧٣	﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾	٤٩	٢٣٢
٧٤	﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾	٥٢	٢١٢
٧٥	﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾	٧٨	١٠٤
٧٦	﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ...﴾	٨٠	٢١٢
٧٧	﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا ...﴾	٨٨	ح – ٤
٧٨	﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ ...﴾	٩١	٩٦
٧٩	﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ...﴾	١٠٢	١٩٥
٨٠	﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ...﴾	١٢٠	٧٧
سورة يوسف			
٨١	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ...﴾	٣	٧٦
٨٢	﴿أَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾	١٠	٢٢٥
٨٣	﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾	٤٢	٢٢٥
٨٤	﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ...﴾	٨٢	١٨٠
٨٥	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ...﴾	١٠٨	٦٧–٢٠٨
٨٦	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾	١١١	٧٧–٨٢
سورة الرعد			
٨٧	﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾	٧	١٤١
٨٨	﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾	١٣	٩٩
٨٩	﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ...﴾	٤٠	١٢٦
٩٠	﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً﴾	٤٢	٦١
سورة إبراهيم			
٩١	﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾	١٠	١٠١

٩٢	﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ...﴾	١٧	١١١
٩٣	﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾	٣٤	١١١-١٣٢-١٣٤
٩٤	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾	٤٢	١٢
٩٥	﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾	٤٤	١٢
٩٦	﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ...﴾	٤٥	٤٠
٩٧	﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ...﴾	٤٨-٥٠	١١
٩٨	﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا ...﴾	٥٢	١٢-٦٥
	سورة الحجر		
٩٩	﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾	١	١٣-١٩-٢٤-٨٤
١٠٠	﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾	٢	١١-١٢-١٣-١٥-٢٥:٢٩-٤٥-٦٨-٧٥-٩١
١٠١	﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ...﴾	٣	٥٢-٩١
١٠٢	﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾	٤	١٥-٣٩-٤٦
١٠٣	﴿ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾	٥	٥٥
١٠٤	﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾	٦	١٠٤
١٠٥	﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ....﴾	٧-٨	١٣
١٠٦	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩	١٩
١٠٧	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾	١٠	٢٤-٦٢-٦٥
١٠٨	﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ...﴾	١١-١٢	٦٢
١٠٩	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾	١٣	٢٣٢
١١٠	﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ ...﴾	١٤	٤٧-٧١-٧٥
١١١	﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ ...﴾	١٥	٤٧-٧١-٧٥
١١٢	﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا . ..﴾	١٦-٢٥	٣٠-٣١-٣٧-٤٧
١١٣	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾	٢٦	٣٥-٣٨-٧٧
١١٤	﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾	٢٧	٣٨-٧٧
١١٥	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا..﴾	٢٨-٢٩	٥٥-٥٨-٧٧
١١٦	﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ .....﴾	٣٠-٣١	٧٧
١١٧	﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ .....﴾	٣٤	٩٣
١١٨	﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾	٣٩	٧٨

١١٩	﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾	٤١	٤١-١٠٣
١٢٠	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ... ﴾	٤٢	٤١-٦٥-١٠٣
١٢١	﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٤٣	٤٦-٥٠-٧٨-٩٥-٩٧
١٢٢	﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾	٤٤	٤١-٩٥
١٢٣	﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ... ﴾	٤٥-٤٨	١٦-٥٠-٢٣٢
١٢٤	﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ... ﴾	٤٩-٥٠	٤٤-٥١
١٢٥	﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾	٥١	٧٦-٧٨
١٢٦	﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا... ﴾	٥٢	٧٨-١٠٤
١٢٧	﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾	٥٣	١٠٤
١٢٨	﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾	٥٤	٣٨-١٠٥
١٢٩	﴿ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴾	٥٥	٧٨-١٠٥
١٣٠	﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾	٥٦	٣٨-٧٨-١٠٥
١٣١	﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴾	٥٨	٣٦-٣٩-٧٩-٩٧
١٣٢	﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٥٩	٣٩-٧٩-٩٧
١٣٣	﴿ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾	٦٠	٧٩
١٣٤	﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ... ﴾	٦١-٦٥	٥٢-٥٥-٧٤
١٣٥	﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ... ﴾	٦٦-٦٧	٥٨-٧٩
١٣٦	﴿ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾	٦٨	٧٩-٩٧-١٠٥
١٣٧	﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾	٦٩	٧٩-٩٧
١٣٨	﴿ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ... ﴾	٧٠-٧٢	٧٩
١٣٩	﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾	٧٣	٣٦-٣٩-٧٩
١٤٠	﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ ... ﴾	٧٤	٣٦-٣٩-٧٩-٨٠-٩٥
١٤١	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ... ﴾	٧٥-٧٦	٨٢-٩٧
١٤٢	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٧٥-٧٧	٩٧
١٤٣	﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴾	٧٨	٣٦-٣٧-٧٦-٨٠-٩٦
١٤٤	﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ﴾	٧٩	٣٦-٨٠-٩٧
١٤٥	﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ... ﴾	٨٠-٨٢	٨٠-٨١-٩٦
١٤٦	﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾	٨٣	٣٩-٨٠-٨١-٩٦-٩٧

١٤٧	﴿ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾	٨٤	٩٦-٩٧
١٤٨	﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾	٨٥	٥٣-٧٦-٨٩-٩٠-٩١-٩٢
١٤٩	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾	٨٧	١٩-٢٢
١٥٠	﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ... ﴾	٨٨	٧٢-٧٣
١٥١	﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ... ﴾	٨٩-٩٠	٥٣
١٥٢	﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾	٩١	١٩-٥٣
١٥٣	﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ... ﴾	٩٢-٩٣	٥٣
١٥٤	﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾	٩٤	١٤
١٥٥	﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾	٩٥	١٤-٤٠-٥٤-٦٠
١٥٦	﴿ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾	٩٦	١٤-١٦
١٥٧	﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾	٩٧	١٤-٦٤
١٥٨	﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾	٩٨	١٤-١٦-٦٤-٦٥-٨٥
١٥٩	﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾	٩٩	٦٤
	سورة النحل		
١٦٠	﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	١	١١٣-١٢٠
١٦١	﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ... ﴾	٢	١٢٠-١٢١-١٢٣-١٢٥-١٣١
١٦٢	﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ... ﴾	٣	١٢٦-١٣١
١٦٣	﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ... ﴾	٥-١٣	١٣٢
١٦٤	﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا... ﴾	١٤	١٣٧-١٨٣
١٦٥	﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا... ﴾	١٥-١٦	١٣٢
١٦٦	﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ... ﴾	١٧- ٢٠	١٣٢-١٣٤
١٦٧	﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾	٢١	١٣٤
١٦٨	﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ... ﴾	٢٢-٢٣	١٣٤-١٤٦
١٦٩	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾	٢٤	١٩٧
١٧٠	﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ... ﴾	٢٥	١٨٥-١٩٧-١٩٨-٢٠٣
١٧١	﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ... ﴾	٢٦-٢٧	١٩٧
١٧٢	﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ... ﴾	٢٨	١٩٧-١٩٩
١٧٣	﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا... ﴾	٣٠	٢٠١-٢٠٣-

			٢٣٧-٢٣٣
١٧٤	﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ... ﴾	٣١-٣٢	-٢٣٢-٢٠١ ٢٣٧-٢٣٣
١٧٥	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ... ﴾	٣٣	-١٩٤-١٩٠ -١٩٧-١٩٦ ٢٠٠
١٧٦	﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ... ﴾	٣٤	-١٩٤-١٩٠ -١٩٧-١٩٦ ٢٠٤-٢٠٠
١٧٧	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا... ﴾	٣٥	١٤١-١٢٨
١٧٨	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ.... ﴾	٣٦-٣٧	١٢٨
١٧٩	﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ... ﴾	٣٨-٤٠	١٢١
١٨٠	﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ... ﴾	٤١	-٢٠٣-٢٠١ ٢٢٧
١٨١	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ... ﴾	٤٣	-١١٦-١١٥ ١٨٦-١٨٤
١٨٢	﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ... ﴾	٤٥-٤٦	-١٩٠-١٣١-١٢٨ -٢٠٠-١٩٦-١٩٤ ٢٠٤
١٨٣	﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾	٤٧	٢٠٤-٢٠٠
١٨٤	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ... ﴾	٤٨-٤٩	١١٤
١٨٥	﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾	٥٠	١٥٠-١٤٧
١٨٦	﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ... ﴾	٥١-٥٣	١٢٧
١٨٧	﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ... ﴾	٥٥-٦١	١٧٣
١٨٨	﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ... ﴾	٦٣	-١٤٦-١٤٤ ١٤٧
١٨٩	﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ... ﴾	٦٤	١٤٠-١١٥
١٩٠	﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا... ﴾	٦٥-٦٧	١٣٥
١٩١	﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا... ﴾	٦٨	١٣٥-١٠٨
١٩٢	﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا... ﴾	٦٩-٧٣	١٣٥-١٠٨
١٩٣	﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٧٤	١٥٦-١٥٣
١٩٤	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ... ﴾	٧٥-٧٧	-١٥٣-١٥٠ ١٥٦
١٩٥	﴿ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ... ﴾	٧٨	١٨٥-١٥٣
١٩٦	﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ... ﴾	٧٩-٨١	١٢٩
١٩٧	﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾	٨٢	١٤١-١٢٦

١٩٨	﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾	٨٣	١٣٦
١٩٩	﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا... ﴾	٨٤	١١٤–٢٠٧
٢٠٠	﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ... ﴾	٨٥	١٢٢
٢٠١	﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ ... ﴾	٨٦	١٧٦
٢٠٢	﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ... ﴾	٨٩	١٣٨–١٤٠
٢٠٣	﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى... ﴾	٩٠	١٥٨–١٦٢
٢٠٤	﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ... ﴾	٩١	١٦٣–١٦٤– ١٦٩
٢٠٥	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا... ﴾	٩٢	١٦٦
٢٠٦	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ... ﴾	٩٣	١٣٨–١٤٢– ١٤٤
٢٠٧	﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا... ﴾	٩٤	١٦٣–١٦٧– ١٦٩
٢٠٨	﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ... ﴾	٩٥	١٠٩–١٦٣– ١٦٨–١٦٩
٢٠٩	﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ ... ﴾	٩٦–٩٧	١٠٩–١٩٦– ٢٠٢–٢٢٣– ٢٢٩
٢١٠	﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾	٩٨	١٤٤–١٤٥– ١٤٩
٢١١	﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾	٩٩	١٤٨
٢١٢	﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ... ﴾	١٠١	١٤٨–١٥٠– ١٨٥
٢١٣	﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ... ﴾	١٠٢–١٠٣	١٣٩–١٤٢– ١٤٨–١٥٠
٢١٤	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	١٠٤	١٣٩–١٤٢– ١٤٩
٢١٥	﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ... ﴾	١٠٥	١٤٩
٢١٦	﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ... ﴾	١٠٦	١٨٧–١٩٠
٢١٧	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ... ﴾	١٠٧–١٠٨	١٨٧
٢١٨	﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	١٠٩	١٨٧
٢١٩	﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا... ﴾	١١٠	٢٢٣–٢٢٨– ٢٢٩
٢٢٠	﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى ... ﴾	١١١	٢١٦
٢٢١	﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ... ﴾	١١٢	١٣٧–١٥٥– ١٥٦
٢٢٢	﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ... ﴾	١١٣	١١٥–١٢٦–١٧٠– ١٧٧–١٧٨–١٨٠– ٢٢٦

٢٢٣	﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	١١٤	١٣٧-١٨٣
٢٢٤	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ...﴾	١١٥	١٣٧-١٨٣-٢١٦
٢٢٥	﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ ...﴾	١١٦	١١٧-٢١٦-٢١٨-٢٢٠
٢٢٦	﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ...﴾	١١٧-١٢٣	١٨٣-٢١٦
٢٢٧	﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ...﴾	١٢٦	١١٣-٢٢٠-٢٢١-٢٣٠
٢٢٨	﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ...﴾	١٢٧	١١٣-٢٢١
٢٢٩	﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾	١٢٨	١١٣
سورة الإسراء			
٢٣٠	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ...﴾	١	١١٢
٢٣١	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾	٩	١٤١
٢٣٢	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	١٥	١٤١
٢٣٣	﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾	٢٦	١١٣
٢٣٤	﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾	٣٤	١٦٤
٢٣٥	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾	٧٠	٤٩
٢٣٦	﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	٨٢	١١٢
٢٣٧	﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا...﴾	٨٨	٢٠
٢٣٨	﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ...﴾	١١١	١١٨
سورة الكهف			
٢٣٩	﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾	٥٤	٩٩
سورة مريم			
٢٤٠	﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾	١٢	٢١٢
سورة طه			
٢٤١	﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾	٤٦	٢٣٥
٢٤٢	﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾	٥٠	١٤٠
٢٤٣	﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ...﴾	١٢٣	٩٤
٢٤٤	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾	١٢٤	٢٩-١٩٥-١٩٨
٢٤٥	﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ...﴾	١٣١	٧٢
سورة الأنبياء			
٢٤٦	﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾	١	١٢١

٢٤٧	﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾	٧٩	٢٠٥
٢٤٨	﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	٨٣	٢٢٥
٢٤٩	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	٢٢٢
سورة الحج			
٢٥٠	﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾	٣٨	٢٣٥
٢٥١	﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ...﴾	٣٩-٤٠	٨٦-٨٧
٢٥٢	﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾	٤٨	١٩٥
سورة المؤمنون			
٢٥٣	﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾		١١٨
سورة النور			
٢٥٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا...﴾	١٩	١٦١
٢٥٥	﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا﴾	٣١	١٩١
٢٥٦	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ...﴾	٣٩	١١٩
سورة الفرقان			
٢٥٧	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	٢٢
٢٥٨	﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ...﴾	٢٧	١٥
٢٥٩	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا..﴾	٣١	٨٦
سورة الشعراء			
٢٦٠	﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾	٢٧	٥٧
٢٦١	﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾	١٦٥	٩٥
٢٦٢	﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	١٨٩	٨٠
٢٦٣	﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾	٢٠١	٦٤
٢٦٤	﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾	٢٠٩	٣٩
٢٦٥	﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾	٢١٤	٨٤-٨٧
سورة النمل			
٢٦٦	﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ ...﴾	٥٦	٧٩
٢٦٧	﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾	٧٠	٢٢٦
سورة القصص			
٢٦٨	﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾	٤٨	٢٥
٢٦٩	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ...﴾	٥٦	١٤٢

سورة العنكبوت			
٢٧٠	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ...﴾	١٤	٢٢٥
٢٧١	﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ﴾	٢٩	١٢٢
٢٧٢	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	٤٦	٢١٤
سورة الروم			
٢٧٣	﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ...﴾	٩	٤٠
٢٧٤	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ...﴾	٣٠	٣٦
سورة لقمان			
٢٧٥	﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾	١٢	ت
٢٧٦	﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣	٧١-٩٢-١٢٠
٢٧٧	﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ...﴾	٣٢	١١٨
سورة السجدة			
٢٧٨	﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾	٢٤	٢٢٤
سورة الأحزاب			
٢٧٩	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ...﴾	٧٢	١٣١
سورة فاطر			
٢٨٠	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ..﴾	٦	٧٨
٢٨١	﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾	٨	٧٣
٢٨٢	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	٢٨	١٨٢
٢٨٣	﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾	٤٣	٦٠
سورة يس			
٢٨٤	﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ...﴾	٧٨-٧٩	١٢٧
سورة الصافات			
٢٨٥	﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ* وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ...﴾	١٥١-١٥٤	١٧٦
سورة ص			
٢٨٦	﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾	٤٤	٢٢٥
سورة الزمر			
٢٨٧	﴿أَلَا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ...﴾	٣	٧
٢٨٨	﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	١٠	٢٢٩
٢٨٩	﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ ...﴾	٢٣	٢٠
٢٩٠	﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا...﴾	٤٩	١٤٠
٢٩١	﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ...﴾	٥٣	١٩٢

٢٩٢	﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا ...﴾	٦٧	٣٤
	سورة غافر		
٢٩٣	﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ...﴾	٣	٥١
٢٩٤	﴿وَجَادَلُوا بِالبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ﴾	٥	١٠٢
٢٩٥	﴿لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾	١٦	٣٣-٣٧
٢٩٦	﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾	٢٨	١٧١
	سورة فصلت		
٢٩٧	﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِ ْ رْضِ ...﴾	١١	١٣١
٢٩٨	﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾	١٨	٢٣٥
٢٩٩	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا...﴾	٣٣	٢٥-٢٠٨
٣٠٠	﴿لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	٢٠
٣٠١	﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	٤٦	٣٩
	سورة الشورى		
٣٠٢	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾	١١	٧
٣٠٣	﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...﴾	٣٨	٨
٣٠٤	﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾	٤٠	٢٢١
٣٠٥	﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى ِ ا ٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	٥٢	١٤١
	سورة الزخرف		
٣٠٦	﴿فَاصْفَ ْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾	٨٩	٨٩-٩٢
	سورة الدخان		
٣٠٧	﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾	٢٩	١٠٦
	سورة الجاثية		
٣٠٨	﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ﴾	١٤	٩٣
٣٠٩	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾	١٥	١٩٧-٢٠٤
	سورة الأحقاف		
٣١٠	﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ ...﴾	٢٠	٦٩
	سورة محمد		
٣١١	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ...﴾	١٢	٦٩
٣١٢	﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾	٢٢	١٦٠
٣١٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ...﴾	٣٤	١١٩
٣١٤	﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾	٣٨	٢٠٩

سورة الحجرات			
٣١٥	﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ...﴾	٧	٢٣٦
٣١٦	﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	٩	٤
٣١٧	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾	١٣	٢٣٢
سورة الذاريات			
٣١٨	﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ﴾	١٠	١٧١
٣١٩	﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾	٥٠	٢٠٢
٣٢٠	﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ...﴾	٥٢	٨٦
٣٢١	﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٢٦-٤٨-٧٨- ٩١-٩٥- ٢٠٨-٢٣٣
سورة الطور			
٣٢٢	﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾	١٤	١٩٤
سورة النجم			
٣٢٣	﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى﴾	٢١	١٧٦
٣٢٤	﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾	٢٢	١٥٣-١٧٦
٣٢٥	﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ ...﴾	٢٨	٨
سورة الحشر			
٣٢٦	﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾	٢	٣٩
سورة الممتحنة			
٣٢٧	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ ...﴾	٦	٦٦
سورة الصف			
٣٢٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ...﴾	٣	١٦٤
سورة المنافقون			
٣٢٩	﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لهم...﴾	٦	١٢٠
سورة الطلاق			
٣٣٠	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ ـَرَجًا ﴾	٢-٣	٢٣٦
سورة الملك			
٣٣١	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَـ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾	٣٠	٣٧
سورة القلم			
٣٣٢	﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾	٢	٥٧
٣٣٣	﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾	٩	٢١٣
٣٣٤	﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ إِذْ نَادَى﴾	٤٨	٢٢٥

سورة الجن			
٣٣٥	﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾	١٢	٤٨
سورة الإنسان			
٣٣٦	﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾	٣	١٤٢
سورة المرسلات			
٣٣٧	﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾	٣٥-٣٦	١٢٢
سورة النبأ			
٣٣٨	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾	٢٧	١٤٦
٣٣٩	﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ...﴾	٤٠	٢٧
سورة الانفطار			
٣٤٠	﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾	٧	٤٩
سورة النازعات			
٣٤١	﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى﴾	٤٠	١٥٩
سورة المطففين			
٣٤٢	﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	١٤	١٢٨
سورة البلد			
٣٤٣	﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾	١٠	١٤٢
سورة الضحى			
٣٤٤	﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾	٣	٦٢
سورة البينة			
٣٤٥	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ...﴾	٥	٦٦
سورة التكاثر			
٣٤٦	﴿ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر﴾	١-٢	٤٦
سورة قريش			
٣٤٧	﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ...﴾	٣-٤	١٥٥

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الصفحة
١	(.. إِن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك...)	١٠٣
٢	(أربع من كن فيه كان منافقا خالصا...)	١٦٥-١٧٢
٣	(أشد الناس بلاء الأنبياء...)	٦١
٤	(أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا...)	٢١٩
٥	(اغزوا باسم الله في سبيل الله)	٨٧
٦	(الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه...)	١٦٠
٧	(التقوى هاهنا)	١٣٢
٨	(المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف...)	٢١٢
٩	(أُم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم)	٢٢
١٠	(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ..)	٢٨-٨٧
١١	(إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم...)	٩٩
١٢	(إن أجمع آية في القرآن للخير والشر في سورة النحل...)	١٥٨
١٣	(إن التوراة كلها في خمس عشرة آية ...)	١١٢
١٤	(إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة...)	١٧١
١٥	(إن الغادر يرفع له لواء يوم القيامة...)	١٦٤
١٦	(إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم...)	١٨٧
١٧	(إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته...)	١٩٥
١٨	(أنا أغنى الشركاء عن الشرك...)	٢٦
١٩	(إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله...)	١٢٥
٢٠	(إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى.....)	١٨٧
٢١	(إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به....)	٧٤

٢٢	(ائذنوا له فبئس ابن العشيرة...)	٢١٣
٢٣	(بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ غريبا...)	٦٢
٢٤	(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله..)	٢٨
٢٥	(تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء ...)	٢
٢٦	(حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات)	١٤٧
٢٧	(خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار...)	٤٨
٢٨	(فإن الله إنما بعثني أدعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة ...)	٢٠٦
٢٩	(فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدًا ...)	٢١٠
٣٠	(قَال اللَّه أَعددت لعبادي الصَّالحين...)	٥٠
٣١	(قال الله ﷻ: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة...)	١٦٤
٣٢	(قَال لي جبريل من مات من أمتك لا يشرك بالله...)	١١٩
٣٣	(قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة...)	١٦٠
٣٤	(قد أفلح من أسلم...)	٢٠٣
٣٥	(كل بني آدم خطاء...)	١٩٢
٣٦	(كيف تجد قلبك؟...)	١٨٨
٣٧	(لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم...)	٨١
٣٨	(لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم ألا يشربوا من بئرها...)	٨١
٣٩	(ليس أحد، أو: ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله...)	١٩٥
٤٠	(ليس هو كما تظنون ...)	١١٧
٤١	(لأمثلن بثلاثين من قريش...)	٢٢١
٤٢	(من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم)	٢٣٢
٤٣	(ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله..)	١٢٤
٤٤	(ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة...)	٢٣٣
٤٥	(ما من مولود إلا يولد على الفطرة...)	١٣٩
٤٦	(مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله...)	٦٨
٤٧	(من دل على خير فله مثل أجر فاعله)	٢٠٩

٤٨	(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه...)	١٦٢-٥
٤٩	(من سن في الإسلام سنة حسنة...)	١٩٨
٥٠	(مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحده لَا شَرِيكَ لَهُ...)	١٢٠
٥١	(من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله...)	١٢٤
٥٢	(من يرد الله به خيرا يصب منه)	٦١
٥٣	(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)	٢٠٥
٥٤	(وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به.....)	١٤٥
٥٥	(يا معاذ أَتدري ما حقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ...)	٤٠
٥٦	(يجمع الله الناس، فيقول...)	١٧٧
٥٧	(يقول الله عز وجل العظمة إزاري والكبرياء ردائي ...)	١٤٦
٥٨	(يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان...)	٦٨

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لها

الصفحة	الأعلام	م
١٢٤	ابن عيينة : سفيان، أبو محمد بن ميمون الهلالي الكوفي	١
١١	ابن مردويه: هو أبو بكر أحمد بن موسى الأصبهاني	٢
٢٠٦	أبي ليلى الأشعري: اسمه عامر بن لدين	٣
١١٠	جابر بن زيد: الأزدي، أبو الشعثاء	٤
١٩٨	جرير بن عبد الله: ابن نصر بن ثعلبة بن جشم	٥
٢	حذيفة: بن اليمان، أبو عبد الله العبسي.	٦
٦٩	الحطيئة: أبو مليكة الشاعر: جرول بن أوس بن مالك	٧
١٢٤	خالد بن يزيد: بن عبد الرحمن بن أبي مالك	٨
٢١٩	ربعي بن حراش: بن جحش بن عمرو العبسيّ	٩
٣	الزجاج : هو إِبراهيم بن السّري سهل أبو إسحاق	١٠
١٩٥	الضحاك : ثابت بن الضحاك الأشهلي الأوسي	١١
١٢٠	عُبَادَة بن الصَّامت: بن قيس الخزرجي، الأنصاري	١٢
٢٢٨	عكرمة: بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس	١٣
٨٢	الفراء : علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن العبسيّ	١٤
١٠٨	قتادة: السدوسي، أبو الخطاب، بن دعامة البصري	١٥
٩٠	مجاهد: هو بن جبر، أبو الحجاج مولى قيس بن السائب	١٦
١٦٥	مزيدة بن جابر: العبدي الْعصْرِيّ	١٧
١١	النحاس: هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس	١٨
١٢٤	يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك، واسمه هانئ	١٩

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

١. الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: فوقية حسين محمود، الناشر: دار الأنصار – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧.

٢. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ)، المحقق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، الناشر: دار الراية للنشر – السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

٣. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

٤. الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله الدوسري (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، الناشر: مكتبة دار الأرقم، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م.

٥. الآحاد والمثاني، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩١.

٦. الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٧. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.
٨. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم= تفسير أبي السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٩. أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم، أبو المجد سيد نوفل، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
١٠. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م
١١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
١٢. أسد الغابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت عام النشر: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
١٣. أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
١٤. الإسلام أصوله ومبادؤه، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
١٥. الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ)، وضع حواشيه وخرج أحاديثه:

زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولـــى، ١٤١٩ هـــ - ١٩٩٩ م.

١٦. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بـــن حجـــر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـــ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـــ.

١٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختـــار بـــن عبـــد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـــ)، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـــ - ١٩٩٥ م.

١٨. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشـــر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـــ ٢٠٠٢م.

١٩. الإعجاز والإيجاز، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتـــوفى: ٤٢٩هـــ)، الناشر: مكتبة القرآن – القاهرة.

٢٠. إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بـــن يـــونس المـــرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـــ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليـــل إبـــراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولـــى، ١٤٢١ هـــ.

٢١. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (الكتـــاب نـــشر - أيـــضاً - بعنوان: ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية)، حافظ بن أحمد بن علي الحكمـــي (المتوفى: ١٣٧٧هـــ)، تحقيق: حازم القاضي، الناشـــر: وزارة الـــشؤون الإســـلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢هـــ.

٢٢. أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـــ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٩هـــ.

٢٣. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
٢٤. الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
٢٥. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
٢٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
٢٧. أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣هـ- فبراير ١٩٦٤م.
٢٨. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٢٩. الإيمان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٣٠. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

٣١. البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، الناشر: دار الكتبي، الطبعة:الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣٢. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٣٣. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.

٣٤. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م.

٣٥. الكتاب : البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة ، لعبد الفتاح القاضي، مصدر الكتاب : موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، .http://www.qurancomplex.com

٣٦. البرهان فى تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٣٧. بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمي الحنفي (المتوفى: ١١٥٦هـ)، الناشر: مطبعة الحلبي، الطبعة: بدون طبعة، ١٣٤٨هـ.

٣٨. بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مطبعة الترقي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥ م.
٣٩. البيان في مداخل الشيطان، عبد الحميد جاسم أحمد الجاسم البلالي، قدم له: محمد أحمد الراشد، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: السادسة، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
٤٠. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٥٢٠هـ)، حققه: محمد حجي وآخرون، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
٤١. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
٤٢. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.
٤٣. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ.
٤٤. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٤٥. تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه – شروطه وأسبابه – مراحله وأهدافه)، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، الناشر: مكتبة الصحابة، الشارقة – الإمارات، مكتبة التابعين، مصر – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
٤٦. التبيان في تفسير غريب القرآن، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفى: ٨١٥هـ) المحقق: ضاحي عبد الباقي محمد، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ .
٤٧. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
٤٨. التدرج في دعوة النبي، إبراهيم بن عبد الله المطلق، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.
٤٩. التربية الإسلامية للصف الثاني الثانوي العلوم الإنسانية والعلمي والتجاري والصناعي والزراعي والفندقي والتجميل وصناعة الملابس، حمزة ذيب وآخرون، مروان المقدومي، أيمن الدباغ، الطبعة الثانية التجريبية،٢٠١٠/٢٠١١م.
٥٠. التربية الإسلامية، الصف العاشر الأساسي، شفيق عياش، جمعة بركات أبو فخيدة، محمد مطلق عساف، الطبعة الثانية التجريبية، ١٤٢٦ه–٢٠٠٥م.
٥١. تزكية النفوس، أحمد فريد، الناشر: دار العقيدة للتراث – الإسكندرية، سنة النشر: ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.
٥٢. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.
٥٣. التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، علي علي صبح، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث.

٥٤. تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٥٥. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٥٦. تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ.

٥٧. التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ.

٥٨. تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

٥٩. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

٦٠. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٦١. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم

وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٦٢. تفسير القرآن، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٦٣. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

٦٤. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى:٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

٦٥. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

٦٦. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

٦٧. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٦٨. التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ.

٦٩. التفسير الوسيط للزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٧٠. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.
٧١. تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
٧٢. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.
٧٣. تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
٧٤. تناسق الدرر في تناسب السور، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.
٧٥. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما (المتوفى: ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان.
٧٦. تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
٧٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)،المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠.

٧٨. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٧٩. التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: فتح الله خليف، الناشر: دار الجامعات المصرية– الإسكندرية.
٨٠. التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، الناشر: دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٨١. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)،الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.
٨٢. تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام (المتوفى: ١٤٢٣هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصنع فهارسه: محمد صبحي بن حسن حلاق، الناشر: مكتبة الصحابة، الأمارات – مكتبة التابعين، القاهرة، الطبعة: العاشرة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦ م.
٨٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.
٨٤. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
٨٥. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن

ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ه.

٨٦. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ)، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٨٧. الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ.

٨٨. جزء أبي الطاهر، من حديث أبي الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الذهلي، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦.

٨٩. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى:٣٢١هـ)، رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين–بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٩٠. الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن على بن وهف القحطاني، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد– المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، عدد الصفحات: ٦١٣.

٩١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)،الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٩٢. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

٩٣. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٩٤. دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٩٥. دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ)، الناشر: دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٩٦. دروس للشيخ محمد المنجد، محمد صالح المنجد، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net.

٩٧. دروس للشيخ محمد حسان، محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن حسان، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net.

٩٨. الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها، رؤوف شلبي، الناشر: دار القلم، الطبعة: الثالثة.

٩٩. دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجا وأسلوبا، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية.

١٠٠. الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

١٠١. دليل الداعية، ناجي بن دايل السلطان، الناشر: دار طيبة الخضراء، الطبعة: الأولى.

١٠٢. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ)، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الرابعة، ٢٠٠٤ م.

١٠٣. الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: دغش بن شبيب العجمي، الناشر: دار الإمام أحمد- الكويت، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ.
١٠٤. رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤١٣هـ.
١٠٥. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.
١٠٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
١٠٧. رياض الصالحين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي
١٠٨. (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
١٠٩. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة
١١٠. (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.
١١١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
١١٢. سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجا ... وسيرة، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م.

١١٣. سير أعلام النبلاء شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

١١٤. السيرة النبوية – عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد محمد الصَّلاَّبي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

١١٥. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الثامنة – ١٤٢٧ هـ.

١١٦. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، المحقق: طه عبد الرءوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة.

١١٧. السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١١٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط،خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

١١٩. شرح الأصول الثلاثة، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى – ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

١٢٠. شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي-دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٢١. شرح العقيدة الطحاوية، سفر بن عبدالرحمن الحوالي.

١٢٢. شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابـن أبـي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شـاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعـة: الأولـى - ١٤١٨ هـ.

١٢٣. شرح العقيدة الطحاوية، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، إعـداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، الناشر: دار التدمرية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ .

١٢٤. شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، خالد بن عبد الله بن محمـد المصلح، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

١٢٥. شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، المحقق: سعد فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي، الريـاض، المملكـة العربيـة السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤١٩هـ.

١٢٦. الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمـد العثيمـين (المتـوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢- ١٤٢٨هـ.

١٢٧. شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ.

١٢٨. الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣ هـ.

١٢٩. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بـن سـعيد الحميـرى اليمنـي (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٣٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ.
١٣١. صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
١٣٢. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، القاضي/حسين بن محمد المهدي – عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، الناشر: سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة٢٠٠٩م.
١٣٣. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى:٧٥١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة،١٤٠٩هـ.
١٣٤. العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى : ٤٥٨هـ)، حققه وعلق عليه وخرج نصه : أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض – جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة : الثانية ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.
١٣٥. العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية،عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ)،رواية: محمد الصالح رمضان، دار النشر:مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بوداود وشركاؤهما، الجزائر،الطبعة: الثانية.
١٣٦. عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، صالح بن عبد الله العبود، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
١٣٧. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن،

شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.

١٣٨. العين والأثر في عقائد أهل الأثر، عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلي الأزهري الدمشقيّ، تقيّ الدين، ابن فَقِيه فُصَّة (المتوفى: ١٠٧١هـ)، المحقق: عصام رواس قلعجي، الناشر: دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٣٩. غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : ١١٨٨هـ)، الناشر : مؤسسة قرطبة، مصر، الطبعة : الثانية ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.

١٤٠. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، المحقق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

١٤١. غريب الحديث، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥.

١٤٢. غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، أحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي (المتوفى: ١٠٩٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

١٤٣. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت،عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

١٤٤. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

١٤٥. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

١٤٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي- القاهرة.

١٤٧. فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ، عدد الصفحات: ١٢٨٩.

١٤٨. الفقيه و المتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١ه.

١٤٩. فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر-بيروت، الطبعة: الأولى،١٩٧٣.

١٥٠. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ)، الناشر: دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

١٥١. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

١٥٢. القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر. دمشق - سورية، الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م، تصوير: ١٩٩٣ م.

١٥٣. قصص الأنبياء، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤ه، تحقيق: أبي الفداء أحمد بن بدر الدين، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى،١٤٢٣ه-٢٠٠٢م.

١٥٤. الكبائر، تنسب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الندوة الجديدة – بيروت.
١٥٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ .
١٥٦. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢م.
١٥٧. كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي،الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق:زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي– بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٣٩٧.
١٥٨. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
١٥٩. الكنى والأسماء، أبو بِشْر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.
١٦٠. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.
١٦١. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
١٦٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
١٦٣. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة: الثالثة.
١٦٤. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
١٦٥. المباحث العقدية المتعلقة بالكبائر ومرتكبها في الدنيا، سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة والثلاثون - العدد (١٢٣) ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
١٦٦. مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤١هـ/١٩٩٥م.
١٦٧. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة:الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
١٦٨. مجالس التذكير من حديث البشير النذير، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ)، الناشر: مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٦٩. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى:١٤٢٠هـ)،أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

١٧٠. مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد الفقهية، أبو محمد، صالح بن محمد بن حسن آل عميِّر، الأسمري، القحطاني، اعتنى بإخراجها: متعب بن مسعود الجعيد، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٧١. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

١٧٢. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٧٣. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ .

١٧٤. مختصر تفسير البغوي، عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

١٧٥. مختصر معارج القبول، أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة، الناشر : مكتبة الكوثر - الرياض، الطبعة : الخامسة ، ١٤١٨ هـ.

١٧٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م.

١٧٧. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، عثمان جمعة ضميرية، تقديم: عبد الله بن عبد الكريم العبادي، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٧٨. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليمــا، التناري بلدا (المتوفى: ١٣١٦هـ)، المحقق: محمد أمين الصناوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٧ هـ.
١٧٩. مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة، عبد الله بن عبد المحسن التركــي، الناشــر: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى،١٤١٦هـ، عدد الصفحات:٩٩.
١٨٠. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بــن محمــد بــن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيــروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.
١٨١. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أســد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشــد، وآخــرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولــى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
١٨٢. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٨٣. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقــق : عبــد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيــروت، الطبعــة : الأولــى ، ١٤٢٠ هـ.
١٨٤. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، الناشر: عالم الكتب– بيروت، لطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
١٨٥. المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، الناشر: دار الفكر العربي.

١٨٦. معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

١٨٧. معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، محمد العدناني،مكتبة لبنان.

١٨٨. معجم الصحابة، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (المتوفى: ٣٥١هـ)، المحقق: صلاح بن سالم المصراتي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨.

١٨٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٩٠. معلم التجويد، خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي، تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين.

١٩١. معنى لا إله إلا الله ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٩٢. مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

١٩٣. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

١٩٤. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

١٩٥. مفهوم الأسماء والصفات، سعد بن عبد الرحمن ندا، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
١٩٦. مفهوم الحكمة في الدعوة، صالح بن عبد الله بن حميد، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٩٧. مفهوم القدر والحرية عند أوائل الصوفية، محمود بن عبد الرازق.
١٩٨. مقدمة في أصول الحديث، عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي الحنفي (المتوفى: ١٠٥٢هـ)، المحقق: سلمان الحسيني الندوي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
١٩٩. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.
٢٠٠. الملخص في شرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار النشر: دار العاصمة الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.
٢٠١. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.
٢٠٢. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: محب الدين الخطيب.
٢٠٣. منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٢٠٤. منهج القرآن في القضاء والقدر، محمود محمد غريب: من علماء الأزهر الشريف والموجه الديني لشباب جامعة القاهرة، الناشر: دار القلم للتراث – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٢٠٥. المنهيات، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ)، المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع –القاهرة، مصر، عام النشر: ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٢٠٦. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت،١٤٢٧هـ.

٢٠٧. الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الناشر: مؤسسة سجل العرب، الطبعة: ١٤٠٥ هـ .

٢٠٨. الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ.

٢٠٩. موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر.

٢١٠. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ .

٢١١. الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: د. محمد عبد السلام محمد، الناشر: مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨.

٢١٢. الناسخ والمنسوخ، أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري (المتوفى: ٤١٠هـ)، المحقق: زهير الشاويش ، محمد كنعان، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.

٢١٣. نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، إبراهيم بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن جنبلاط بن سعد الْيَازِجِيّ الْحِمْصِيّ نصراني الديانة (المتوفى: ١٣٢٤هـ)، الناشر: مطبعة المعارف، مصر،عام النشر: ١٩٠٥ م.
٢١٤. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
٢١٥. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، المحقق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ.
٢١٦. نزهة الألباب في الألقاب،أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، الناشر:مكتبة الرشد– الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م.
٢١٧. نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي (المتوفى: ٣٨٤هـ)، عام النشر: ١٣٩١ هـ.
٢١٨. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة.
٢١٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى:٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٢٢٠. النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: نحو ٣٦٠هـ) دار النشر: دار القيم – دار ابن عفان، الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
٢٢١. النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني، أبو الحسن (المتوفى: ٤٧٩هـ)، دراسة وتحقيق: عبد الله عبد القادر الطويل، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٢٢٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.
٢٢٣. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
٢٢٤. الوافي/ معجم وسيط اللغة، الشيخ، عبدالله البستاني، مكتبة لبنان.
٢٢٥. الوجيز في إيضاح قواعد الفقة الكلية، محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.
٢٢٦. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٢٢٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر.
٢٢٨. الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، تقديم: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى.

خامساً: فهرس الموضوعات

الإهداء ....ت
شكر وتقدير .... ج
المقدمة .... ح
أولاً- أهمية الدراسة: .... خ
ثانياً – الأسباب التي دعت إلى اختيار البحث:.............................. د
ثالثاً: أهداف الدراسة والغاية منها: .... د
رابعاً – الدراسات السابقة:.. ذ
خامساً – منهج البحث:... ذ
سادساً – خطة الدراسة:..ر
التمهيد: مفهوم منهجيات الإصلاح والتغيير ٢
المطلب الأول: المنهج لغة واصطلاحاً ٢
المطلب الثاني: التغيير لغة واصطلاحاً ٤
المطلب الثالث: الإصلاح لغة واصطلاحاً.....................................٤
المطلب الرابع: العلاقة بين الإصلاح والتغيير ٧
الفصل الأول: منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الحجر ١١
التمهيد: تعريف عام بسورة الحجر ١١
المبحث الأول: منهجيات الإصلاح والتغيير العقائدي في سورة الحجر ١٩
المطلب الأول: القرآن الكريم معجزة الله العظمى.............................. ١٩
المطلب الثاني: الدين عند الله ﷻ الإسلام..................................... ٢٥
المطلب الثالث: الأدلة الكونية على وحدانية الله ﷻ ٢٩
المطلب الرابع: القدرة المطلقة... ٣٥
المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة الحجر ٤٤

المطلب الأول: الترغيب والترهيب.. ٤٤
المطلب الثاني: أسلوب الحوار ٥٥
المطلب الثالث: العناية الربانية للدعاة ٦٠
المطلب الرابع: الدعوة منهج الأنبياء ٦٥
المطلب الخامس: أسلوب القصص.. ٧٦
المطلب السادس: التدرج في الدعوة ٨٣
المبحث الثالث: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة الحجر ٨٨
المطلب الأول: مبدأ الصفح الجميل.. ٨٩
المطلب الثاني: الحلال يغني عن الحرام.. ٩٣
المطلب الثالث: الجـــــدل.. ٩٨
الفصل الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة النحل ١٠٧
التمهيد: تعريف عام بسورة النحل ١٠٨
المبحث الأول : منهجيات الإصلاح والتغيير العقائدي في سورة النحل ١١٦
المطلب الأول: البراهين الدالة على وحدانية الله ﷻ.................................. ١١٦
المطلب الثاني: النعم الدالة على وحدانية الله ﷻ ١٣٢
المطلب الثالث: استحقاق الهداية والضلال ١٣٨
المطلب الرابع: الحصانة الربانية بالقرآن وإبطال سلطان الشيطان ١٤٤
المطلب الخامس: ضرب المثل لإثبات وحدانية الله ﷻ.................................. ١٥٠
المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة النحل ١٥٧
المطلب الأول : الأمر بالمعروف والنهي عن الفحشاء ١٥٨
المطلب الثاني : الوفاء بالعهد والحفاظ على الأيمان المنعقدة ١٦٣
المطلب الثالث : التنفير من الكذب ١٦٩
المبحث الثالث: منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة النحل. ١٨١

المطلب الأول : مدح العلم وأهله ١٨٢
المطلب الثاني: النية محلها القلب ١٨٦
المطلب الثالث: التوبة.. ١٩٠
المطلب الرابع : الجزاء من جنس العمل ١٩٦
المطلب الخامس: الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ٢٠٤
المطلب السادس : الجدل في الدعوة... ٢١٤
المطلب السابع: العدل في العقاب والعفو عند المقدرة ٢٢٠
المطلب الثامن: الصبر في الدعوة.. ٢٢٣
المطلب التاسع: معية الله ﷻ للمتقين.. ٢٣٠
الخاتمة ٢٣٩
النتائج : ٢٤٩
التوصيات:.. ٢٣١
فهرس الآيات ٢٥٠
فهرس الأحاديث ٢٦٨
فهرس الأعلام... ٢٧١
فهرس الموضوعات ٣٠٠